٢٩ كتب نادرة

ISN=231547

المؤلف
رشد طبارة
مأذون معهدي العلوم السياسية والحقوق في باريس

مكتبة جامعة بيرزيت
38031
BIRZEIT UNIVERSITY LIBRARY

SPC
DS
63.2
.G7
T32
1925

الانتداب و روح السياسة الانكليزية

مترجم

اذا كان يلزم للامم ، حتى تصل الى حقوقها المشروعة وتنال حريتها المنشودة ، العناء الذي صادفه الافراد لنوال حقوقهم ، فلا شك ان امامنا ابحر دموع ودماء ، ما لو فكر الناس في هولها لمات نصفهم جزعا .

ر . ط .

— جميع الحقوق محفوظة —

آذار سنة ١٩٢٥

مطبعة طباره - بيروت

Digitized by Birzeit University Library

توطئة

سلام عليك أيها القاري الكريم .

وبعد ، فأني لا أريد ان احملك عناء المقدمات الطوال ، وها اني ألج وإياك الدار من بابها ، وأترك لك الحكم فيما تراه . ولا تنتظر أن تجد فيها أشياء جديدة ، وهي مجموعة حوادث وآراء ، وصور ومشاهد ، قد رأيتَ بعضها وسمعت بالبعض الآخر ، بيد اني جمعت لك شتاتها في هذا الكتاب ، وقرّبت قاصيها من دانيها مستنداً في عملي إلى قواعد علمية ثابتة .

ما ذا أحاول أن أضع نصب عينيك ؟

بعضاً من مظاهر حياتك السياسية والاقتصادية والاجتماعية وبعضاً من أحلامك وآلامك ولكنك لن تراها هذه المرة مجردة

Digitized by Birzeit University Library

أو منفصلة عن كل ما حولها من العوامل .

اعتاد « المشتغلون بالسياسة » في بلادنا أن ينظروا إلى البلاد وأهلها ، منقطعة عن كل علاقة خارجية ، ومجردة عن كل عامل داخلي . فكأننا وبلادنا قطعة انفصلت عن المريخ . . . . وكثيراً ما سألت نفسي عن أسباب هذه الحوادث المؤلمة التي يتخبط فيها الشرق بصورة عامة ، والبلاد العربية المنسلخة عن المملكة العثمانية بصورة خاصة ، فرغبت في استقصاء الجواب الشافي أثناء تتبعي الدروس القيمة في جامعات الغرب ، وكنت أقف عند كل درس من شأنه لفت نظر الشرقي وجلب اهتمامه ، محاولا أن أتزود منه النظريات الصحيحة أو الوجهة العملية التي اذا طبقت على بلادنا خففت قليلاً من بلواها ، حتى أتممت تحصيلي ولدي عدة قضايا لم أر إلى الآن من أقدم على تحليلها بصورة علمية حقة

وأول هذه القضايا هو تحديد علاقتنا بالدول القوية من دول الغرب ، نحن الامة الضعيفة ، الامة الفتية التي انفصلت بالأمس عن المملكة العثمانية وكلها أمل ونشاط ، وبينما كنا ننتظر المعونة على ذلك صرح الاستبداد الغاشم ، والوصول الى حق

Digitized by Birzeit University Library

مشروع ، ورفع راية الحرية والاستقلال التي هدرت الامة دماء خيرة أبنائها في سبيلها ، شاهدنا أعلاماً غريبة تخفق في سماء بلادنا ونحن لم نزل على عتبة آمالنا واحلامنا ، فخفقت لها قلوب ، وخفقت منها قلوب . . . وسمعنا حول تلك الاعلام دمدمة جمهور المتألمين وزمجرتهم ، واحسسنا حقداً يتغلغل في الصدور ، وظهرت لنا بوادر الغضب في الاقوال والاعمال — فتيقنت ان هنالك آمالا قد خابت ، وذهبت وراء البحث عن اسباب حقيقتها بما اوتيت من حسن النية وسلامة الوجدان ، عسى أن تكون نتيجة عملي خطوة في سبيل ازالة سوء التفاهم . . . فوجدتُ من هذه الاسباب ماهو وليد الحرب الكبرى ، ومنها ماهو وليد السنين الطوال والماضي البعيد ، ونحن ابناء الشرق بين الماضي والحاضر ، فريسة القوة والطمع .

وكثيراً ماسمعت الناس في بلادي يتحدثون عن الانتداب ، وهو بدعة جديدة ، ابى فريق ان يعترف به ، وخضع له الفريق الاخر خضوعه للامر الواقع الذي لامردَّ له ، وذهب الحقوقيون والسياسيون في تفسيره وتحليله ، وكان لهم فيه آراء شتى ، حتى

Digitized by Birzeit University Library

أصبح عنوانا لعلاقات أمم الشرق بدول الغرب ، فقال عنه فريق انه عنوان نصح وارشاد ، وقال آخر انه عنوان تسيطر واستعباد ، ولكل فريق ادلة وبراهين ، وأنا أرى أن لا اجزم في الجواب خشية أن يأتي سابقاً لأوانه ، فاستطعت على كلٍ ان انسق هذه القضية الاولى في عدة مواضيع ، متقاربة متجانسة مستقل بعضها عن بعض ، تسهيلاً للاطلاع عليها وخشية ملل القاري ، الذي أصبح بامكانه أن يأخذ كل موضوع على حدة ، وقد جاء التقسيم كما يلي :

١ — الانتداب وروح السياسة الانكليزية
٢ — 〃 وروح السياسة الفرنسوية
٣ — 〃 والقوانين الدولية العامة
٤ — 〃 والداء الصهيوني
٥ — 〃 وحكم الاقطاعات في سوريا
٦ — 〃 والفوضى الحاضرة وعلاجاتها

قال لي أحد الاصدقاء لما حدثته عما أنوي عمله : هذا معرض مواضيع ! — قلت ربما كان ذلك . وهو على كل حال بنيان جديد ، لم تنحت منه أيدي المشتغلين بالمسائل العامة الا حجارة منفردة ، واني سأحاول رفع ذاك البنيان الى ست طبقات ،

Digitized by Birzeit University Library

مستقل بعضها عن بعض ، وانها ستكون غايتي من أعمالي في هذه السنة ، فهل اوفق فى بغيتي ، وهل أنتهي منهـا ياترى ؟ — لا أدري وعلى كلٍ فأنا مع القاري، أمام عتبة الطبقة الاولى من هذا البنيان ، عسى أن أرى لي عوناً منه ومن جمهور المفكرين على تصحيح الخطأ فيه إن أخطأت فنعمل معاً على إتمام هذا العمل الشاق .

والآن هات يدك أيها القاري ، لندخل الدار من بابها ونشاهد ما احتوت عليه مخادعها ، واترك لك الحكم فيما تراه .

رشيد طباره

بيروت في ٢ آذار ١٩٢٥

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

تمهيد

روح الانتداب

البدعة الجديدة

الانتداب وضع جديد ابتكرتهُ عصبة الامم ، يوم نادت بحرية الشعوب الضعيفة، وادعت المحافظة على استقلال الجماعات المنظمة . وهو مثل كل وضع، له روح مجردة ونظرية يحاول مبتدعوها ان يزينوها بتعليل فلسفي . وله حقيقة عملية يتجلى للباحث حسنها او قبحها ، صحتها او خطأوها ، حين تطبيقها .

اما النظرية في هذا الوضع ، وروح هذا الوحي ، فقد هبطت على قلوب رجال السياسة الذين قرروا مصير الشعوب في فرساي ، وشاهدنا عنها تعريفاً اجوفاً جاء في البند الثاني والعشرين من صكّ عصبة الامم ، ذاك الصك الذي رفعه البعض الى مقام انجيل الديموقراطية الحديثة .

Digitized by Birzeit University Library

واما الحقيقة العملية ، وكيفية تطبيق هذا الوضع ، فنرجي. الكلام عنها الى رسالة خاصة حيث نرى اثرها في مظاهر الفوضى الحاضرة التي يتخبط فيها الشرق .

***

جعل البند المذكور الانتداب اصنافاً ، فجائت في ثلاث درجات ، واستحقت سوريا ، بعد الامتحان او بلا امتحان ، الدرجة الاولى ، او صنف « آ » .وهذا ما جاء في الصك عن هذا الصنف :

« وصلت بعض الجماعات التي كانت سابقاً جزءا من »
« المملكة العثمانية الى درجة من الرقي جعلتنا نعتبرها »
« موقتاً امماً مستقلة ، بشرط ان يرشدها في ادارة »
« شؤونها نصائح ومعونة حكومة منتدبة الى الوقت »
« الذي تصبح فيه قادرة على قيادة نفسها . ويجب قبل »
« كل شي. ان تراعى اماني تلك الجماعات في انتخاب »
« الحكومة المنتدبة » .

انقل هذه الفقرة التي هي مصدر الفوضى في بلاد الشرق ، لا متشائماً ولا متفائلاً بل مذعوراً من نفاق السياسة الخرقاء التي لم تحجم عن تشويه اجمل فكرة هدرت في سبيل تعزيزها دماء الملايين من زهرة شباب الانسانية ...

***

Digitized by Birzeit University Library

اجل مذعورا ! ولو كنت ضعيف الايمان بتبديل اخلاق البشر عن طريق الطفرة — وما كانت هذه اول مرة ذعرت بها ، ولن تكون آخر مرة — وانا قبل هذا وبعده اعلم علم اليقين ان الحكم في شؤون هذا العالم هو للقوة لا للحق ، والكلام للمطامع لا لوجه الله .

اجل مذعورا ! واسجل هذا الدرس الدامي على «المشتغلين بالسياسة» من ابناء قومي علهم لايثقون بعد ذلك بجمال الاحلام التي يهبطها عليهم جو السياسة المتقلب : حلم مريع ! ولا ادري اذا كنا لا نستفيق منه الا ونحن على حافة القبر .

الحق والقوة

تفتخر الامم اللاتينية وفي مقدمتها فرنسا انها تسخر القوة لخدمة الحق فلا تستعملها الا للدفاع عن كيانه .

واتهمت الامم الجرمانية وفي مقدمتها بروسيا انها تخضع الحق للقوة . وانها تسخر القوة لخدمة المنفعة القومية .

وقيل عن الامم السكسونية ، وفي مقدمتها انكلترا انها جعلت استعمال القوة واجباً من الواجبات الاخلاقية فخلطت بين الاخلاق السامية والقوة المنيعة

***

فتشت عن الحق بين هذه القضايا التي يختلف فلسفياً بعضها عن بعض ،

Digitized by Birzeit University Library

فوجدته هباء، قد تلاشى جماله ، فاسحاً مجالاً للقوة القاهرة . وفتشت عن معنى الحكمة العربية : الحق يعلو ولا يعلى عليه فوجدتها ، في افواه رجال القرن العشرين ، سفسطة مجانين .

ثم سألت التاريخ عله يحدثني عما فعلت الامم بالحق فلم ارَ الا سيوفاً ورماحاً ودروعاً لامعة ، ولم اسمع سوى دوي المدافع وانفجار القنابل، حجبت انوارها واخرس هديرها صوت الحق ونوره . واما ذاك النور المحجوب والصوت الخافت لم يزل ولن يزال سلاح الامم القاصرة .

وتيقنت ان الاقوام الاقوياء، من لاتين وجرمان وسكسون، قد استبدلوا كلمة الحق بكلمة المنفعة . فمشت المنفعة في مقدمة اعمالهم وسارت القوة وراءها وفي يمينها سيف مسلول . وكلما التقت منفعتان وجهاً لوجه اشتبك السيفان : وكانت حرب هائلة ذهبت بالاموال والنفوس . وظل النضال حتى يكسر احد السيفين : فتخضع المنفعة المغلوبة للمنفعة الغالبة وتعيش القوية . وما دامت وحدها ظلَّ الكون ممتعاً بالراحة والسلام : وامة امينة على مصالحها وامم مسخرة لهذه ... فلم ينهض حق بلا قوة بل خضع الحق دائماً للقوة .

***

ان سلطان الحق جميل في بطون الكتب وعلى سدات المنابر، لكن الحق جثة هامدة . واذا لم تنفخ القوة فيه من روحها الحية لاينبض في جسمه عرق ولا يخطو الى الامام خطوة واحدة .

كانت حياة الافراد بنسبة قوتهم .

Digitized by Birzeit University Library

وعاشت الجماعات ما عاش مظهر من مظاهر قوتها .
وبقاء الاحزاب تدير شؤون الممالك هو رهن قوتهـا .
وسلطان الامم في الكون كانت له القوة اول سند .

بل ان تاريخ الافكار والعقائـد والديانات والمدنيات ما هو الا « حكاية » القوة .

كن قوياً ولا تتعب نفسك بالتفتيش عن الحق لانـه ان لم يضع بعد ، فقد دق حتى اصبح شفافاً يتبدد رسمه عند اول صدمة من صدمـات القوة ، وهو في الحقيقة سلاح الافراد والجماعات القاصرة .

***

اذا كنت تريد ان تثبت « حقك » المشروع بالحياة فما انصفك ان تبدأ اولاً باثبات « قدرتك » على الحياة .

روح الانتداب

والانتداب هوسلاح جديد في يدالقوة ، رفعته فوقرؤوس الامم الضعيفة التي نحن منها لتأييد مرافق الامم القوية .
ولعمري لا افقه كيف يمكن التوفيق بينه وبين الاستقلال ، رغم محاولة

Digitized by Birzeit University Library

بعض النظريين من ابناء الغرب ، ورغم محاولة بعض المقلدين من ابناء الشرق وما ضرنا لو جلنا جولة قصيرة باحثين عن روح الانتداب الحقيقية .

جولة قصيرة ! وهذا ما يذكرني بقول احد الاساتذة الاعلام[1] في معهد العلوم السياسية في باريس . وهو تصريح حرّ تجلى فيه الانصاف الفرنسوي، قال :

« الانتداب هو انفق ما جائت به سياسة الحرب العظمى ، اذ ما هو « الا حماية مستترة » .

الانتداب اذا وضع جبلت روحه بالنفاق والكذب ؟

— عفواً لا ! — اذاً ماذا ؟

— هل يجب الرجوع الى عهد الطوفان لمعرفة روح الانتداب ؟

— كلا : ومعاهدة سايكس بيكو اقرب عهداً منه الى عصبة الامم .

ومَن منا يظلّ على ايمانه بحسن نوايا مبتدعي ذاك الوضع ، لمّا يتمثل له شخصا الرجلين السياسيين ، وقد اقعيا في قصر من قصور لندن عام ١٩١٦ ، حول خريطة البلاد ، ونشبت مخالبهما في ذاك الجسم المضطرب ، الذي اهاجه جور الاتراك واستفزت حميته وعود الحلفاء ... محملقين ، مهمهمين يتناهشان احشاء امة كاملة في السر والخفاء ، بينما كانت تلك الامة على يقين من حسن نوايا الحلفاء واخلاصهم ، ولم يخطر لها على بال انها تستبدل سلطاناً بسلطان .

---

(١) هو الاستاذ ديبوي عضو في المجمع العلمي Institut ومدير ثاني لمعهد العلوم السياسية في باريس ومدرس الحقوق الدولية فيه .

Digitized by Birzeit University Library

فاطمأنت لصوت تلك الدول العظمى التي نادت بحرية الشعوب من الرق وتخليص العالم من مخالب النسر الجرماني المخيف .

— ثم ماذا ؟

— سمعت سكان الولايات العربية ذاك الصوت الذي ناداهم به الحلفاء وجيش اخوانهم من العرب وهم مرابطون بجوار فلسطين :

« ان الطموح الجرماني الاثيم قد اثار نيران هذه الحرب »

« الهائلة ، ولم نحمل بعضاً منها الى الشرق الا رغبة منا »

« بتحرير الشعوب التي تتألم من جور الاتراك تحريراً »

« نهائياً تاما ، وحتى نؤسس فيها حكومات وطنية »

« وادارة وطنية تستمد سيادتها من هذه القاعدة : »

« حرية الشعوب بتعيين مصيرها بنفسها » .

***

— واذا سأل سائل : ومن اي بحر هو هذا الشعر ؟

— اجيبه : مقرباً من ذاكرته مشهد موآمرة لندن التي دبرت في الظلام قبل هذه الارجوزة بعامين كاملين ، وتصريح ذاك الاستاذ الذي يشرح في احدى محاضراته معنى الانتداب لربما بعد هذا القول الصادق وذاك العمل الاثيم يسهل عليه فهم روح الانتداب الحقيقية ...

Digitized by Birzeit University Library

حقوق الافراد وحقوق الامم

— واين حقوق الامم التي نادت بها عصبة الامم ؟

— سل عمَّا فعل ماترينخ والاتفاق المقدس بحقوق الانسان اثر تلك الدماء التي اهرقت في سبيل تحرير الانسان !

واذا سمعنا رجال الثورة الفرنسوية ينادون بحقوق الانسان فما ذلك الا لان الافراد كانوا عبيداً ارقاء لا حقوق لهم ، سيّرتهم مشيئة الملوك الطاغية الذين ادعوا انهم استمدوا سلطانهم من قوة الله . فجعلوا انفسهم ظله على الارض . وكم تعددت تلك الظلال وكم اختلفت في طولها وعرضها ! — وسير الملوك رجال الدين فتحكم هؤلاء بارواح الناس واموالهم واعراضهم وظل الكون يتيه في مهمه من الجهل والسفاهة والعبودية حتى اشرق امل من صرير الاقلام كان صدى انين ما في الصدور . فكسرت الاغلال وهدمت العروش وتساقطت الرؤوس تحت المقاصل . ولبى الانسان المظلوم ذاك النداء فكان ما كان من الضحايا والاحزان واضطرب الكون عشرات السنين في بحر من الدموع والدماء . ثم جاء يوم اصبح فيه الفرد يوهم نفسه انه حرٌ بين الاحرار .

واذا نادى الرئيس ويلسن بحقوق الامم، فما ذلك الا لان الشعوب كانت مستعبدة ، يسوق الاقوياء الضعفاء لخدمة منافعهم ، كما يسوق الجزار مواشيه للذبح . وتطارد الجماعات القوية الجماعات الضعيفة كما تطارد الذئاب النعاج . فتارة باسم الحرية ، وطوراً باسم حقوق الانسان، ومرة باسم الفتح في عهد ألغيت فيه

Digitized by Birzeit University Library

الفتوحات ، وسرات باسم الحماية والوصاية . ولكنها جميعها اساليب ونماذج للاستعباد . . . فسمعت الامم ذاك النداء الحي وبلغ صداه اعماق القلوب المتألمة . وفتح نه البعض الاخر عينين مذعورتين كأنه لم يفقه ما يسمع .

***

لقد قيل عن الثورة التي اعلنت حقوق الانسان انهـا استبدلت الحروب التي كان الملوك يشهرها بعضهم على بعض بحروب غيرهـا تنشب بين الملوك ورعاياهم ومن نظر الى الاثام التي اقترفهـا عهد الاستبداد والرجعية في زمن ماترنيخ ، حق له ان يتساءل عما فعل الانسان بحقوق اخيه الانسان : ولذلك كان النصف الاول من القرن التاسع عشر عراكا هائلا بين الشعوب اليقظـة والملوك الطغاة . بل كان ذاك العهد الذي عقب الثورة اشد العهود نكراناً وكفراً بحقوق الانسان .

فهل نعجب بعد ذلك اذا شاهدنا الحرب العامة تعلن حقوق الامم فتطالب هذه بتعيين مصيرها بنفسها ثم ترى بعد شقائها الطويل وضحاياها العزيزة ان العهد الجديد لم يحمل لها استقلالا ولا حرية بل استبدل سلطاناً بسلطان .

***

فاذ كان يلزم للامم — حتى تصل الى حقوقها المشروعة وتنال حريتهـا المنشودة — العناء الذي صادفه الافراد لنوال حقوقهم فلا شك ان امامنـا انهر دموع ودماء اخرى ما لو فكر الناس في هولها لمات نصفهم جزعا .

Digitized by Birzeit University Library

الحقيقة الرائعة

ان ما دعى الى تفاقم امراضنا الحاضرة هو شكل الانتداب . بل الانتداب كان مصدرا لوجود بعضها ولولاه لما تقرر مثلاً قطع سوريا الجنوبية وبيعها الى الشركات اليهودية المبعثرة فى انحاء المعمور . ولولاه لما رجعت سوريا صنيعة عصبة الامم، الى عهد حكم الاقطاعات الذي جعل فيها اما ودو لا بقدر ما فيها مذاهب وديانات ... لكن !

لكن رغماً مما صرح به المسيو بيشون رئيس الوزارة الفرنسوية عام ١٩١٧ في « ان سياسة حقوق القوميات هي شرف تاريخنا وتقاليدنا » — ورغماً مما قاله الرئيس ويلسن عام ١٩١٨ من « ان الشعوب لن يجب ان تحكم الا حسب ارادتها وامانيها ، وان هذا هو مبدأ الحكم الذاتي الذي يجب على رجال السياسة تطبيقه ، وانهم يخسرون كثيرا اذا تجاهلوه . » — ورغماً مما تشدق به رجال السياسة سواء كان في موتمر الصلح او قبله وبعده فان قضية الانتداب في الشرق تستند على قاعدتين اساسيتين لا نرى لهما ثالثة :

١ً — قاعدة تأمين طريق الهند الانكليزية

٢ً — قاعدة تأييد النفوذ الفرنسوي في الشرق

وما خرج عن هذين الامرين ليس هو بنظرنا الا اضغاث احلام . وكلاهما

Digitized by Birzeit University Library

مظهر للتبسط الاستعماري.

تلك هي الحقيقة الرائعة التي لاريب فيها والتي يجب علينا ان نعيرها الاهمية التي تستحقها .

تقسيم موضوع هذه الرسالة.

كان يجب ان يكون عنوان هذه الرسالة « طريق الهند » لان قضية الانتداب في الشرق تستند دعامتها الاولى على هذه القاعدة من السياسة الانكليزية .

لكن رأينا ان خير سبيل نسلكه دفعا لكل ابهام هو درس هذه القواعد درساً اجمالياً لاسيما ان هذا البحث لم يطرق بعد من كتّاب العربية بصورة علمية منظمة . فتتجلى لنا بصورة اوضح اهمية تلك القاعدة التي لها علاقة بحياتنا القومية ومستقبل بلادنا السياسي ، ونعلم موضعها بين تلك القواعد .

واكمالاً للبحث رأينا ان يطلع القاري، على العوامل المادية والمعنوية التي سيرت الامة الانكليزية وتسيرها في جميع اعمالها . وعددنا الصفات التي اتصفت بها تلك السياسة .

فجاءت الرسالة في قسمين جواباً على سؤالين هما :

Digitized by Birzeit University Library

١ً — ما هي قواعد السياسة الانكليزية ؟

٢ً — ما هو خطر هـذه السياسة علينا ؟

فاذا كنا اصبنا في الجواب عليهما نكون قـد بلغنا الغاية التي قصدناها من هذه الرسالة الا وهي :

معرفة شيء عن روح السياسة الانكليزية بوجه عام والوقوف على اهمية طريق الهند بوجه خاص .



Digitized by Birzeit University Library

السؤال الاول

ما هي قواعد السياسة الانكليزية

العقائد والقواعد

للجماعات المنظمة حياة سياسية !

انقسمت هذه السياسة الى داخلية قامت على الاحزاب واستندت على العقائد الاجتماعية والاقتصاديه . والى خارجية شيدت دعائمها على قواعد وتقاليد قلما يؤثر فيها التغيير الداخلي تأثيراً فجائياً .

واي برهان اجلى مما شاهدناه حديثاً من صعود حزب العمال الى منصة الاحكام . فظن الكثيرون ان ذلك سيكون له اثره في سياسة بريطانيا الخارجية . وكان له بعض الاثر فيما شاهدناه من الاعتراف بحكومة السوفييت وقبول المانيا وروسيا الجديدة — مبدئياً — في عصبة الامم .

Digitized by Birzeit University Library

وظن الشرق الذي يخضع للمشيئة البريطانية ان فوز المستر ماكدونالد وتطبيق افكاره الحرة سيخفف قليلًا من بلواه .

واعتقدت مصر بصورة خاصة ان الوزارة الجديدة ستعير امانيها اذناً صاغية لكن شاهدنا زعيم مصر سعد باشا زغلول قد اخفق في مساعيه للتفاهم مع وزارة العمال اخفاقه مع غيرها من الوزارات .

ولم تتخلص فلسطين من وعد بلفور الجائر بل حاولت السياسة الانكليزية ان تمد يدها وتثبت نفوذها الاستعماري وتبسط سلطانها على ما تبقى من سوريا الجنوبية . وما حوادث الشرق العربي عنا ببعيدة . . .

كما ان كارثة الحجاز وقعت في ايام يدير فيها سياسة الانكليز حزب العمال فتركت انكلترا حليفها سلطان الحجاز يهان في عقر داره واستعانت عليه بسلطان الرياض : وهي حليفة الخصمين ! !

* * *

Digitized by Birzeit University Library

الفصل الاول

الاحزاب والعقائد

١ — الاحزاب وسياستها الداخلية

حتى نفقه حقيقة موقف السياسة الانكليزية في الداخل او نفهم معنى لروح علائقها مع الدول ، لا بد لنا من ان نقول كلمة عن الاحزاب التي تتعارك للاستيلاء على زمام الاحكام ، وعن عقائدها ، وخطط اعمالها . والاحزاب في بلاد مثل البلاد الانكليزية ليست بالوهم ، بل هي كانت ولن تزال ركن حياة تلك الامة داخل البلاد وقوام سياستها خارجها .

كتبت من باريس الى احدى صحف بيروت يوم فاز المستر ماكدونلد في انتخابات شهر كانون الثاني سنة ١٩٢٤ ما يلي :

اذا قلنا ان فوز رمزي ماكدونلد هو امر جديد هام ، سيكون له

Digitized by Birzeit University Library

شأن في السياسة الانكليزية، فما ذلك الا لان مصير هذه السياسة كان منحصراً حتى اليوم في قبضة حزبين تداولا زمامها منذ مآت السنين : الاحرار والمحافظون. فأصبحت ادارة شؤون البلاد، بعد فوز ماكدونلد، في قبضة حزب جديد هو حزب العمال .

***

حزب الاحرار

سقط حزب الاحرار بسقوط زعيمه المستر لويد جورج . وكان عدد ممثليه في مجلس النواب البريطاني آخر السنة المنصرمة (كانون اول ١٩٢٣) ١١٧ نائباً .

انقسم هذا الحزب الى فريقين: الفريق الاول هو بزعامة المستر اسكويث (وهو الذي زار سوريا حديثاً) . والفريق الثاني هم الاحرار الوطنيون ، بزعامة لويد جورج . وللفريقين عقائد واحدة .

يرى حزب الاحرار — لمعالجة الامراض الداخلية التي تتألم منها انكلترا سواء من غلاء المعيشة او بطالة العمال — ضرورة رفع الحواجز الجمركية واستبدالها بمعاهدات تجارية تعقد مع حكومات العالم . وبرنامجهم يؤيد حرية الاتجار ، وهي الحرية الاقتصادية .

***

Digitized by Birzeit University Library

حزب المحافظين

زعيمه الحالي هو المستر بلدوين رئيس الوزارة السابق (ورئيسها الحاضر بعد سقوط حزب العمال). وكان يعدّ هذا الحزب ٣٤٦ ممثلًا في مجلس النواب قبل انتخابات السنة الجديدة اذ كان له الاكثرية الساحقة .

تمكن الحزب بفضل هذه الاكثرية من قيادة زمام الاحكام البريطانية لكن لم يكتف الرئيس بهذا العدد الوافي . ويعلم المستر بلدوين تعلق مواطنيه بمبادي، الحرية الاقتصادية ، وميلهم الفطري للقضاء على الحواجز الجمركية وازالتها . ولما كان لديه برنامج جديد يود تطبيقه ، رغب في ان يجس نبض الرأي العام الانكليزي ظنًا منه ان البلاد ستؤيده فيستطيع حينئذ ان يعمل على معالجة بلاده ، وشفائها من ادوائها .

كان زعيم الحزب يشاهد الاسواق الاوروبية مغلقة في وجه البضاعة الانكليزية — بينما غصّت بلاده بالبضاعة الغريبة . وهو يعتقد ان الوسيلة الوحيدة لتحسين حال الاسواق الانكليزية هي الرجوع الى العزلة البريطانية ، وذلك بزيادة رسوم الجمارك لمنع البضاعة الاجنبية من الدخول الى اسواق انكلترا ، وبالاكثار من عقد المؤتمرات بين الجزر البريطانية ومستعمراتها . وهي قوة هائلة اذا وافقته على خطته ، زادت ايضاً رسومها على البضاعة الغير الانكليزية . فتوقف بهذه الوسيلة تيار التجارة الغريبة : وتضع حداً للبطالة

Digitized by Birzeit University Library

ويجد العمال سبيلًا للعودة الى العمل، وتعيش انكلترا لنفسها. ولاسيما ان تجاريب السنوات الخمس التي انقضت بعد الحرب العظمى اظهرت للمستر بلدوين ان قضية اصلاح الحياة الاقتصادية في اوروباهي حلم لا يمكن تطبيقه.

***

حزب العمال

قلنا ان المستر بلدوين اراد تطبيق برنامجه الجديد. ولم يكتف بالاكثرية الساحقة التي كانت بجانبه في المجلس. ورغب في ان يجس نبض الرأي العام بانتخابات جديدة...

لكن المعركة الانتخابية كانت عليه خسارة، وسلبته تلك الاكثرية. وفاز المستر ماكدونالد بتوازن قوى الاحزاب الثلاثة. فاصبح لحزب العمال في مجلس النواب ١٩٢ ممثلًا. (وكانوا ١٤٤ في السنة المنصرمة) يقابلهم ٢٦٠ من المحافظين و ١٥٠ من الاحرار.

وهذه الارقام هي خير دليل يثبت لنا ان حزب العمال وحده ابعد من ان يمثل الاكثرية في المجلس. لكن انضمام قسم من الاحرار اليه رفع زعيمه الى دست الاحكام.

اما عقيدة رئيس الوزارة الجديدة فهي: ليست اسباب البطالة المخيفة سوى

Digitized by Birzeit University Library

نتيجة لازمة لفقر الجمهور المدقع . فلا يمكنه ان يستهلك البضائع المتراكمة في مستودعات المعامل والمخازن . فاضطرت المعامل ان تضع حداً لانتاجها . واستغنت عن قسم من الايدي العاملة . واصبح الملايين من العمال بلا عمل . ولا سبيل الى تصريف البضائع المتراكمة الا اذا رخصت اثمانها ، وهبطت قيمة الاشياء ، فيستطيع الجمهور الفقير اقتناءها .

والوسيلة الوحيدة في نظره هي تطبيق قواعد الاشتراكية الحرة وذلك بأن تستلم الحكومة ادارة المعامل وتديرها بنفسها . وتسن الضرائب على اصحاب الاموال : فتأخذ المال من خزائن الاغنياء ، وتجعل حلاً لتلك المعضلة الاجتماعية بتسوية رأس المال والعمل ، فتضع حداً لاستبداد الفئة الغنية بجمهور الفقراء .

***

الخلاصة

هذه هي عقائد الاحزاب الثلاثة في انكلترا ، ونحن نأخذ لأنفسنا منها هذه الخلاصة المفيدة :

تجاه الامراض الواحدة التي تنحصر في امر غلاء المعيشة وبطالة العمال وازمة المنازل نرى في البلاد الانكليزية ثلاثة احزاب كبرى حمل كل حزب لبلاده الدواء الذي يعتقده ناجعاً :

Digitized by Birzeit University Library

١ً — رأى الاحرار اسباب العلّة في الامور الاقتصادية وهم يحملون لها علاجاً اقتصادياً وينادون بتأييد مبدأ حرية الاتجار .

٢ً — راى المحافظون مثل ما رأى الاحرار . لكنهم ينادون بعكس الدواء . وهم يستندون الى مبدأ الحماية التجارية او زيادة الرسوم الجمركية .

٣ً — اما العمال ، فانتقلوا من العالم الاقتصادي الصرف ليعالجوا الداء بمعالجة المسألة الاجتماعية نفسها . وهم سيأخذون من الغني لاعطاء الفقير . وربما حققوا برنامج اشتراكية الدولة .

---

٢ — السياسة الخارجية وقواعدها

القواعد الاربع

اذا اختلفت عقائد الاحزاب في سياسة انكلترا الداخلية فقلما نجد اختلافاً يذكر في علائقها الخارجية . وهذا ما يدهش المدقق في حياة هذه الامة العجيبة .

هنالك قواعد عامة لم يجرأ على مسّها حزب من الاحزاب ولا رجل من ساستهم مهما تطرف في عقائده . وقد نظمها الاستاذ باردو في احدى محاضراته في جامعة العلوم السياسية فجاءت في اربع قواعد :

Digitized by Birzeit University Library

١ طرق البحار .
٢ طريق الهند .
٣ بلاد الفلاندر (الهولاند والبلجيك)
٤ التوازن الاوربي .

***

الاهم ثم المهم

وهي منظمة هنا حسب اهميتها : الاهم ثم المهم وذلك ماحمل الانكليز خلال حياتهم السياسية ان يضحوا موقتاً — اذا جاز لنا ان ندعو هذه المعاملة الانكليزية تضحية — قاعدة في سبيل اخرى .

شاهدنا مثلاً اثناء الحروب النابوليونية ان انكلترا غضت الطرف برهة من الزمن عن اخراج نابوليون من بلاد البلجيك ، وما ذلك الا لان القائد الفرنسوي كان يهدد طريق الهند . فلما رحل عن مصر ، وحوّل نظره عن آسيا ، ظلت تقاتله حتى اخرجته من بلجيكا . وكان اول اعمالها في باريس وفينا عامي ١٨١٤ — ١٨١٥ ضم البلجيك ، رغم ارادة اهلها ، الى هولاندا خشية ان تعود الى فرنسا .

***

Digitized by Birzeit University Library

تضامن هذه القواعد

واذا كانت هذه القواعد تتفاوت في اهميتها لايجب ان نتوهم ان بعضها مستقل عن بعض . بل هي متضامنة متكافلة وما ناضلت انكلترا عن واحدة منها الا لاعتقادها الجازم ان كل ضرر يلحق بأحداها تتأثر منه كافة القواعد الباقية فجاءت سياستها الخارجية بفضل هذا التضامن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

Digitized by Birzeit University Library

الفصل الثاني

طرق البحار (١)

وهذه اهم القواعد واولها . وجدير بالبلاد الانكليزية المؤلفة من تلك الجزر ، المنفردة عن القارة الاوروبية ، النائية عن بقية القارات ، السابحة في المحيط الواسع ، ان تسعى لتوطيد صلات دائمة بينها وبين اقطار العالم وفي خلاف ذلك يموت اهلها جوعاً .

سنرى في القسم الثاني من هذه الرسالة اهمية هذه القاعدة من وجهتها الاقتصادية . ولاسيما ان انكلترا لا تنتج لنفسها من احتياجاتها الضرورية الا النذر القليل . و ١٠ في المئة من مجموع عمالها فقط يعملون على حرث الارض واستخراج ثمراتها والباقون يعملون في المناجم والمعامل . ومن الثابت هو انه اذا سدت منافذ

---

(١) الحقوق الدولية العامة لفوشيل .
كتاب ومحاضرات الاستاذ بورجوا في تاريخ السياسة .

Digitized by Birzeit University Library

البحار في وجه هاتيك الجزر لم يعش اهلها اكثر من شهر واحد .

ارادت انكلترا ان تكون طرق البحار امينة ، وهذا امر اساسي لكل امة تريد ان تحيا . وكيف يتيسر لقطر ان ينظم علائقه في الداخل، ويؤمن صلاته مع باقي الاقطار ، اذا سرى اليه الفساد ، وتفشت في انحائه جراثيم الشقاوة ، وانتشرت عوامل الفوضى ...

غاية الانكليز من طرق البحار هي ان تمخر سفنهم دون ان يعترضها القرصان ، لصوص البحار في الازمنة الغابرة ، وان تفتح لهم ثغور بلاد العالم لمبادلة مصنوعاتهم بما يحتاجونه من زاد وقوت ، وفي هذا الربح كله لهذه الامة المتاجرة ، ومن وراء هذا صيانة حياتها .

***

١ — الوجهة الحقوقية

كانت السياسة الانكليزية منذ القرن السابع عشر وقبله موجهة انظارها الى هذه الغاية ومنحصرة قواها في تأييد هذه القاعدة : البحر المغلق في وجوه الامم مع بقاوه مفتوحاً للانكليز ولتجارتهم .

حاول الكتّاب الانكليز ان يدافعوا عن هذه النظرية من الوجهة الحقوقية كما ان رجال سياستهم قاموا بتنفيذها فعلاً حتى اصبحوا هم اسياد البحار

Digitized by Birzeit University Library

يؤمنون الملاحة فيها وينتفعون من خيراتها .

واول كاتب تعمق في هذا البحث هو احد حقوقييهم المدعو « سلدن » فنشر كتاباً مفصلًا شرح فيه نظريته التي يدافع فيها عن المصالح الانكليزية واهدى كتابه هذا الى ملك الانكليز عام ١٦٣٥ — وقد فند فيه ادعاء حقوقي هولاندي اسمه كروسيوس .

***

منشور البابا اسكندر السادس

وقع الخلاف بين الاسبانيين والبورتغاليين ، اثر افتتاح البلاد الاميركية على كيفية امتلاك العالم الجديد . وشجعُ الفريقين وَسع الخرق ، وزاد في تفاقم الامر فاتفقا على ان يحكما في حل المشاكل بينهما البابا اسكندر السادس .

اجاب البابا برأي عرف في القوانين الدولية ، بمنشور عام ١٤٩٢ ، وقسم البلاد الاميركية بين الامتين قسمة رضيتا عنها . وقسم البحار الموصلة الى تلك البلاد . وكانت هذه موضع الاختلاف الاكبر : فامتلك هؤلاء البر والبحر .

وهذا ما ازعج الهولانديين والانكليز . ومن ذاك الحين حاول الحقوقيون انتقاد هذه الملكية واظهار ضررها والعمل على ازالتها .

ولما كان للهولانديين مطامع في البلاد الاميركية ، وكانوا في اوج سلطانهم ومنعتهم البحرية ، نشر احدهم « كروسيوس » كتاباً شرح فيه نظريته المشهورة عن حرية البحار .

Digitized by Birzeit University Library

نظرية كروسيوس

كانت بادىء بدء عمـوم الاشياء مشاعة بين الاقوام الاول . ثم جعلوا قسما من هذه الاشياء ملكاً لهم بواسطة الاحتلال .

ابتدأت الملكية ان تكون شخصية ، ثم اصبحت مشتركة يستثمرهـا قوم دون آخر . ومن هنا الفرق بين الاشياء المشاعة التي لا يدعي ملكيتها احد ، والاشياء العامة التي يمتلكها شعب معروف ، ثم الاشياء الخاصة التي يمتلكها الافراد .

اذا ، الاشياء التي يستحيل احتلالها بطريقة من الطرق لا يمكن قطعياً ان تكون ملك احد ، هذا من جهة — اما من جهة ثانية : لا يجوز لكافة الاشياء التي يمكن لجميع الاقوام استعمالها ، دون ان يلحق ضرر بأحد ، ان تكون موضوع ملكية ، اذ لا شيء يبرر هذه الملكية .

لم يفت القانوني الهولاندي الفرق بين الملكية والسيادة . فرضي عن سيادة الامم على قسم البحار المجاورة لبلاد تمتلكها . لكن لمسافة محدودة ، فلها الحق مثلاً ان تنظم فيها شروط الامن ، وان تستثمرها باصطياد اسماكها .

نستنتج من نظرية كروسيوس : ضرورة حرية البحار واعتبارها من الاشياء المشاعة :

اولاً لعدم قابليتها للأمتلاك .

ثانياً لأنه لايمكن استعمالها دون ان يلحق ضرر بأحد من هذا الاستعمال .

Digitized by Birzeit University Library

نظرية سَلْدن

اجابه القانوني الانكليزي سلدن قائلًا ان البحر الواسع يمكن امتلاكه. وحالة البحار الطبيعية لا تحول دون هذه الملكية . اذ يجوز ان تُعين خطوط اعتبارية استناداً الى خطوط الارض الاعتبارية المعروفة ان طولًا اوعرضاً .

استشهد سلدن بصواب رأي البابا اسكندر السادس يوم قسم البحار بين الاسبانيين والبورتغاليين مقيماً بين املاكهما خطاً اعتبارياً .

وقال ان المرء يستطيع ان يملك شيئاً بينما سواه يتمتع بثماره . وضرب مثلًا عن نار يملكها بينما جاره او سواه يشعل منها فانوسه .

يزيد سلدن على هـذا ان ملكية البحار هي امر واقع رغم ادعاء كروسيوس . لكن القانوني الانكليزي يقف عند هـذا الحد من انتقاده كروسيوس . ويوجه سهامه الى البورتغاليين لمنعهم الشعوب الاخرى من الملاحة في بحار يمتلكونها .

يقول سلدن ان الملكية يمكن تطبيقها على الصيد لكن لا يجوز تطبيقها على الملاحة التي هي حق طبيعي لجميع الامم في كافة البحار .

***

حرية الملاحة

يظهر لنا من هذه الخلاصة ان الغاية من النظرية الانكليزية هي الدفاع عن حرية الملاحة ، وايد هذه النظرية جميع الحقوقيين والسياسيين الانكليز .

Digitized by Birzeit University Library

ناضلوا دوماً عن قاعدة طرق البحار في زمن كانوا فيه ضعفاء ولم يكونوا قد امتلكوا تلك السفن المنيعة والاساطيل الكبرى التي جعلت بين ايديهم سيادة البحار الفعلية .

يسير الانكليز في هذه النظرية المنفعة القومية . وهناك قضايا اخرى اختلف بها الانكليز عن سواهم وسيرتهم فيها عين المنفعة ، مثل مطاردة القرصان او حق تفتيش البواخر في البحر المدعو بحق الزيارة الذي اخذاهمية كبرى من الوجهتين الحقوقية والسياسية منذ عام ١٨٠٧ حيث الغى البرلمان الانكليزي المتاجرة بالرقيق الاسود . ورأينا اثراً لهذا الاختلاف في جميع المؤتمرات الدولية التي عقدت في القرن التاسع عشر .

***

٢ — الوجهة السياسية

هذه هي اهمية قاعدة طرق البحار من الوجهة الحقوقية المجردة . اما من الوجهة السياسية فمن دقق قليلاً في تاريخ بريطانيا العظمى السياسي ، ونظر في كيفية تحطيمها القوى البحرية الاسبانية ، وكيفية القضاء على قوى الهولانديين المنيعة ، ثم معاونتها شعوب اميركا الجنوبية على الثورة والعصيان للانتفاع بموانئها وثروتها ، وغير ذلك من الوقائع الهامة التي عاونت الانكليز على الاحتفاظ بسيادة البحار وتأمين طرقها . . . فمن دقق قليلاً في هذا التاريخ العجيب علم حقيقة اهمية هذه القاعدة السياسية الكبرى التي لاحياة للبلاد الانكليزية بدونها .

Digitized by Birzeit University Library

طمح الانكليز منذ القرن السادس عشر الى بسط سيادتهم على عموم البحار ورغبوا في التوسع الاستعماري في كافة الاقطار الاميركية والاسيوية ، كما حصرت بعض الدول همها في بسط سلطانها على الامم الاوروبية واخضاع ممالكها .

نادى الانكليز منذ ذاك العهد بنظرية البحر المغلق في وجوه الامم مع ضرورة بقاءه منتوحاً لهم ولتجارتهم ... هذا هو مبدأ كتاب سلدن الذي جاء تلخيصه ، وهذا هو اهم عنوان لشرائعهم العامة . كما هو قاعدة سياستهم الخارجية ، ونذكر للقاريء قانون الملاحة الذي سنه كرومويل والذي يحظر على كل انسان ، ما سوى الانكليز طبعاً ، المتاجرة في الثغور البريطانية وموانيء المستعمرات البريطانية ... وظل هذا القانون معمولاً به حتى الثورة الفرنسوية .

***

معاهدة اوتراخت

قال الاستاذ بورجوا مدرس تاريخ السياسة في جامعة العلوم السياسية بباريس ان معاهدة اوتراخت الواقعة عام ١٧١٣ يعتبرها احد المؤرخين الأنكليز من اعظم العهود في حياة انكلترا الاستعمارية .

قبل هذه المعاهدة بقرن كامل كانت انكلترا قد ابتدأت ان لاتفكر الا بمصالح تجارتها ، واصلاح شأن بحريتها وملاحتها . فلا تتدخل في الشؤون الاوروبية الا متى ارادت . ومتى شاهدت النفع الأكيد

Digitized by Birzeit University Library

وضعت في زمن الملكة اليصابات اساس بنيان ملكها الشاسع ما وراء البحار وسعت لأمتلاك ابوابها . وكانت الثورة الداخلية قد شغلتها زمناً عن الاهتمام بالشؤون الخارجية وذلك في مقاومتها اسرة الملوك الكاثوليكية ، ومحاربة من عاضدهم من ملوك اوروبا ، حتى جاء القرن الثامن عشر فحسمت على تلك الثورات والحروب بمعاهدة اوتراخت عام ١٧١٣

منافذ البحار

وقّعت هذه المعاهدة حسب رغائب دهاة الانكليز ، فأمنوا في اوروبا منافذ البحار : احتفظو بجبل طارق باب البحر المتوسط الوحيد . وسعوا — سواء باحتلال الجزر، او دك الحصون والقلاع ، او الاكثار من الزبائن — للتسيطر على البحر المتوسط وبحر الشمال وبحر البلطيك وبحر المانش .

كما انهم عززوا مكانتهم خارج اوروبا : فاستبقوا لانفسهم مقاطعات التيرنوف والاكادي في اميركا الشمالية فأصبحوا عثرة في سبيل تقدم الفرنسويين في الكندا وسدوا عليهم فيها منافذ البحر ، منتظرين ذاك اليوم الذي يتمكنوا فيه من اخراجهم منها .

وبكلمة واحدة تقدر ان تقول ان الانكليز جعلوا لأنفسهم يداً في جميع الاقطار الجديدة — سواء في اميركا او آسيا او جزر الباسيفيك — وعلى هذه الصورة رغب ملوك البحار في المحافظة على طرق البحر ومنافذه .

Digitized by Birzeit University Library

الفصل الثالث

طريق الهند (١)

الاستيلاء على الهند

شاهدنا في الفصل الثاني كيف احتفظت الامة الانكليزية بطرق البحار. وسنبحث في هذا الفصل عن اهم هذه الطرق الا وهي طريق الهند. وهي من الاهمية بمكان قد رفعها وحدها الى درجة القاعدة الثانية من قواعد السياسة الانكليزية.

كان الفرنسويون قد سبقوا الانكليز الى بلاد الهند. واسسوا فيها الشركات التجارية، وافتتحوا بعض مدنها، واستعمروها — كما انهم كانوا قد سبقوهم الى اميركا الشمالية حيث ابتنوا لانفسهم فيها مدناً وقرى

---

(١) تاريخ السياسة اربعة اجزاء لمؤلفه : ده بيدور
محاضرات الاستاذ شفر في معهد العلوم السياسية في باريس

Digitized by Birzeit University Library

وكان نفوذهم في الهند آخذاً في التوسع لا ينازعهم فيه منازع حتى حسدهم على ذلك تجار الانكليز فأخذوا يزاحمونهم في تجارتهم ويتسابقون الى مشاطرتهم سيادتهم . فابتنوا لانفسهم دوراً بجانب دورهم . ولا يخفى ان وراء التاجر الانكليزي جميع امته وقواها البحرية .

هيأ دوبلاكس للامة الفرنسوية في الهند ملكاً شاسعاً وسلطاناً منيعاً ، وهيبة لولا تهامل ملك فرنسا لويس الخامس عشر ، وانصراف الفرنسويين في ذاك العهد عن بسط سلطانهم في الخارج ، للخروج من الضنك المستحكم منهم ، والخلاص من حياة الاستبداد الذي كان يذيقهم كؤوسه المرة فتنة غاشمة في البلاد ، قلت لولا هذا العامل الداخلي ، والحروب الضروس التي اشعلت نيرانها السياسة الانكليزية في اوروبا طمعاً بالوصول الى غايتها خارج اوروبا . . . لما بعث الملك وراء دوبلاكس ولما ترك بلاد الهند الغنية بدون رأس يحميها ويرد غارات الاعداء عنها ، ولما استتب الامر فيها للانكليز .

لا نستطيع سرد التفاصيل التي حدثت من عام ١٧٥٥ لغاية عام ١٧٦٣ بين فرنسا وانكلترا سواء كان في الهند او في اميركا الشمالية ، وسواء كان في اوروبا ، لان ذلك يتطلب فصولاً طوالاً لا تتفق مع غاية هذه الرسالة . لكن نقدر ان نقول ان لويس الخامس عشر والشركة الفرنسوية التي كانت تهتم بشؤون الهند لم يبصرا شيئاً ولم يفقها شيئاً في ذاك العهد من خطورة الموقف ، فهدما بايديهما ما كان قد شيده دوبلاكس ، وعاونا الانكليز على بسط سلطانهم على تلك الامبراطورية العظمى .

Digitized by Birzeit University Library

معركة بلاسي

بينما كانت الشعوب تأتكل في اوروبا ، ونيران الحروب يذكيها جشع الملوك ، فيقذفون برعاياهم في ذاك الاتون الجهنمي ، وقوده المهج والارواح ، طمعاً بدرة جديدة يضعونهابين درر تيجانهم ، او املاً باغتصاب مدنية او افتتاح بلد آمن ، او تشفياً وانتقاماً من خصم لدود . . . بينما كانت الشعوب تأتكل في اوروبا كانت انكلترا تحاول اقتطاف ثمار تلك المجازر الاثيمة ، في الهند واميركا .

وبينما كانت جيوش فريدريك الكبير عاهل بروسيا وحليف انكلترا منقضة على صفوف الجيوش الفرنسوية ، وعاملة على تشتيت شملها في روزباخ عام ١٧٥٧ ، كانت الجيوش الانكليزية تنتصر على عمال الفرنسويين في الهند في السنة نفسها ، ففتكت بهم وبحلفائهم من الهنود في معركة بلاسي .

يمكننا ان نعتبر هذا التاريخ وهذا الفوزحجر الاساس الذي ستشيدعليه انكلترا بنيان امبراطوريتها الاسيوية العظمى .

سجلت معاهدة باريس عام ١٧٦٣ هذا الفوز وانتقلت بلاد الهند من ايدي الفرنسويين الى ايدي الانكليز ومن ذاك اليوم وجدت قاعدة طريق الهند بين قواعد السياسة الانكليزية العامة .

***

Digitized by Birzeit University Library

المحطات

انما الانكليزي الذي يغادر بلاده قاصداً بلاد الهند يرى علم بلاده خافقاً فوق جبل طارق ، باب البحر المتوسط ، ثم يراه فوق ثكنات مالطة ، وعلى جبال قبرص ، ثم في قناة السويس ومصر وسوريا الجنوبية ، وفي عدن والحديدة ، كما ان نفوذ سياسة بلاده سائد في العجم والافغان ، والعراق وجزيرة العرب ... هذه هي طريق الهند .

كيف توصلت انكلترا الى امتلاك هذه الجزر وتأييد نفوذها في تلك الامصار ، هذا ماسنحاول ان نقول كلمة موجزة عنه .

Digitized by Birzeit University Library

١ — البحر المتوسط وطريق الهند

جبل طارق

شاهدنا كيف احتفظ دهاة الانكليز بجبل طارق وامتلكوا ذاك الموقع الخطير والحصن المنيع ، إحد ابواب البحار ، وكيف سجلوا على الاسبانيين انتقاله الى ايديهم عام ١٧١٣ في معاهدة اوتراخت[1]

***

جزيرة مالطة

احتفظ الانكليز بجزيرة مالطة عام ١٨٠٠ وكانوا قد احتلوها قبل ذلك ببضع سنين اثناء حروبهم مع بونابرت ليراقبوا اعماله في البحر المتوسط ويسدوا في وجهه طريق مصر .

كان بونابرت قد رضي عن احتلال هذه الجزيرة . فارسل مرخصه السياسي الجنرال اندريوسي خصوصاً الى لندن للمفاوضة مع حكومتها بهذا الشأن ، لكنه اتخذ الحيطة اللازمة لتنفيذ مآربه : فقال للانكليز انه يمكنهم البقاء في مالطة بشرط ان يسمحوا له باحتلال مدينة تارنتا والبقاء فيها وهي ميناء

---

(١) راجع صحيفة ٣٨

Digitized by Birzeit University Library

واقعة على شواطئ الادرياتيك في البلاد الايطالية ، وهو يرى نفسه فيها اقرب الى مصر والشرق . . . بينما كان يجاهر في باريس بعكس ذلك ، صارخاً في وجه الانكليز وعلى مسمع من الامة الفرنسوية جمعاء :

اما مالطة واما الحرب !

تلك مناقضة لا تخفى على القاري. : يجاهر بونابرت في باريس بضرورة اخراج الانكليز من مالطة ثم يرسل مرخصاً لعقد اتفاق في لندن مناقضاً لتصريحه .

قال الاستاذ بورجوا : « ولسعادة التاريخ بقي اثر هذا الاتفاق محفوظاً في السجلات الرسمية ولم يضع ، مظهراً خيانة بونابرت . اما الحرب التي شهرها على الانكليز عام ١٨٠٣ لم تكن صادرة عن ضرورة ماسة ولا كانت في سبيل الدفاع عن مصالح الامة الفرنسوية التي وضعت بين ايديه جل امانيها ، بل كان الباعث اليها بقاء الانكليز في مالطه ، والغاية منها اخراجهم من هذا الموقع الخطير ، ثم الاستيلاء على ممالك الشرق . »

اثارت انكلترا الرأي العام الاوربي ضد نابوليون المرة بعد المرة وعقدت المؤتمرات ، وامضت المواثيق حتى اخرجته من جميع المناطق التي احتلها اثناء حروبه . لكن ظل العلم البريطاني يخفق فوق جبال هذه الجزيرة التي كانت سبباً لحروب ١٨٠٣ وهو لا يزال يخفق فوقها حتى يومنا هذا .

***

Digitized by Birzeit University Library

جزيرة قبرص

احتل الانكليز جزيرة قبرص اثر معاهدة برلين التي ختمت على الحرب بين روسيا وتركيا عام ١٨٧٨ .

اجمعت اراء المؤرخين السياسيين على ان طريقة تأمين انكلترا مصالحها في تلك المعاهدة هي نهاية في الدهاء والمقدرة . وقال الاستاذ شفر في احدى محاضراته ان بيقونسفيلد وسالسبري سلكا نهجاً سياسياً يجب على كل مرخص سياسي انتُدب للاشتراك بمؤتمرٍ ان يقتدي بهما .

انهزمت الجيوش العثمانية امام الجيوش الروسية واصبح هؤلاء على ابواب الاستانة . فاضطربت اوروبا من اقصاها الى اقصاها لهذا الحادث الهام . واكرهت تركيا على توقيع معاهدة « سان ستيفانو » رغبة في وضع حدٍ لتقدم الجيوش الروسية .

لو تحققت هذه المعاهدة لكانت القضاء المبرم على جميع الولايات العثمانية في اوروبا ولاصبحت روسيا صاحبة الامر والنهي فيها ، والمسيطرة على ماتبقى من ولايات الاناضول .

جاءت هذه المعاهدة في عيون الانكليز كالقذى المؤلم ولم تشأ حكومة سالسبري ان تسمح لاماني روسيا بان تتحقق ، فبعثت باساطيلها الى المضايق ، وهددت روسيا بالحرب اذا كانت ترفض النزول عند ارادتها . وذلك بالطبع ، لا حباً بتركيا ، بل لان انكلترا لا تسوّغ هذا التسيطر الروسي الذي يقضي

Digitized by Birzeit University Library

على نفوذها، ولان حالة اوروبا في ذاك الوقت لاتسمح باقتسام الولايات العثمانية، ولان سالسبري رأى فرصة سانحة للقيام بالواجب نحو امته وبلاده .

اتفقت الدول بعد الجدال الطويل على عقد مؤتمر في برلين منعاً لحرب عامة وحلًا لهذا الفصل المعقد من القضية الشرقية .

دخل مرخصو الانكليز مؤتمر برلين وفي ايديهم وثائق وفي جيوبهم مكافاة . اخذوا عن هذه وتلك امضاآت من الفريقين في السر والخفاء . فحملوا في ايديهم قبول روسيا بشرائطهم ، وفي جيوبهم جزيرة قبرص بكاملها — وقد رضي العثمانيون عن احتلالها من القوى البريطانية ثمناً لخدمات سالسبري وتدخلاته النافعة . كيف لا وقد تقلص ظل التسيطر الروسي عن بلادها وبقيت الولايات الاوروبية في حوزتها ، وفشل برنامج الروس الذي يؤيد تأسيس مملكة بلغارية كبرى . . .

احتلت انكلترا جزيرة قبرص اثر تلك المعاهدة السرية التي انعقدت بين الباب العالي وسالسبري قبل افتتاح مؤتمر برلين والتي يسمح فيها العثمانيون للانكليز بأن يعاونوهم على الدفاع عن املاكهم في آسيا واعديهم بادخال الاصلاح الى ولاياتهم وتحت مراقبتهم . ومن هذا الموقع المنيع اخذت اعناق الانكليز تشرأب الى شواطيء الاناضول وثغور سوريا والقطر المصري .

وهكذا تمت للانكليز غايتهم من تبديد احلام روسيا في الشرق وتعزيز نفوذهم في نظر المسلمين في الهند بحمايتهم سلطان العثمانيين ودفاعهم عن خليفة المسلمين .

Digitized by Birzeit University Library

لم تكن جزيرة قبرص حسب هذه المعاهدة منفصلة انفصالاً تامًّا عن الدولة العثمانية ولا سيما قد ظل للاتراك عليها نوع من السيادة « الاسمية » . ولم تُعتبر انكلترا من الوجهة الحقوقية الدولية مالكة الجزيرة الا بدء الحرب العامة ١٩١٤ حيث الحقتها نهائياً بالامبراطورية الانكليزية .

وما زال العلم البريطاني يخفق فوق مدن الجزيرة وثكناتها وقلاعها . . .

---

٢ — مصر وطريق الهند

سلكت الحكومة الانكليزية للاستيلاء على مصر — رغبة في الانتفاع من مرافقها وتأميناً لطريق الهند — مسلكين :

الاول سلبي : وذلك برفضها للغير حقوقهم بالسيادة كل مرة شاهدت نفسها عاجزة عن ان تسيطر بنفسها : فما لا يمكن ان يكون لها ، لا يمكن ان يكون لسواها .

والثاني ايجابي : وذلك باغتصابها ما تراه ضرورياً لمنفعتها وحفظ كيانها ، وتوسيع سلطانها ، ولو حصل ذلك بهدر الدماء وقتل الابرياء .

نرى حيث وجدت المنفعة الانكليزية ، انتصبت القوة تناضل عنها ، ولو كانت باطلاً . فتساوى في نظر فلاسفة هذه الامة ورجال سياستها معنى

Digitized by Birzeit University Library

الواجب للاخلاقي والقوة المنيعة . فجعلت القوة خادمـــة للمنفعة القومية ، وخلطت بين الاخلاق السامية والقوة المنيعة .

غلادستن

احتلت انكلترا القطر المصري في عهد وزارة غلادستن . وهوالسياسي المعروف كزعيم للاحرار ، ونصير الامم الضعيفة ، وعدو كل سلطة غاشمة ، وبعيد عن ان يؤيد مبادئ الاستعمار ، ومع ذلك يتجلى لنا من احتلاله القطر المصري ، انه مهما تطرف فى افكاره السياسية ، ومهما سمت عقائـــده الاجتماعية ، هوانكليزي قبل كل شيء . . . . حتى قبل ان يكون انسانا ! فلم يشأ ان تفوته الفرصة السانحة للقضاء على حرية امة كاملة لتأمين مصالح بلاده . وهو يرى بلاد النيل ضرورية للانكليز ، وبدونها لايستطيع هؤلاء ان يحتفظوا طويلاً بطريق الهند .

الانكليز ومحمد علي

وعلائق انكلترا بمصر سنة ١٨٤١ كانت مثالاً حيًّا لسياستها السلبية .

شاهدنا في احد فصول القضية الشرقية نهضة مباركة لمحمد علي الكبير في مصر ، سعى فيها لتوحيد القطرين المصري والسوري واعلان استقلالهـما تحت ادارة واحدة .

تآمرت السياسة الانكليزية عليه وعلى الحكومة الفرنسوية . وكانت هذه هي الدولة الوحيدة في اوروبا التي سعت فعلًا وراء معاونة الزعيم في مصر

Digitized by Birzeit University Library

حباً بتأييد نفوذها طبعاً ·

ختم على هذا الفصل بمعاهدة لندن عام ١٨٤١ وفازت انكلترا بفصل سوريا عن مصر مخافة ان تتألف هناك حكومة واحدة قوية تكون عثرة في طريقها الى الهند ، وتقاوم النفوذ الانكليزي في الشرق ·

في ذاك العهد البعيد قاوم الانكليز اول فكرة لتوحيد قطرين عربيين منذ تحكم الاتراك بالاقطار العربية · و كانوا المانع الاكبر لتحقيقها · وما ذلك الا لأن هذه المملكة ستشيد اساس بنيانها في طريق احدى القواعد السياسية العامة وسترفع جدرانها في طريق الهند : هدمت انكلترا جدران ذاك البنيان وقطعت ايدي العمال الذين عملوا في تشييده ·

***

الانكليز والرأي العام الدولي

شعرت الدول التي كان لها مطامع في الشرق ان انكلترا ستكون حائلاً بينهم وبين مطامعهم اذا ناصبوها العداء او تأخروا عن معاونتها في خدمة مصالحها ، واكبر مصالح هذه الدولة في الشرق هي احتلال وادي النيل ·

فهمت روسيا ذاك الموضع الحساس من السياسة الانكليزية ، لذلك رأيناها دوماً تدعو الانكليز الى اقتسام تركة ذاك « الرجل المريض » . وكانت تُفهم انكلترا ان حصتها من هذا الارث هي اولا مصر ···و كريت وانها هي ستسيطر على البلقان ·

Digitized by Birzeit University Library

— واما الاستانة ؟

— وهنا عقدة العقد . فيجيب الانكليز انه من « العدل » معالجة «الرجل المريض » لالقضاء عليه واقتسام تركته قبل انتهاء اجله.

وماهذا الامر بالنظرية المجردة بل كان رسمياً موضوع الحديث عام ١٨٥٣ في بطرسبرج بين مانشيكوف وسفير انكلترا هاملتون سايمور .

ضرب نابوليون الثالث عام ١٨٥٧ على الوتر الحساس نفسه اثناء زيارته الملكة فكتوريا في أوسبورن . فحدثها عن المسألة الشرقية ، وذكر لها ايضاً نزاع « الرجل المريض » وافضى اليها بسره ملمحاً الى انه اصبح من الضروري ان تأخذ انكلترا مصر ، وان تكتفي فرنسا بتونس .

هذان شاهدان يدلان على ان مصر كانت محط مطامع الانكليز وقد شعر بذلك الرأي العام الاوروبي وقام بعض زعمائه بتحقيق رغائبهم طمعاً بالوصول الى ما كانوا يرغبون .

***

استقلال مصر والتدخل الاجنبي

اخذت مصر تحقق امانيها بنوال الاستقلال تدريجاً من ارباب الباب العالي فنالت سنة ١٨٦٧ ارادة سنية اولى تسمح للخديوي بأن يسن مايراه ضرورياً من القوانين الادارية داخل القطر وتنيله الحق ان يعقد مع الدول الاجنبية معاهدات من شأنها تحسين التجارة وتنظيم مرور البضائع الغربية وترقية البريد

Digitized by Birzeit University Library

وتعيين انظمة جديدة ثابتة للاجانب في مسألة الامن العام .

ونالت فرماناً ثانياً عام ١٨٧٢ يمنح الاسرة الخديوية حق التوارث على الطريقة المتبعة في ممالك اوروبا . وكانت الاستانة قبل ذلك تعين خديوياً مَن كان يروقها من ابناء محمد علي .

استعملت الدول هذا الاستقلال لتأييد منافعها في القطر المصري والتدخل في ماليته وقضائه وطريقة حفظ الامن فيه . وابتدأت سياسة انكلترا الايجابية تظهر الى حيز الوجود . فافرغ الانكليز جل دهائهم لوضع يدهم على مصادر الثروة في وادي النيل حتى اصبحت حكومة القاهرة مدينة لحكومة لندن وباريس . . . لكن هنالك مصدر آخر للثروة وحصن قوة منيع نعني به قناة السويس .

قاومت حكومة لندن سنة ١٨٦٩ مشروع خرق برزخ السويس مقاومة كادت تؤدي الى حرمان العالم من انجاز ذاك العمل الهام الذي جاد به فكر مصلح من اكبر المصلحين الذين عرفهم القرن التاسع عشر . لكن فرديناند دي لاسبس انجز عمله الكبير رغم تلك المقاومة — ومنذ ذاك الحين عقدت انكلترا نيتها على امتلاكه وشراء معظم اسهمه .

***

شراء اسهم قناة السويس

قبل ان تحتل انكلترا مصر، احتالت للاستيلاء على معظم اسهم القناة

Digitized by Birzeit University Library

التي انجزها المصلح الفرنسوي . ورغبتها في الدفاع عن القناة كانت احدى البواعث التي حملتها على اغتصاب وادي النيل . ولا يزال حتى يومنا هذا امر الدفاع عن القناة من اهم المشاكل التي تحرم مصر من حقوقها المشروعة .

لما ثار اهالي البوسنه والهرسك على الحكومة العثمانية عام ١٨٧٥ اهتمت اوروبا بمسألة الاصلاح وفكرت في كيفية اكراه الاستانة على اخراجه الى حيز العمل . واتفق الامبراطرة الثلاثة الروسي والنمساوي والالماني ، على تنظيم لائحة والتصديق عليها من دول اوروبا ، والشروع في تطبيقها مباشرة في الولايات العثمانية ، انتصاراً للاقليات المسيحية المتظلمة التي كانت تثور المرة بعد المرة على عمال الاتراك .

لكن ديزرايلي الداهية البريطاني اشار الى الدول ان تتريث ، وتمهل الباب العالى قليلاً قبل تقديم البرنامج ريثما يقوم بتنفيذ مواعيده . وقد قبلت الدول بأعطاء مهلة للدولة العثمانية عملاً برأي انكلترا . . .

لكن ! اثناء هذه المهلة سعى ديزرايلي الذي لا هم له الاخدمة مصالح امته في الشرق ، عاش المسيحيون ام هلكوا ، واي مصلحة لها فيه حاشا تامين طريق الهند ؟ . . . سعى ديزرايلي وفاز في شراء ١٧٧،٠٠٠ سهم بمبلغ مئة مليون — وهي الحصة التي كان يملكها خديوي مصر في شركة قناة السويس .

تمت هذه الصفقة الرابحة سرا . وكانت هذه الاسهم قد عرضت على الحكومة الفرنسوية فأحجمت عن شرائها خشية ان تسيء الى الحكومة

Digitized by Birzeit University Library

الانكليزية .

بعثت الدول ببرنامج الاصلاح الى الباب العالي في اول سنة ١٨٧٦ وهي حانقة على عمل انكلترا . وقد اجابت انكلترا بانها لاتشترك قطعياً بعمل مسلّح في تركيا .

فأخذت انكلترا على هذه الصورة معظم اسهم قناة السويس .

***

الانكليز ومعاهدة برلين

لم يكن الانكليز بأغتصابهم مصر اقل احتيالا مما كانوا يوم اغتصبوا القناة . فترقبوا لذلك الظروف الملائمة .

لما دخلت روسيا في الحرب ضد الدولة العثمانية عقب المذكرة التي تكلمنا عنها ، طلبت انكلترا من حكومة بطرسبرج ان لاتقوم بعمل من شأنه مس منافع الانكليز في الشرق وخصصت في مذكرتها القطر المصري وقناة السويس ... ثم ذكرت الاستانة والمضايق . فاجابتها روسيا بانها توافق على هذا الطلب .

تم الفوز في تلك الحرب للجيوش الروسية . وكادت تقضي على الولايات العثمانية في معاهدة سان ستيفانو ، لولا تدخل الانكليز ومانعامه من دخولهم الى مؤتمر برلين بعد ان ادخل الاتراك في جيوبهم جزيرة قبرص اجرة لخدماتهم الجلى .

Digitized by Birzeit University Library

ظن الانكليز في ذاك الحين انهم يستطيعون تصفية مشاكل « الرجل المريض » وكان بودهم ان يجعلوا القطر المصري من نصيبهم . لكن فرنسا بددت احلامهم ولم تأت الى برلين الا بعد ان قيدت انكلترا بشروط عديدة منها ان لايلقى على بساط البحث مسألة مصر وسوريا . . .

***

احتلال مصر

ومع ذلك نرى في معاهدة برلين مظاهر جراثيم المرض الانكليزي الذي تفشى فيما بعد في القطر المصري . وكلنا يعلم ان تدخل انكلترا وفرنسا لمراقبة شؤون مصر المالية ابتدأت في ذاك الزمن اي عام ١٨٧٨ . وكان قد حاول الخديوي اسماعيل ان يتخلص من هذه المراقبة المزعجة . فتآمرت عليه لندن وباريس حتى خلعتاه وسلمتا مقاليد الامور الى الخديوي توفيق .

وكانت ثورة عرابي باشا سنة ١٨٨١

راى رئيس الوزارة الفرنسوية غامبيتا ان تتدخل فرنسا وانكلترا وتعملا معاً في مصر لارجاع الامن الى نصابه . لكن وزارة غامبيتا لم تعش طويلاً . وتولى فريسينه الرئاسة ، واخذ فرنسا الارتباك ، اذ كانت تخشى من ان تؤدي هذه المشاكل الى حرب عمومية ، وكثيرا ماكان الشرق مصدرا لحروب في اوروبا في القرن التاسع عشر . فاصبحت فرنسا لاتقله شيئاً من قضية مصر ، بسبب هذا الخوف الذي كان مستولياً على رجالها الى ان اقترح فريسينه

Digitized by Birzeit University Library

على انكلترا ، حلاً لكل خلاف ، عرض القضية على مؤتمر دولي يجتمع في الاستانة .

اجابت انكلترا على هذا الاقتراح بالقبول . لكن مع الاحتفاظ بحق التدخل في مصر « اذا مست الحاجة » — وكثيرا مازى لانكلترا مثل هذا الاستدراك في مذكراتها السياسية ، فيكون لها من وراءها مطمع اشعبي .

بينما كان المرخصون السياسيون يقتلون الوقت في الجدال العقيم على شاطيء البسفور ، ارسلت انكلترا اساطيلها الى الشرق، واقتدت بها فرنسا لكن هذه لم تجرأ على سفك الدماء وقتل الابرياء . . . خوفاً من الحرب العمومية التي كانت تتجنبها . ولم تسمع انكلترا الا صوت مطامعها وهي التي تعتقد ان استعمال القوة هو واجب من الواجبات الاخلاقية ، « اذا مست الحاجة » !

فاطلقت بوارج الانكليز قنابلها على قلاع الاسكندرية لمجرد سماعها بثورة عرابي باشا . وانزلت جنودها الى البر . وانجدتهم بجيوش الهند . وتقدمت حتى القاهرة فهزمت جيوشها رجال عرابي باشا في التل الكبير عام ١٨٨٢ واحتلت مصر — بدعوى تأييد الامن فيها . وبالحقيقة عملاً بتلك القاعدة الكبرى : توسيع الامبراطورية الانكليزية وتأمين طريق الهند .

***

Digitized by Birzeit University Library

استقلال مصر

اتخذت انكلترا لنفسها حق الحماية على القطر المصري والسودان . وهي حماية مغتصبة اغتصاباً وهي مايعبر عنها في القانون الدولي بحماية الواقع . ويشابه موقف مصر حالة جزيرة قبرص لان السيادة العثمانية حتى عام ١٩١٤ ظلت على تلك الجزيرة وعلى هذا القطر حقاً دولياً معترفاً به . لكنها كانت سيادة اسمية . والسيادة الفعلية كانت بين ايدي القوى المحتلة .

واعلنت انكلترا حمايتها رسمياً على مصر في شهر كانون الاول عام ١٩١٤ وحولت الخديوي الى ملك . والفرق بين هذه الحماية وتلك ، هو اسقاط كل حق للدولة العثمانية في القطر المصري، وعقد معاهدة بينها وبين ملك مصر يسجل فيها على نفسه الاعتراف بتلك الحماية .

وهناك شروط ووعود لا نتعمق في البحث عنها بل نكتفي بالاشارة الى ذاك الهيجان الذي اشعل نيران الثورة في مصر والسودان والذي اكره الانكليز على اعلان استقلال المملكة المصرية في كانون الثاني عام ١٩٢٢ .

...

لم يبدل هذا الاعلان كثيرا في جوهر الحالة ولاسيما ان انكلترا مافتئت تحتل القطر المصري وتحكم السودان مباشرة . وما فتئت تنكر على جميع الدول حق المجادلة بحقوق مزعومة خاصة بها في وادي النيل .

لم تتبدل حالة الحماية بعد اعلان الاستقلال . ووجود اللورد اللنبي في

Digitized by Birzeit University Library

مصر حتى هذه الساعة، الحاكم الحقيقي يجعلنا نتسائل عن سيادة مصر الحقيقية . ومع هذا فان الفرق بين موقف مصر عام ١٩١٤ وعام ١٩٢٢ كبير لايستهان به خصوصاً من الوجهة الدولية. لكن الانكليز يهمهم الواقع ، وتأجيل حل بعض القضايا لوقت تراه مناسباً للمناقشة ، اطال في عمر جيش الاحتلال. اما النقاط المذكورة في صك الاستقلال والتي يجب الاتفاق عليها فيما بعد فهي :

١ً مسألة قناة السويس .

٢ً الدفاع عن مصر والوقوف في وجه كل اعتداء يطرأ على كيانها من الخارج ، ومقاومة كل تدخل اجنبي .

٣ً حماية المصالح الاجنبية في مصر وحماية الاقليات .

٤ً السودان ! ...

فهل نعجب بعد هذا كله اذا سمعنا اخواننا المصريين يطالبون بأن تكون الكلمة لهم في بلادهم ؟ . .

***

حق القوة وسياسة الشدة

اعتدى فريق من المتهوسين على شخص السردار ستاك حاكم السودان ، وقضى هذا الاعتداء الفظيع على حياة حاكم انكليزي . وكل منصف يقبح هذا العمل ، لان الالتجاء الى القتل للوصول الى غاية مهما كان شأنها ماهو الا مثال للحطة والدناءة .

Digitized by Birzeit University Library

لكن هذا الاعتداء لايجب ان يرجع بأمة تدعي قيادة البشر لبلوغها اقصى درجات المدنية ، الى عهد الهمجية الاولى : لاشك ان هنالك اثماً بل اثماً فظيعاً ، والقاتل وحده مسؤول عن عمل القتل ، في القرن العشرين . وقد انقضى العهد الذي يجعل العائلة او القبيلة او الامة متضامنة متكافلة ، لجريمة اقدم عليها احد افرادهـا . وتطور العقلية الانسانيـة جعل التبعة شخصية صرفة : كل مسؤول عن عمله .

اتهمت الحكومة الانكليزية الامة المصرية جمعاء بمقتل السردار ستاك . وحملتها اعباء الجرم ، وقتلت استقلالها ، وحكمت عليها حكما اجمالياً مثقلة ابناءها بقيود . . . وهناك حاجة في نفس يعقوب .

. . .

وجه ممثل بريطانيا العظمى هذا الكتاب الى ملك مصر :

« أبلغ جلالتكم من قبل حكومة صاحب الجلالة البريطانية مايأتي :

« قتل قتلاً وحشياً بالقاهرة الحاكم العام للسودان وسردار الجيش المصري الذي كان ضابطاً ممتازا في الجيش البريطاني .

« وتعتبر حكومة صاحب الجلالة البريطانية هذا القتل — الذي يعرض مصر على ماهي محكومة الان الى احتقار الشعوب المتمدنة — النتيجة الطبيعية لحملة عدائية ضد الحقوق البريطانية والرعايا البريطانيين في مصر والسودان . وهذه الحملة القائمة على جحود مستهتر لما اسدته بريطانيا العظمى من المعروف لم تعمل حكومة دولتكم على تثبيطها بل اثارتها هيئآت لها اتصال وثيق

Digitized by Birzeit University Library

بهذه الحكومة .

« ولقد انذرت حكومة صاحب الجلالة البريطانية دولتكم منذ اكثر من شهر بالنتائج التي تترتب على العجز عن ايقاف هذه الحملة وبنوع خاص فيما يتعلق بالسودان .

« لم تقف هذه الحملة بل تركت الحكومة المصرية الحاكم العام للسودان يقتل واثبتت انها عاجزة عن حماية ارواح الاجانب او غير راغبة في هذه الحماية . »

...

— ثم ماذا كان بعد هذه الاهانة الاولى ؟

— نقلت شركة هافاس البرقية النبأ التالي :

« القاهرة في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٢٤ — ذهب سعادة المرشال اللنبي يحفره فرقة من الخيالة الى منزل معالي سعد باشا زغلول وسلمه انذاراً جاء في اهم نقاطه :

١ً الاعتذار من قبل الحكومة المصرية بسبب الاعتداء على السردار ستاك باشا .

٢ً مجازاة المعتدين .

٣ً منع التظاهرات السياسية .

٤ً دفع غرامة نصف مليون جنيه .

٥ً عزل الضباط المصريين الملحقين بفرق السودان في مدة ٢٤ ساعة .

٦ً زيادة غير محدودة للارض الصالحة للزراعة في الجزيرة .

Digitized by Birzeit University Library

٧ً اخذ التدابير لحماية الاجانب والاحتفاظ بمستشار انكليزي في المالية . ومستشار في العدلية . ومكتب اوروبي في نظارة الداخلية . »

...

الامة المتاجرة ، الامة الاستعمارية ، تستفيد من قتل احد ابنائها للقضاء على حرية امة بأسرها ، واغتصاب السودان والسيطرة على سيادة مصر الداخلية والخارجية !

وهنا نمسك القلم عن المقابلة بين النظريات والوعود التي صرح بها رجال السياسة الانكليزية لدول اوروبا كافة وللامة المصرية بصورة خاصة ، وبين الحوادث الاثيمة التي قامت بها سياستها منذ احتلال وادي النيل بادعاء تأييد الامن فيه الى بقائها اليوم بحجة الدفاع عن ارواح الرعايا الانكليزية .

وهذا يكفي لنعلم ان لا مسيّر للانكليز في هذه الاعمال الا تأمين مصالحهم الذاتية ولو قتلوا باعمالهم هذه حرية امة بأسرها .

Digitized by Birzeit University Library

٣ — العجم والافغان

عقدت انكلترا مع الحكومة الروسية اتفاقاً عام ١٩٠٧ من شأنه حل كافة المشاكل التي فرقت ما بين الحكومتين سواء في العجم او في الافغان او في جبال التيبت وهذه البلاد جميعها محطات في طريق الهند . وكان لفرنسا الفضل في انجاز هذ الاتفاق ففاوضت الحكومتين ساعية في توطيد العلائق بينهما رغبة منها في تعزيز الاتفاق الثلاثي — وهذا ايضاً من غرائب السياسة .

اما بلاد العجم فقد قسمتها هذه المعاهدة الى ثلاث مناطق : الاولى منطقة شمالية خاصة بالنفوذ الروسي ، والثانية منطقة جنوبية خاصة بالنفوذ البريطاني ، والمنطقة الثالثة وسطى بين هذه وتلك تعاهدت الدولتان على ان لا تتدخلا فيها الا بعد ان تستشير الواحدة الاخرى .

اما بلاد الافغان فقد اعترفت روسيا بمطامع انكلترا فيها وكانت هذه قد امضت معاهدة مع الحكومة الافغانية تجعل فيها جميع البلاد تحت حمايتها وقبلت روسيا ان لا تفاوض الحكومة الافغانية الا بواسطة حكومة لندن .

واتفق الفريقان ، الانكليز والروس ، على ان يعتبرا جبال التيبت تابعة لقواعد الحياد وان لا يفاوضا حكومتها الا بواسطة الحكومة الصينية .

***

Digitized by Birzeit University Library

هدمت الحرب ما بناه اتفاق ١٩٠٧ والحالة في هذه البلاد اليوم هي حالة قلقة . والنفوذ الانكليزي اخذيتزعزع اثر يقظة الشعوب وتحسسها بحقوقها والطموح الى نوال هذه الحقوق المهضومة .

وعادت مطامع الانكليز تصطدم بطامع الروس البلاشفة فيستفيد الفريق الثاني من تطلع الشعوب المحكومة على نفسها الى الحياة الاستقلالية حتى يحارب النفوذ الانكليزي سواء في الافغان او العجم وسواء في جبال التيبت التي تتجاذبها اليوم لندن وموسكو كما لو كانت الحال في اشد المواقف العدائية بين انكلترا وروسيا . واميد الافغان يتناول الاسلحة من موسكو كما لو كان الامر في اثناء غارات الانكليز الاولى على الهند .

قالت جريدة الارز في مقال عربته عن الطان [1] :

« وهنالك ايضاً حادثان مهمان عززا تهديد مكانة آسيا البريطانية ومناعة طرقها التاريخية . احدهما الفوضى السائدة في الصين وازديادها بين يوم وآخر، وما ينتج عنها من اخفاق المسعى بالوحدة وتعزيز نفوذ سفير السوفييت وظهور (سن يات سن) وتهديده المصارف الانكليزية الهندية .

اما الثاني فهو خذلان سلالة الحسين ، فأن الحسين قد خسر مكة، وولده فيصل كاد يضيع العراق ، وورثه الآخر عبد الله قد تقلقل عرشه في عبر الاردن . فلو ان هذه السلالة توفقت الى الوحدة العربية لكانت فتحت

---

(١) جريدة الارز عدد ٣٨١ في ٢٢ كانون الثاني سنة ١٩٢٥

Digitized by Birzeit University Library

لانكلترا سواء كان بالقطر او بالسيارات والطيارات الطريق القديمة العهد بين الهند والبحر المتوسط . ولكن انتصار ابن السعود قد دك اساس هذا البناء في حين كان يهوي في العجم تاج الاكاسرة » .

نروي ما قالته جريدة الطان وما عربته جريدة الارز لعلاقته الماسة بموضوعنا واننا بصورة خاصة نلفت نظر القاري، الى النتيجة التي تصل اليها الطان في تعليلها حوادث الشرق فاننا لانرى رأيها في ما يرجع الى خذلان سلطان الحجاز وفوز ابن السعود ولقد مرت عليها « البلغة » كما مرت منذ ثلاثة اشهر على عبد الغني سني بك يوم ظن ان الانكليز هم يسعون لتحقيق الحلف العربي وان السلطان ابن السعود يخذل سياستهم بخذلانه سلطان الحجاز . وكنا قد ارسلنا الى جريدة الاحرار المقال التالي الذي نثبته هنا لعلاقته بروح الموضوع .

Digitized by Birzeit University Library

٤ — الحلف العربي والسياسة الانكليزية (١)

سني بك ومنقذ العرب — السياسة الانكليزية — نجد والاتراك — نجد والفرنسويون — خذلان ام انتصار — نظريتنا : الانكليز اعداء الحلف العربي — التحليل العلمي : قاعدة طريق الهند — الشاهد التاريخي : محمد علي وتوحيد سوريا ومصر — حادث الشرق العربي — ماذا قلنا وما نزال نقول

اقرأ الان في جريدتكم الغراء خبر مقال ارسله من القاهرة عبدالغني سني بك مكتوبجي بيروت السابق الى جريدة « جمهوريت » يصف بها السلطان ابن السعود . وقد عد في رسالته هذه « ابن السعود منقذ البلاد العربية ومحرر جزيرة العرب من الاستعمار البريطاني ، ويبدي سروره من انخذال جيش الملك حسين . . . »

اقرأ هذا الخبر وافكر في تأثير موضوعه على جمهور المفكرين في سوريا وما يتأوله « المشتغلون بالسياسة » في هذا البلد منذ اول هجوم اصطدمت فيه قوى ابن السعود بجنود سلطان الحجاز وما تلاه من سقوط الطائف ودخول امير البادية مكة المكرمة .

---

(١) مقال نشره المؤلف في جريدة الاحرار في ١٩ تشرين الثاني سنة ١٩٢٤

Digitized by Birzeit University Library

فمن قائل ان في اتخذال سلطان الحجاز اتخـذال السياسة الانكليزية . وذهب هذا القول الى جميع العقول وآمن به كل من اشتغل بالسياسة او خط سطراً في قضية الحجاز والانكليز وقد جادلني فيه اديب ليلة امس مستشهداً بما كتبه السيد اديب الصفدي في جريدة « المقتبس » معتقدا الاعتقاد كله ان هذه حركة ضد الانكليز وان هؤلاء يأخذون الحيطة لانفسهم لدرء الخطر ويحاولون ان يخدعوا سلطان نجد بارسال المستر فيلبي والمسز روزيتا . . .

ومن قائل ان الاتراك يعاونون السلطان ابن السعود على هلاك من اهاج عليهم ثورة البلاد العربية ، وبالتالي القضاء على السياسة الانكليزية وهي عدوة لهم منذ عملت ايديها على معاونة الجيوش اليونانية في الاناضول فثلما هم خذلوا تلك السياسة في الاستيلاء على ازمير وطرد اليونان الى البحر ، كذلك عاونوا السلطان ابن السعود على خذلان السياسة الانكليزية ، بدخوله مكة المكرمة وطرد سلطان الحجاز منها . ووجد الكثير ممن « يشتغلون بالسياسة » عندنا صواب هذا الرأي .

ومن قائـل ان الفرنسويين في الشرق هم عاونوا ابن السعود في نهضته الاخيرة . ولا غاية لهم سوى القضاء على السياسة الانكليزية التي تود تأليف حلف عربي كبير ، وهذا نوع من الحيطة ، خصوصاً والانكليز لم يخفوا عن اعين الفرنسويين خطر هذا الحلف على النفوذ الفرنسوي ، فاختار هؤلاء لاعمالهم السياسية شريكاً لهم في الجزيرة وامدوه بما استطاعوا من قوة للقضاء على سلطان الحجاز ، وسيط ذاك الحلف ، وقضوا في الوقت نفسه

Digitized by Birzeit University Library

على السياسة الانكليزية .

***

نرى في هـذه النظريات الثلاث فكرة ثابتة تؤيدها جميعها الا وهي : انخذال السياسة الانكليزية في الشرقمن وراء انخذال جيوش سلطان الحجاز فهل يرى القاريء ما يوجب الريب ؟ ...

اما هذا العاجز فيجرأ ويقول ولو دهش القاريء مما يقول : انني لم ارَ عهداً انتصرت فيه السياسة الانكليزية في الشرق منذ دخولها البلاد مثل انتصارها الحاضر .

***

هذا تأييد مجرد ، مثل الاقوال الثلاثة التي سمعناها ، لكن الفرق بينه وبينها (وهذا الفرق لا يستهان به) هو انه لا يستند القائلون الى الان بهذه النظريات الى حجة علمية او الى حادث تاريخي يؤيـد اقوالهم بينما نحن لن نكتفي بهذا التأييد المجرد بل سنعلله التعليل العلمي اللازم وسنبحث عن موضعه من قواعد السياسة الانكليزيةالعامة التي سيرت الى الان رجال الانكليز في اعمالهم ، ويستند تأييدنا الى قاعدة تأمينطريق الهند . وبناء على هذا اقول :

اولا — انكر على الذين يعتقدون ان الانكليز يودون تحقيق الحلف العربي ، اعتقادهم هذا . لان انشاء مملكة او حلف قوي في الشرق يكون عثرة كبرى في طريقهم الى الهند ، خصوصاً اذا استطاع هذا الحلف ان يصل الى استقلاله المنشود . وقد ادركت السياسة الانكليزية هذا الامر ، فوعدت

Digitized by Birzeit University Library

لكن شتان بين الوعد والانجاز بل كان اول اعمالهـا دس الجراثيم القتالة في ذاك الكيان الجديد فاخذت لنفسها المقاطعة اللازمة لها ولسياستها وجعلتها مستعمرة للتاج البريطاني وابتدأت تخلق فيهـا وطناً قومياً لشعوب مبعثرة في اقطار العالم لا تجمعهم رابطة ولا يستطيعون ان يتفاهموا كما تتفاهم الجماعات الواحدة وهي اليوم تبيعها من الجمعيات اليهودية المشتتة في انحاء اوروبا واميركا وما ذلك الا لانها تريد ان تدافع عن قناة السويس وتؤمن طريق الهند .

ولا نتعمق في بحث القواعد السياسية التي يسير عليها الانكليز في علائقهم الخارجية ويهمنا ان يعلم القارئ ان طريق الهند هي احـدى هذه القواعد . وقد سنحت الفرص للامة الانكليزية لتعمل عـلى تأمينها . واي مثال اوضح من المنهج الذي سلكوه يوم اثاروا الرأي العام الاوربي سنة ١٨٤١ على محمد علي الكبير في مصر . وكان قد سعى لتوحيد القطرين السوري والمصري واعلان استقلالهما عن الدولة العثمانية تحت ادارة واحدة .

ختم على هذا الفصل من القضية الشرقية بمعاهدة لندن وفازت انكلترا بفصل سوريا عن مصر مخافة ان تتألف هناك حكومة واحدة تكون عثرة في طريقها الى الهند وفي ذاك العهد البعيد قاوم الانكليز اول فكرة لتوحيد قطرين عربيين منذ اجتياح الاتراك للاقطار العربية ، وكانوا المانع الوحيد لتحقيقها لان فرنسا كانت تناصر محمد علي وسعت فعلاً وراء معاونة الزعيم في مصر حباً بتأييد نفوذها طبعاً .

هدمت انكلترا جدران ذاك البنيان الذي حاول ان يرتفـع في طريق

Digitized by Birzeit University Library

الهند ، وقطعت ايدي العمال الذين عملوا على تشييده ، ولعمري كيف يحق لهم ان يستسلموا الى مواعيد امة كانت ولن تزال من ألد خصوم الحلف العربي.

***

ثانياً — انكر عليهم اعتقادهم ان السياسة الانكليزية قد انهزمت بانهزام جيش سلطان الحجاز بل اذهب الى ابعد من هذا واقول ان الانكليز يستعينون بسلطان نجد للقضاء على الحلف العربي الذي يوهمون الناس انهم نصراؤه .

ومتى سلمنا ان الانكليز لا يناسبهم تأسيس مملكة قوية تكون حائلاً بينهم وبين الهند يسهل علينا فهم الطريقة التي استعملوها للقضاء على فكرة اصبحت تزعجهم وما لنا الا ان نذكر الحوادث التي سبقت كارثة الحجاز من هجوم سلطان نجد على منطقة الشرق العربي وما عقبها من احتلال الانكليز عمان ، وما اعتقده من نواياهم بضرورة ضم هذا الشق من سوريا الجنوبية الى الشق الثاني الذي اصبح مستعمرة للتاج الامبراطوري . . . فما لنا الا ان نذكر كل هذا لنعلم حقيقة السر من السياسة الانكليزية في طريقها الى الهند .

وقعت الحكومة الانكليزية عهودا ومواثيق ووعدت بتحقيق الحلف العربي وكلما شدد زعماء النهضة العربية وفي مقدمتهم سلطان الحجاز في ضرورة انجاز هذه المواعيد كنا نسمع بحركة لجيوش امراء البادية . حتى ذهب ممثل الحجاز اخيراً الى لندن واعلم وزارة العمال عن آمال وليه . وجرى هناك على حدود سوريا الشمالية وقوع حوادث القتل واحتجاج الحكومة

Digitized by Birzeit University Library

الفرنسوية عليها. فهجم سلطان نجد على الشرق العربي واجتاح البلادحتى عمان وكنا اول من كتب في هذا الموضوع مقالا في حلب قلنا في اوله :

« احتل امس الجند البريطاني مدن حكومة الشرق العربي . وربما سمعنا غداً بان هذه الحكومة اصبحت كالشق الثاني من سوريا الجنوبية : مستعمرة للتاج الامبراطوري . وعلى هذه الصورة يكون الانكليز قد رفعوا الستار موقتاً على رواية في الشرق . ابطالها وممثلوها وضحاياها من ابناء الشرق . . »

وقلنا في اخره :

« لا يقدر العرب على ان يحتجوا على حلفائهم اذا اعلن هؤلاء ضم الشرق العربي الى فلسطين لانهم يشيرون الى البادية قائلين : ومن يكف عنكم شر هذا ؟ — كما ان الحكومة الفرنسوية لا تستطيع الاحتجاج على هذا التسيطر الاستعماري الجديد لان انكلترا ستجيبها : لم اقم بهذا العمل الا رغبة في تأييد السلام واجابة لطلبك بضرورة حفظ البلاد من تعدي رجال الحكومة الذين تشتكين منهم . ويكون تم للانكليز مأربهم ويعلن حينئذ «البيشروش» اسم مأساته الجديدة : توحيد سوريا الجنوبية وجعلها مستعمرة للتاج الامبراطوري دفاعاً عن قناة السويس وتأميناً لطريق الهند »

***

كنت كتبت ذاك المقال قبل ان اعلم شيئاً عن نوايا سلطان نجد من الهجوم على الحجاز واستناداً الى نبأ برقي ، وعلى ما اعلمه من روح السياسة الانكليزية . وكنت اعتقد ان لانكلترا يدا في هذه الضحايا التي تقدم على

Digitized by Birzeit University Library

مذابح المطامع الاشعبية ولم اجد الى الان ما يعدل في اعتقادي . وهذا مايجعلني اتساءل اليوم لماذا حول سلطان نجد انظاره عن الشرق العربي ، ولماذا لم يتم سيره حتى البحر، فتصدق فيه نبوءة سني بك ولقد جيش الالوف لهذه الغاية. ولماذا عقب ذاك الهجوم سكون طويل ثم سمعنا باجتياحه المملكة الحجازية ؟

وهناك اجوبة عديدة اظهرت لنا مايرمي اليه سلطان نجد من الانتقام والتشفي من عدوه الشخصي السلطان حسين. وعلمنا منها رغبته بتحقيق الدعوة العربية طاهرة من كل تدخل اجنبي . وسمعنا منها ما رواه البعض من تدخل الاتراك والفرنسويين مما ذكرناه في اول هذا المقال. لكني اخال سماع جواب اخر بين شفتي «بيشروش» الانكليز لما هجم سلطان الرياض على الشرق العربي وكانه يقول له :

هناك ، مهما شئت . اما هنا ، فلا !

وانكلترا لم تزل تستعين بفريق من ابناء العرب لمقاتلة فريق اخر . وفوز سلطان نجد واحتلال الحجاز يريح رجال السياسة الانكليزية من مطاليب زعيم النهضة العربية وحليفهم الذي لا تتفق مصالحهم مع مصالحه ولذلك رأيناهم يعيرون لنداء ممثله في لندن اذناً صماء

***

لا تنافي هذه النظرية معاونة الاتراك لسلطان نجد ولامعونة الفرنسويين ان تحققت . لكن ارى هذه وتلك جديرتين بالاهمال مادام نصراؤها لم يقيموا الشواهد المقنعة لاثبات واحدة منهما واذا افترضنا انهم توصلوا الى ذلك ، ألفت نظر

Digitized by Birzeit University Library

القاري الى هذه النتيجة : اذا صح ان الانكليز هم اعداء الحلف العربي فيراوغون في انجازه ويعملون في السر على تهديمه وهذا ما هو ثابت لدي ثبوت الحقيقة العلمية . كم يكون الاتراك والفرنسويون اذا صحت معلوماتهم لسلطان نجد قد خدموا مصالح الانكليز من حيث لا يعلمون ؟

---

٥ — بلاد العرب وطريق الهند

المناهج الثلاثة

سلكت السياسة الانكليزية في بلاد العرب ثلاثة مناهج للاستعمار : الاول : الالحاق ، الثاني : الحماية ، الثالث : الانتداب . وجميعها سبل اذا اختلفت في لينها وشدتها ، في مرونتها وصلابتها ، اتفقت في غايتها واوصلتها الى ضالتها المنشودة : بسط سلطانها وتأييد نفوذها في بلادٍ اذا امتلكتها كانت بلا ريب درة جديدة في التاج الامبراطوري كيف بها اذا كان لها في تلك السياسة مآرب اخرى . . . مثل المحافظة على طريق الهند ؟

أ — طريق الالحاق ، وما اقصره وما اقربه الى الاستيلاء ، بل هو الامتلاك بكل معاني الملكية : اطلاق مدفع ، وتدمير قلعة ، وانزال

Digitized by Birzeit University Library

جيوش الى البر ، ورفع العلم البريطاني ! هذا اسلوب ناجع طالما استعملته الامم القوية تجاه الامم الضعيفة ، وهذه ايضاً طريق للاستيلاء طالما سلكها اللصوص في الغابات والبراري — دولية كانت ام فردية ، فهي لصوصية على الحالين.

٢ — طريق الحماية ، وما اطوله حيناً وما الينه . لكن مهما طال فهو موصل حتماً الى الغاية ولو بصورة سلبية اي لم يعد من الضروري ارسال قوى مسلحة واحتلال البلاد ويكفي ان يقيّد ولي القطر بمعاهدة من شأنها قطع آمال ومطامع كل دولة ما سوى الانكليز في ذاك البلد . لايحق مثلاً لذاك الامير ان يفاوض دولة اجنبية الا بواسطة الانكليز ، ولا ان يستقرض مالا الا من مال الانكليز ، ولا ان يستجلب متخصصين فنيين لاجراء الاصلاح داخل بلاده الا اذا كانوا من الانكليز ، ولا ان يمنح امتيازاً بمشروع عمراني الا لشركة رأسمالها ورجالها انكليز ، ولاان يأذن لدولة غير دولة بريطانيا العظمى بأن تمتلك شبراً من الاراضي التي هي تحت حوزته . وغير هذا مما يمكن ان تتضمنه تلك المعاهدة بين بنودها وما يختلف بأختلاف الازمنة والامكنة ، فتختلف بشدتها ولينها ، بصلاحيتها ودرجة تدخلها .

٣ — طريق الانتداب ، وقد عرفناه واطلعنا على روحه الحقيقية في اول هذه الرسالة ، وهناك اختلاف في التعبير ، اذ لا يليق بالقرن العشرين الذي نا:ى بمبادئ جديدة الا ان يستعمل للاستعمار مفردات جديدة ، فبدل الالحاق والحماية دعى ذاك الاستعمار انتداباً . تلك تسمية جمعت فأوعت ، وشملت جميع ما في التعابير والمناهج السابقة من اللين والشدة . فبينما نرى العراق

Digitized by Birzeit University Library

في مصاف الدول له وحدته وقانونه الاساسي وشيء يسير او كثير من سيادته الداخلية والخارجية يعقد مع الانكليز معاهدة ربما كانت شبيهة بطريق الحماية ، نشاهد فلسطين وقد قضى عليها وعد بلفور ، فجعلها مستعمرة للتاج الامبراطوري ، وانزلها في المزاد العلني منادياً «حراجاً» اولا ، وثانياً ، وثالثاً . على شركات اليهود المبعثرة في اطراف العالم !

***

ميناء عدَن

اختار الانكليز بالقرب من باب المندب مدينة عدن التي تشرف على المحيط الهندي ، وتحرس طريق الهند هناك كما يحرس جبل طارق باب البحر المتوسط . وهي موقع منيع وحصن حصين ومركز ممتاز للتجارة . فكر الانكليز بالاستيلاء عليها عملاً بالقاعدة الاولى والثانية من سياستهم الخارجية : الاحتفاظ بطرق البحار وتأمين طريق الهند .

حاموا حول تلك المدينة عشرات السنين ولم يهدأ لهم بال حتى رفعوا العلم البريطاني فوق قلاعها وكان ذلك عام ١٨٣٩ . وهي اليوم بالرغم من ردائة هوائها وردائة مائها احدى المحطات التجارية التي يغار عليها الانكليز غيرتهم على ارواحهم ويناضلون عنها مناضلتهم عن جبل طارق والسويس .

احتلوا المدينة اثناء العراك الذي حدث بين محمد علي والسلطان عبد المجيد . وكان ولي مصر يهدد السياسة الانكليزية ومصالحها في طريقها الى الهند يوم

Digitized by Birzeit University Library

اجتاح البلاد العربية . ولما كان الانكليز يخشون من ان يقضى على تجارتهم في الشرق رأوا ان يتفقوا مع العثمانيين على زعيم مصر وطلبوا منهم ميناء عدن.

قبل الاتراك تلك المساومة لا سيما ان سلطتهم على عدن كانت وهمية والعرب وحدهم كانوا اصحاب الكلمة فيها وامراء لحج هم اسيادها الحقيقيون. لكن الانكليز لا يصعب عليهم الاستفادة من الفرص السانحة وهم يترقبونها وكثيراً ما صرفوا همهم في سبيل ايجادها :

غرق لهم مركب صغير بالقرب من الميناء ، وصادف ان استولى عليه العرب واخذوا ما فيه . فتذرع الانكليز بهذا «السبب الهام» وارسلوا قوة حربية الى سلطان لحج . ففاوضه قائد الحملة بأمر التعدي على مالٍ انكليزي وابرز اليه الاتفاق الذي فيه يمنح العثمانيون الانكليز حق الاستيلاء على المدينة .

لم ترق هذه الصفقة سلطان لحج وابى الخضوع الى سلطة لا يعترف بها تتصرف كيفما تشاء بحقوقه وتساوم الغير بملكه .

اطلق القائد الانكليزي المدافع على المدينة ، ودمر قلاعها ، واحتلها عنوة ، ورفع علم بلاده فوق روابيها وهو الى اليوم يخفق فوق عدن ويمتد ظله الى ما وراء عدن . . .

هذا مثال عن طريق الالحاق الذي اشرنا اليه وهذا هو حق القوي على الضعيف : مشت المنفعة في مقدمة اعمال الانكليز ، وسارت القوة وراءها وفي يمينها سيف مسلول ، فتغلبت منفعتهم على حقوق اصحاب البلاد .

Digitized by Birzeit University Library

الحديدة

هي ميناء صنعاء عاصمة الامام يحيى الذي كان حليف الاتراك اثناء الحرب العامة بعد ان ناصبهم العداء نصف قرن . والامام لا يمزق المعاهدات التي وقعها ، وهو اذا وعد انجز ، شأن الاحرار من العرب : وعدهم دين . فكلفته استقامته ثمناً غالياً وخسر الحديدة .

ظل الاتراك في الحديدة حتى منتهى الحرب العامة فجاءهم الانكليز من عدن اثر الهدنة ليخرجوهم من بلاد ليست لهم . فدمروا البلد الامن وقتلوا كثيراً من اهله واخرجوا الاتراك منه واحتلوه .

لما خرج الاتراك من اليمن اصبح الامام يحيى صاحب البلاد الشرعي . فارسل الى الانكليز يطلب اليهم ميناء عاصمته ، فوعدوا خيرا . . . وعدوه كما وعدوا سواه . وهو الى اليوم لا يزال يطالب بحقه كما يطالب سواه من اصحاب الحقوق المهضومة من الانكليز .

لا جدال بأن الوجهة الحقوقية هي بجانب الامام ، ولا جدال بأن الانكليز هم مغتصبون . لكنهم وعدوا أن يسلموه المدينة وسلموها . . . الى خصم الامام : السيد الادريسي ، ولي جيزان وصاحب عسير ، وحليفهم .

اتبع الانكليز في جزيرة العرب سياسة التفرقة ، فعقدوا معاهدات مع الادريسي ووعدوا الامام يحيى بأرجاع حقوقه اليه ، واتفقوا مع ابن السعود سلطان نجد ، وحالفوا السلطان حسين بن علي زعيم الوحدة العربية الكبرى .

Digitized by Birzeit University Library

اننا لا نتعمق في شرح تلك المعاهدات ، هـذا ما سنرجع اليه في رسالة اخرى . ويهمنا هنا ان نعلم ان السياسة الانكليزية في بـلاد العرب هي سياسة اغتصاب ، سياسة دهاء ومكر اكثر مما هي سياسة عنف ، تدعمها سياسة التفريق التي وجدت استعداداً طبيعياً في حزازات العرب وانقسامهم على انفسهم : كل آمن بالانكليز ووثق بمواعيدهم ، وكل حليفهم توطد المعاهدات صلات الصداقة بينه وبينهم . لكن كل منهم عدو لاخيه ، فلم يصدق فيهم المثل : حليف صديقنا هو صديقنا : — وكل منهم يستعين بمال وسلاح الانكليز للايقاع باخيه وبلاد اخيه .

قال السيد الريحاني : (١)

« ومما يجهله الافرنج والعرب ان السيد محمداً (الادريسي) كان اول من انضم الى الاحلاف من امراء العرب ، واول من حمل في البلاد على دولة الترك حليفة الالمان . فقد عقد معه الانكليز بواسطة حكومتهم في عـدن المعاهدة الاولى في نيسان سنة ١٩١٥ التي بموجبها تعهدوا ان يقدموا له السلاح والمال ، ويحموا اساكل بلاده من التعديات الخارجية . فباشر في الشهر التالي القتال . خرج ابن عمـه السيد مصطفى في اثني عشر الف مقاتل الى قرب صَعده ، وشمالا في تهامة الى القنفذة : ولكن الادريسي بعد ان استولى عليها في ١٠ تموز سنة ١٩١٦ اخلاها للملك حسين اكراماً لاصدقاءه الانكليز الذين

---

(١) امين الريحاني في كتابه ملوك العرب صحيفة ٢٧٣ و٢٧٤

Digitized by Birzeit University Library

عقد معهم معاهدة ثانية في كانون الثاني سنة ١٩١٧ تتعلق بجزيرة قرَسان التي كان قد اخرج الحامية التركية منها واستولى عليها .

« ولانستغرب سياسته الروحية والمدنية واستعانته بالانكليز وهو ، في تجهيز العساكر والدفاع عن نفسه في بلد يُعدّ فيه دخيلًا يحتاج دائمًا الى المال والسلاح . فخراج عسير لا يتجاوز مئة الف الريال اي اثنا عشر الف جنيه شهرياً ، منها ثلاثون الف ريال من الحديدة . »

يخدم امراء العرب مصالح الانكليز حرس طريق الهند وينفذون ارادتهم بالحرف الواحد . وقد افلح الانكليز بسياستهم لتأييد نفوذهم . وهم يصرفون قليلًا من المال ، ويجدون جيوشاً مجندة لا عنصر للانكليز فيها الا المخاتلة والخداع ، تلك هي المأساة التي يمثلونها في اقاصي الجزيرة : مأساة ممثلوها وضحاياها ، وابطالها من ابناء العرب .

لم تقل السياسة بعد كلمتها الاخيرة في الحديدة ميناء صنعاء لان الانكليز بتقديمهم اياها هدية الى حليفهم الادريسي اقاموا في سبيل تفاهم الاميرين العربيين عثرة لا تذلل صعابها . فاذا تفاقم الامر ووقع ما يخشاه الانكليز وزحف الامام يحيى على عدن لاخراجهم منها يزحف السيد الادريسي ، مقاتلًا اخاه العربي انتصاراً لمطامع حلفائه .

يرجع نوع تسيطر الانكليز على عسير الى طريق الحماية التي قلنا كلمتنا فيها . فليس لهم هناك جنود ، بل نرى وكيلًا سياسياً هو صاحب الامر والنهي ، لا يستطيع صاحب عسير ان يستغني عن نصائحه .

Digitized by Birzeit University Library

نجد : المعاهدة النجدية البريطانية [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لما كانت الحكومة البريطانية السامية من جهتها وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل السعود حاكم نجد والاحساء والقطيف وجبيل والبلدان والموانى التابعة لها من جهته وجهة ورثته واخلافه وقبائله راغبين في تأييد وتقوية الروابط الودية السائدة بين الطرفين منذ زمن بعيد ولتصفية مصالحهم المختصة بهم فقد عينت الحكومة البريطانية العقيد السر برسي كوكس . ك سي . اس . اي . ك . سى . آي . ئي . الممثل البريطاني في خليج فارس سفيراً مفوضاً لعقد معاهدة لهذا القصد مع عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل السعود .

وقد اتفق العقيد المشاراليه السر برسي كوكس وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل السعود المعروف فيما يلي بابن السعود على المواد الاتية :

« ١ »

تعترف الحكومة البريطانية وتقبل بان نجد والاحساء والقطيف وجبيل وما يتعلق بها واراضيها التي ستذكر وتعين فيما يلي وموانئها على سواحل خليج

(١) نقلا عن جريدة « المعرض » العدد ٣٥٣ في ٢٠ ت ٢ سنة ١٩٢٤

Digitized by Birzeit University Library

فارس هي بلاد ابن السعود وابائه من قبله وتعترف بهذا بابن السعود حاكماً مستقلًا عليها ورئيساً مطلقاً على قبائلها ومن بعده بابنائه وانساله بالارث ولكن اختيار الفرد يكون بتعيين الحاكم الحي لخلفه بشرط ان لا يكون خصماً معادياً للحكومة البريطانية في اي حال من الاحوال اي في الشروط المدرجة في هذه المعاهدة مثلًا .

« ٢ »

في حالة تجاوز اي دولة اجنبية على اراضي بلاد ابن السعود المشار اليه وانساله بدون مراجعة الحكومة البريطانية وبدون منحها فرصة للمخابرة مع ابن السعود وتسوية المسألة فالحكومة البريطانية ستعين ابن السعود الى الحد والصورة التي تراها الحكومة البريطانية بعد استشارة ابن السعود اكثر تأثيراً في حماية مصالحه وبلاده .

« ٣ »

يوافق ابن السعود بهذا « العقد » ويعد بالاجتناب عن الدخول في اي مخابرة واتفاق ومعاهدة مع اي امة اجنبية او دولة وان يخبر السلطات السياسية للحكومة البريطانية حالاً عن اي محاولة من جانب دولة للتدخل في شؤون الاراضي المذكورة انفاً .

« ٤ »

يتعهد ابن السعود بهذا ان لا يتنازل ولا يبيع او يرهن او يؤجر او يتصرف في الاراضي المذكوره او اي قسم منها او يمنح امتيازاً في ضمنها لاي

Digitized by Birzeit University Library

دولة اجنبيةاو لرعايا اي دولة اجنبية بدون موافقة الحكومة البريطانية وان يتبع ارشادها بدون قيد على شرط ان لا يضر ذلك بمصالحه الخاصة .

« ٥ »

يتعهد ابن السعود بهذا ان يبقي الطرق الموصلة الى الاماكن المقدسة من اراضيه مفتوحة وان يحافظ على الحجاج اثناء ذهابهم الى الاماكن المقدسة ورجوعهم منها . « ٦ »

يتعهد ابن السعود كما تعهد اباؤه من قبله باجتناب اي تجاوز او تدخل في شؤون اراضي الكويت والبحرين ،وشيوخ القطر وساحل عمان الذين هم تحت الحماية البريطانية والذين لهم روابط عهدية مع الحكومة المشار اليها وحدود اراضيهم تعين فيما بعد . « ٧ »

توافق الحكومة البريطانية وابن السعود على عقد معاهدة مفصلة اخرى فيما يخص المسائل المتعلقة بالطرفين .

تحريراً في ١٨ صفر سنة ١٣٣٤ الموافق ٢٥ كانون الاول سنة ١٩١٥

عبد العزيز السعود

ب. ز. كوكس العقيد
الممثل البريطاني في خليج فارس

جلمسفورد
نائب الملك والحاكم العام للهند

ابرمت هذه المعاهدة من قبل الملك والحاكم العام للهند

ا. ه. كرانت
سكرتير حكومة الهند . دائرة الخارجية والسياسية

Digitized by Birzeit University Library

ماذا نفهم من هذه المعاهدة

يتجلى لنا رسمياً من البند السادس ان بريطانيا العظمى باسطة حمايتها على اراضي الكويت والبحرين وعلى شيوخ القطر وساحل عمان .

تلك بلاد عربية اذا اضفناها الى ما علمناه من امتلاك الانكليز عدن وحمايتهم السيد الادريسي في عسير والى ما سنعلمه من وجودهم في العراق وفلسطين ، نتساءل عما يبقى من اراضي البلاد العربية ما هو خارج عن نفوذهم وحمايتهم .

ان البلاد العربية بكاملها اليوم (تقريباً) هي تحت السيطرة الانكليزية . وامراؤها مربوطون مع الانكليز بمعاهدات من شأنها ان لاتسمح لهم أن يأتوا بحركة ولا ان يقدموا على عمل الا برأي الانكليز .

كان يتوهم البعض ان ابعد هؤلاء الامراء عن النفوذ الاجنبي هو سلطان الرياض ، ولما قام باعماله الحربية في جزيرة العرب قالوا انه سيطهر البلاد من النفوذ الاجنبي ودعوه بمنقذ العرب . ومنقذ العرب هذا قد قيده الانكليز منذ عام ١٩١٥ كما كانوا قد قيدوا آباءه من قبله . ولا نعلم الى اي عهد يرجع تاريخ هذا القيد ، لكن المادة السادسة تثبته لنا بأجلى وضوح .

• • •

كيف يقيد الانكليز ابن السعود اليوم ؟

Digitized by Birzeit University Library

— سياسياً ؟

— « بالاجتناب » عن الدخول في اي مفاوضة ، واتفاق ، ومعاهدة مع اي امة اجنبية او دولة اجنبية ، وان « يخبر حالا » عن اي محـاولة من جانب دولة للتدخل في شؤون اراضيه .

منعه من المفاوضة ، وتعهده بمنع الغير من مفاوضته : انها لعزلة موحشة ، لولا ما يؤنسها من تقرب السادة البريطانيين وحدهم ، وانه لزواج لا يقبل الطلاق ، ولا تعدد الزوجات : نجد وانكلترا فقط لا غير . — اما المهر ؟ — فلا تذكر عنه تلك المعاهدة شيئاً . لكن لا تقطـع لنا كل امل منه ، لان المادة السابعة تخبرنا عن موافقة الحكومة البريطانية على عقد معاهدة مفصلة اخرى فيما يخص المسائل المتعلقة بالطرفين . هـذا اذاً قانون عام ، خارجي ، وسيكون لتلك العائلة الجديدة وتلك الجمعية الممتازة قانون داخلي . . . ربما لا يحق لنا ان نعلم عنه شيئاً .

— واقتصادياً ؟

— لاتنازل ، ولابيع ، ولا رهن ، ولاايجار ولاادنى تصرف في الاراضي المذكورة او اي قسم منها . وهذه المـادة الرابعة جاءت آية المواد ، كما انها تحـذر صاحب الملك ان يمنح امتيازاً الى دولة اجنبية اوالى رعايا دولة اجنبية بدون موافقة الحكومة البريطانية . ثم يذهب الانكليز الى ابعد من ذلك ، فيأمرون سلطان الرياض ان يسمع نصحهم وان يعمل بارشادهم « بدون قيد » في ما يعود الى اصلاح املاكه .

Digitized by Birzeit University Library

— ماذا تكون النتيجة الاقتصادية ؟

سدت الحكومة الانكليزية جميع الابواب والنوافذ في وجه الاموال الاجنبية ، ما سوى مال الانكليز طبعا ، واذا اراد مثلاً سلطان الرياض ان يعبد شارعاً ، او يمد خطاً حديدياً (نتكلم عن المستقل البعيد) او ان يستخرج معدناً من المعادن في اي قطعة من اراضيه المعينة في المعاهدة ، او التابعة لها ، فلا يقدر ان يستعين برجل غير انكليزي ولا بمال غير مال انكليزي .

— والامن ؟

— لم تنس المادة الخامسة قضية الامن فافتكرت بالمحافظة على ارواح الحجاج واموالهم اثناء ذهابهم الى الاماكن المقدسة ورجوعهم منها .

— وما هو اخيراً تأثير هذه المعاهدة على المستقبل ؟

تأثيرها ، حتى على المستقبل البعيد ، هو هام جداً وهنا نقر للانكليز ببعد النظر ولو اشتهروا بالسياسة الآنية ذات النفع المستعجل : ارادت انكلترا ان يكون لها الكلمة في تعيين خلفاً للسلطان الحاضر ، ولا ادري كيف لم يسيء ذلك الى عظمة سلطان الرياض ، فلا يحق له مثلاً ان ينتخب من يشاء من ابنائه ، ليتولى الامر من بعده ، بل يُشترط عليه ان يكون الخليفة موالياً لا « خصما معادياً للحكومة البريطانية في اي حال من الاحوال اي في الشروط المندرجة في هذه المعاهدة مثلاً »

شرط يقيد حتى ابناء ابناء سلطان الرياض في هذه المعاهدة التي تحرمه من كل استقلال في علائقه مع الخارج ومن كل استقلال في كيفية استثمار اراضيه .

Digitized by Birzeit University Library

هذا نموذج من حماية لا جيوش فيها ولا اعلام حاشا جيوش المال واعلامه. فهل لايزال الموهمون بمنقذ العرب على وهمهم، فيدعون ان حركة الجيوش الوهابية على الحجاز من شأنها تطهير الجزيرة من كل نفوذ اجنبي ؟ — ولعمري لا افقه كيف تلك القوى المطهرة اختارت لهـا هدفاً اراضي هي اقل جميع البلدان العربية خضوعاً الى النفوذ البريطاني .

هذا هو مقدار التدخل الانكليزي في اقاصي البلاد العربية واذا استثنينا قسما من سوريا نرى ان هذا النفوذ وحده يلعب بعقول وعواطف ملوك العرب كيف ما شائت اهواؤه ومطامعه . وقد عاونه على ذلك تشتيت الكلمة ، وجهل الزعماء ، وتقهقر المستوى العلمي في الجزيرة ، وانحطاطها الاقتصادي. وكلما شاهدت السياسة الانكليزية حركة من احدهم تمس بمصالحها تهز الحبل لخصمه ، فيجيش ابناء العرب لتذبيح اخوانهم من ابناء العرب خدمة لمطامعه الشخصية ومطامع انكلترا الاشعبية .

***

العراق وتطبيق مبادي الانتداب فيه

يتمتع العراق بنعمة الانتداب ، لكنه انتداب خفيف الوطأة . وهومع ذلك لا يزال بعيداً عن الاستقلال الناجز الذي سعى اليه العرب ...

اختلفت مبادئ الانتداب وقواعد تطبيقه بأختلاف مطامع الدول التي ارسلتها عصبة الامم الى الشرق واذا احببنا ان نكون منصفين نقول : باختلاف

Digitized by Birzeit University Library

مطامع الدول التي تم لها النصر النهائي في تلك المجذرة البشرية التي نادت بتحرير الشعوب المستعبدة والدفاع عن استقلال الامم الضعيفة . وهي هي سيرت تلك الظروف ، ومطامعها ساقت تلك الحوادث المؤلمة التي يتخبط بها الشرق ...

وقد اختلفت ايضاً مبادئ الانتداب بأختلاف مطامع الدولة الواحدة فنرى مثلاً بوناً شاسعاً بين تطبيق الانتداب الذي عرفناه سابقاً ، والذي هو من درجة واحدة ، من صنف « آ » في قطر مثل العراق وفي سواه مثل سوريا الجنوبية .

كانت شروط الانتداب في العراق ، مع ثقلها ومنافيتها لمبادئ الحرب العامة ، ومناقضتها لروح الاخلاق السامية التي حان للضمير الاوروبي ان يتصف بها ، كانت تلك الشروط في العراق اخف وطأة منها في غيره من البلدان التي انسلخت عن المملكة العثمانية .

وموقف العراق الحاضر قد حددته معاهدة عراقية — انكليزية نظمت موادها في بغداد ١٠ تشرين اول عام ١٩٢٢ (١)

...

تمنح هذه المعاهدة العراق حقه بتأسيس حكومة دستورية يرأسها الملك فيصل وتمنح اهل العراق حقهم بأنتخاب مجلس تأسيسي يسنّ للبلاد قانونها

---

(١) راجع في آخر هذه الرسالة نص المعاهدة المذكورة

Digitized by Birzeit University Library

الاساسي . — وهذا مالا نراه حتى اليوم في غير هذا القطر من البلدان التي شملها الانتداب بعطفه . — كما انها تمنح اهل العراق المساواة بالحقوق امام القانون، والحرية الشخصية ، والحرية الدينية وحرية التعليم . فلم تجعل المادة الثالثة اقل ميزة لعنصر او دين او لغة على غيره من العناصر والاديان واللغات .

وللطوائف الحرية التامة ان تعلم لغتها الخاصة ولو لم تكن اللغة العربية . . . بشرط ان تخضع الى قواعد التربية العامة التي تأمر بتنفيذها حكومة العراق .

اما علاقة هذه الحكومة الجديدة بانكلترا فتتم بواسطة المندوب السامي البريطاني في بغداد . وهو مستشار اجباري للملك (المادة الرابعة) وهذه الاستشارة الاجبارية منحصرة بشؤون مصالح الانكليز الدولية والمالية ، وبما يعود امره الى مالية الحكومة ما دامت هذه تحت طائلة الدين الانكليزي .

. . .

لا شك في ان قاعدة طريق الهند هي التي حملت بالانكليز الى بلاد مابين النهرين العربية كما قد حملت بهم قبلًا الى عدن ومسقط وعمان . ولا شك في ان قضية خط حديد بغداد الذي كان بين ايدي المانية ، كان احد الاسباب الاقتصادية للحرب العظمى ، ولذلك نرى وراء القاعدة الكبرى ثلاث غايات :

١ً — الاستيلاء على بغداد والخط الحديدي الموصل اليها .

٢ً — تأييد نفوذهم في العجم وكانوا قد عقدوا مع هذه الحكومة بعد احتلالهم العراق معاهدة حماية في شهر آب عام ١٩١٩

٣ً — الاحتفاظ بمدينة الموصل وبما يجاورها من البلاد . فيقبض الانكليز

Digitized by Birzeit University Library

على مفاتيح باب لبلاد عديدة منها البلاد الكردية ، والفارسية ، والتركية والعربية ، باب يطل على مفرق من الطرق كبير ، وهو يطل ايضاً على ابار البترول . . .

تم للانكليز امر بغداد واستولوا على منتهى الخط الحديدي ، لكنهم فشلوا بقضية حمايتهم العجم لان هذه قد تخلصت منهم او كادت . ثم لم يزالوا في مفاوضة « حادة » مع الاتراك بشأن الموصل ، وقد اظهر مؤتمر لوزان عجزه عن حل الخلاف . فرغبت انكلترا في حله مباشرة مع الترك خشية ضرر الانوف العديدة التي استجلبتها رائحة البترول ، خصوصاً انوف الاميركيين! وقد سمعنا بمرور اللجنة الدولية التي ستنظر في حلّ الخلاف . فنقلت الينا الانباء البرقية خبر مرورها في حلب ودمشق وذهابها الى بغداد .

تزيد على هذا ما يكلف امر احتلال العراق الحكومة البريطانية من المصاريف الباهظة فقد نشر اللورد روترمير في شباط سنة ١٩٢٣ ارقاماً يفهم منها ان العراق قد كلف انكلترا حتى عام ١٩٢٢ ، ١٣٥ مليون جنيه انكليزي[1] وهذا ما يعادل اليوم ١١ ملياراً و٤٧٥ مليوناً من الفرنكات بأعتبار الليرة الانكليزية ٨٥ فرنكاً .

• • •

حركت هذه المصاريف الباهظة الوتر التجاري الحساس عند كثيرين من

---

(١) رواه المسيو بوز بيك في كتابه « سوريا وفلسطين »

Digitized by Birzeit University Library

زعماء هذه الامة المتاجرة لذلك حاولوا ان يضعوا لها حداً ، ومعاهـدة تشرين الاول ١٩٢٢ تجد هنا سببها الاول ، تزيد عليه هياج اهالي العراق والمطالبة بحقوقهم المشروعة . ولذلك سمعنا المستر اسكويث في شباط ١٩٢٣ يقترح على مجلس العموم انسحاب الجيوش البريطانية من العراق وتخليته — خصوصاً ان انكلترا تستطيع ان تكتفي بما لها من الحماية على مسقط — وعند الحاجة لا يصعب عليها ارسال بعض دوارعها الى خليج عُمان تأميناً لنهاية خط بغداد المنشود في طريقها الى الهند .

رفض هذا الاقتراح وقتئذ رئيس الوزارة المستر بونارلو ، لكن الحكومة الانكليزية تفكر بأخلاء العراق . وقد سمعنا مؤخراً تصريحاً رسمياً لمندوبها في جنيف ، المستر بارمور ، يعلن لعصبة الامم نيـة انكلترا بوضع حدٍ لانتدابها هناك واخلاء البلاد . . .

اخلاء العراق ؟ لكن هناك معاهدة عام ١٩٢٢ وشاهدنا فيها مهمـة المندوب السامي البريطاني وتدخله في شؤون البلاد الداخلية .

. . .

— اما استقلال البلاد الخارجي ؟

— فتذكره المادة الخامسة :

« لجلالة ملك العراق حق التمثيل السياسي في لندن وغيرها من العواصم والاماكن الاخرى مما يتم عليها الاتفاق بين الفريقين السامين المتعاقدين وفي الاماكن التي لا تمثل فيها لجلالة ملك العراق يوافق جلالته على ان يعهد الى

Digitized by Birzeit University Library

جلالة ملك بريطانيا بحماية الرعايا العراقيين فيها وجلالة ملك العراق هو الذي يصدر التصديق على اوراق اعتماد ممثلي الدول الاجنبية في العراق بعد موافقة جلالة ملك بريطانيا على تعيينهم »

نرى ان حق التمثيل الخارجي مبتور لكنه موجود مبدئياً . وهوموجود بصفتيه اللتين اشارت اليهما القوانين الدولية : « ارسال » ممثلين ، « وقبول » ممثلين . . . وهناك المرض الذي لا بدّ منه

— وهل يشفى منه العراق تماماً يا ترى ؟

— لقد تخلص من داء الانتداب كما ترى عوارضه متمكنة من جوارح فلسطين . . . وسواها . ونحن نقف عند هذا الحد من الجواب ولا يحق لنا ان نتعداه، لان غايتنا من هذه الرسالة هي تقريب الحقائق بعضها من بعض وبسطها امام اعين القارئ ، لا سرد الاماني وتفسير الاحلام والجواب على « هل يشفى العراق » تماماً من مرض الانتداب، هو ضرب من تفسير الاحلام . . . وبناء على هذا نقول : ما دامت الجرثومة هي طريق الهند ، فان وطأة المرض الحاضر تخف من جهة لتشتد في جهة ثانية ، والمقصد هو تأمينها بشكل من الاشكال . والشفاء التام امر عائد اولاً الى استعداد المريض او الناقه ودرجة مقاومته لفتك الجراثيم التي تحيط به وتتهدد كيانه .

***

Digitized by Birzeit University Library

فلسطين ووعد بلفور

أن من قرأ مرة واحدة صك الانتداب على فلسطين الذي نظمته السلطة البريطانية والذي قرره مجلس عصبة الامم في جلسته المنعقدة في لندن ٢٤ تموز سنة ١٩٢٢ ، ثم قابل هذا الصك بالمعاهدة العراقية — الانكليزية التي قلنا كلمة عنها تجلى له الفرق بين درجات الانتداب الواقعة تحت ادارة السياسة الانكليزية . وبقدر ما هي المعاهدة قريبة من معاني الاستقلال (المقيد) بقدر ما هو صك الانتداب على فلسطين يقرب من معاني الاستعمار المطلق .

— ولهذا الفرق سببان .

الاول ، موقع سوريا الجنوبية الجغرافي ، فهي متاخمة لقناة السويس اي خاضعة مباشرة للقاعدة الكبرى : طريق الهند .

الثاني، تصريح تشرين الثاني لسنة ١٩١٧ الذي قاله المستر «بلفور» باسم الحكومة الانكليزية والقاضي بجعل هذه المنطقة من البلاد العربية وطناً قومياً لليهود .

نقرأ في مقدمة صك الانتداب على فلسطين العبارة التالية . وهي اذا دققنا فيها ملياً تغنينا عن المواد التي نظمتها المشيئة البريطانية وقد يعرف التحرير من عنوانه :

« بناء على ما اتفقت عليه معظم الدول المتحالفة من جعل الحكومة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ التصريح الذي فاهت به لأول مرة الحكومة البريطانية

Digitized by Birzeit University Library

في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٧ والذي قبل من الدول المذكورة والقائل بأن يؤسس في فلسطين وطن قومي للشعب اليهودي مع الاعتبار ان لا يقام بعمل من شأنه هضم الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية في فلسطين وان لا تمس الحقوق والانظمة السياسية التي يتمتع بها اليهود في اي بلد آخر . . »

• • •

نفهم من هذا القسم من المقدمة ثلاثة امور راهنة :

الامر الاول : يقبل مجلس عصبة الامم بتصريح الحكومة البريطانية القاضي بجعل سوريا الجنوبية وطناً قومياً لليهود ويعتبره اساساً لقضية الانتداب في هذه البقعة المنسلخة عن المملكة العثمانية ويعتبر تنفيذ هذا التصريح اول واجبات الحكومة الانكليزية في البلاد .

وعلى هذه الصورة تقضي الدول المتحالفة ويقضي مجلس عصبة الامم على حياة امة كاملة ارضاء لليهود المبعثرين في انحاء المعمور ، وعلى هذه الصورة يلغي مجلس عصبة الامم ما كانت قررته الجمعية العمومية في البند الثاني والعشرين من ذاك الصك الذي يعتبره العالم المتمدن انجيل الديمقراطية الحديثة .

هل ترى ايها العربي القاطن في طريق الهند فرقاً بين نتائج ذاك المدفع الذي اطلق قنابله الجشع البريطاني على مدينة عدن فدمرها ، واغتصبها من ايدي سلاطين لحج ، ورفع علمه فوق هضابها ، ونتائج تلك القنبلة السامة التي يقذفها مجلس عصبة الامم على امة قدمت دماء خيرة ابنائها على مذابح المجذرة البشرية العامة ، حباً بالحياة الحرة واملاً بان تكون صاحبة الكلمة في

Digitized by Birzeit University Library

بلادها ، فتنفجر تلك القنبلة في سمائها وتقضي على ابنائها خنقاً . . . ولماذا ؟ لان هذه البقعة لازمة للجشع البريطاني فتستر وراء القضية الصهيونية ليغتصب البلاد وينصب له فيها حرساً على طريق الهند .

• • •

الامر الثاني : يحرم مجلس عصبة الامم كل حق سياسي للامة صاحبة البلاد فيقول للحكومة المنتدبة ان لاتقوم بعمل من شأنه هضم الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية في فلسطين .

— والحقوق السياسية ؟

— لايذكرها صك الانتداب في بند من بنوده فقضى عليها واستراح . . .

ويعيد البند الثاني من الصك الفكرة عينها لكن بصورة أعم فيقول :

« وصيانة الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين » .

يسجل اذاً صك الانتداب على اخواننا في سوريا الجنوبية حرمانهم من حقوقهم السياسية مع انهم هم البلاد عدداً وثروة . واحصاء الحكومة البريطانية لسنة ١٩٢٢ يقول ان سكان فلسطين هم ٧٤٧٠٠٠ نسمة ، منهم ٨٣٧٩٤ من اليهود . ويعتبر الاحصاء من اهل البلاد الذين حملتهم البواخر الانكليزية من يهود العالم منذ اعلان الهدنة ويقدر عددهم بـ ٤٠٠٠٠ يهودي جديد ، أي نصف العدد الذي نشرته الحكومة .

• • •

Digitized by Birzeit University Library

الامر الثالث : يحافظ مجلس عصبة الامم على حقوق اليهود الذين يتمتعون في جميع بلاد العالم بحقوق اهل تلك البلاد السياسية والمدنية .

خشي المجلس ان يقع اليهود في بقية الدول امام هذه النتيجة المؤلمة : ما دامت عصبة الامم قد خصصت لليهود وطناً قومياً يستطيعون ان يرحلوا اليه ، ماذا يمنع مثلاً حكومة مثل الحكومة الرومانية او البولونية ان تحمل اليهود فيها الى الهجرة الاجبارية وتعتبرهم صهيونيين اجانب ، لا رومان ولا بولونيين وطنيين ؟

وفي انكلترا والمانيا وروسيا والولايات المتحدة وفرنسا وغيرها من الدول كثير من اليهود . ويقدر عدد اليهود في العالم باثني عشر مليوناً ، وجميعهم — الا بالطبع بعض الذين اخذتهم من نفوسهم هيستيريا الماضي البعيد فيطمعون باعادة مملكة صهيون — وجميعهم متجنسون بجنسية البلاد التي يقطنونها .

اليهود في فرنسا مثلاً هم فرنسويون لا يفضلهم بقية الفرنسويين في شيء فنرى منهم وزراء ونواب واساتذة في الجامعات ، بل كان ثلاثة من اساتذتي في جامعة الحقوق بباريس يهوداً هم من قادة الفكر اللاتيني في اوروبا . . . ويقاتل اليهود في صفوف الفرنسويين كفرنسويين ، بل في تلك البلاد لا حاجة الى النظر الى دين هذا ومذهب ذاك . وقد انتسبت الى جمعية فرنسوية كان يرأسها يهودي ، له ولدان مات احدهما في جبهة الحرب مدافعاً عن بلاده . وقد حضرت جلسات الجمعية مدة ثلاث سنوات . فمضى علي سنة ونصف ولا همني ان اعلم مذهبه ، الى ان تيسر لي ذلك عفواً من غير قصد ، اثناء دعوة

Digitized by Birzeit University Library

اقامها لنا في منزله لتناول الشاي ، فتباحثت معه في موضوع محاضرة عن الصهيونية ، فصرح لي انه يهودي ، لكنه لا يناقضني بفكر من افكاري ، وهو يرى في الصهيونية مهزلة خير ما فيها اضغاث احلام .

هذا نموذج عن هؤلاء اليهود المتمثلين بجنسية البلاد التي اختاروها لسكناهم منذ مآت السنين . وفيهم من هم آية الاخلاص والتضحية لبلادهم ، وهم لا يفكرون قط بأن يضيعوا تلك الحقوق الثابتة الراهنة التي لا يجادلهم فيها مجادل رغبة بأرضاء اميال هيستيرية اول من نادى بها الدكتور هرتزل ويرددها اليوم من بعده الدكتور وايزمن [1] .

لذلك نرى مجلس العصبة يستدرك الامر ويحافظ على حقوق هؤلاء اليهود اللاصهيونيين في مقدمة صك الانتداب على فلسطين .

يقضي الصك اذاً على حياة اهل البلاد السياسية في الداخل ، والبند الاول من صك الانتداب يخول الحكومة البريطانية في فلسطين سلطة ادارية وصلاحية تشريعية مطلقة . هذا هو المبداء العام ، وله ظروف استثنائية يحددها الصك فندعو القارئ الى مطالعته في ملحق هذه الرسالة .

اما حياة اهل البلاد السياسية في الخارج ، فالجواب على هذا بديهي : واذا لم يمنحهم مجلس العصبة القليل ، فكيف بالكثير — وسفراء بريطانيا العظمى وقناصلها يحمون ارواح ومصالح اخواننا السوريين هناك اذا كانوا خارج بلادهم .

---

(١) علم القارئ من المقدمة اننا نعد لموضوع الداء الصهيوني رسالة خاصة نستوفي الموضوع حقه . وقد هيأنا موادها وسننشرها في القريب العاجل .

Digitized by Birzeit University Library

٦ — الموصل وطريق الهند (١)

اثبتت المناقشات الحادة التي علا ضجيجها في مؤتمر لوزان فسمعت اصداءها في جميع الدول ، ان العراك بين روسيا وانكلترا لاجل الاحتفاظ بطريق الهند قد عاد شبحه المخيف وانتصب عثرة كبرى في سبيل تحقيق اماني السلام في العالم .

كان الترك مقيدين مع رجال موسكو بمعاهدة قارص سنة ١٩٢١ ولذلك انقادوا في تلك المناقشات الى الوحي الذي كان يهبط عليهم من عاصمة البلاشفة . وموضوع الاختلاف كان مسألة الموصل التي عجز المؤتمر عن وجود حل لها . فرغب دهاء الانكليز ان يرجئها الى ما بعد المؤتمر ، فيحاول حلها مباشرة مع انقره ، ولاسيما ان قضية الموصل هي معضلة سياسية معقدة ، اعقد من ذنب الضب ! .. فوجدت اصابع السياسة مجالاً كي تلعب بين العقد ، وتمثل لها دوراً يليق بمطامعها .

وفي تلك المعضلة برهان جلي يدحض زعم القائلين ، ان اوروبا او العالم المتمدن لا يتدخل في شؤون الشرق الا لاعانة ابنائه على النهوض من عثرتهم

---

(١) اخذنا الوقائع العامة عن محاضرة للسيو بوادهبارد القاها في باريس ونشرتها مجلة آلازي فرانسيز عدد شهر مايس ١٩٢٣

Digitized by Birzeit University Library

ورفعهم الى مستوى راقٍ من المدنية والعمران، وفيها ايضاً برهان آخر يدحض زعم القائلين بفصل السياسة عن الاقتصاد ، وهناك ينابيع البترول قد مدت اليها ايدي وانوف الذين يسكرهم ذاك الشراب بواسطة جيوبهم لا افواههم .

فمسألة الموصل اذاً تحمل الينا مثالاً عن قضية تساوت اهميتها السياسية والاقتصادية والحربية وتحاول انكلترا الاحتفاظ بها ، اولاً لانها بواسطتها تستطيع ان تشرف على مفرق طرق هام وموقع عسكري ممتاز .

ثانياً لان هناك مسألة سياسية خاصة ، ومن امتلك مفاتيح الموصل استطاع ان يراقب بلاد الاكراد الذين طالما كانوا آلة في ايدي مجاوريهم . . .

ثالثاً لان هنالك داعياً اقتصادياً من ورائه المال والثروة .

***

طريق الهند البرية

شاهدنا في بحثنا الى الان همم الانكليز منصرفة الى الاحتفاظ بطريق الهند البحرية ووقفنا قليلاً في محطاتها ، ورأينا كيف استولت على تلك الجزر وهاتيك الاقطار . لكن للهند سبيلاً آخراً هو طريق البر ، ولقد اثبتت الحوادث السياسية انه يمكن ازعاج الانكليز عن هذه الطريق بقدر مايمكن تكدير راحتهم عن تلك .

وما علينا الا ان نتتبع على خريطة جغرافية سير السكك الحديدية التي اهتمت بها روسيا وانكلترا في القرن التاسع عشر والقرن العشرين والمتجهة

Digitized by Birzeit University Library

جميعها الى العراق فالعجم فالافغان ، قاصدة قبلة الانكليز السياسية ، فنعلم ما هي اهمية طريق الهند البرية .

للهند نوافذ في حدودها البرية : اولها جنوبي البلوشستان وهو الممر المعروف بممر كاتشي ، بجوار سواحل بحر عُمان . وثانيها شمال البلوشستان في نصرتباد — كوشكي — كوتا . وفي الافغان نافذة ثالثة تعرف بممر الكودجاك بين خانداهار وكوتا . وهناك ايضاً ممر خيبر بين كابول وبشاور .

لم يدخل احد الى الهند حتى عام ١٨٨٧ من طريق جبال باميز ، لكن الفرنسوي غابريال بونفولو ذهب الى التركستان واجتاز جبال باميز في اشد مواسم الشتاء . ودخوله الهند من ذاك الطريق كان برهاناً ناصعاً على ان الهند ليست بالاقطار البحرية فحسب ، بل هنالك للوصول اليها سبيل آخر بري يمكن سلوكه حتى في ايام الثلج والقر — وقد استقبلت السلطات الانكليزية في الهند السائح الفرنسوي وبذلك اعترفت انها فهمت الدرس الملقى عليها .

• • •

ولروسيا سبيلان الى الهند : الاول يذهب من موسكو مجتازاً جبال الاورال الى التركستان الروسي ماراً بسمرقند ، فبخارى ، فكابول في بلاد الافغان حتى بشاور ، وهي النافذة المطلة على الهند من الشمال .

والثاني يغادر موسكو مجتازاً جبال القفقاس ماراً بباكو ، فطهران ، فاصبهان في بلاد العجم ، فكوتا وهي النافذة المطلة على الهند من الشمال الغربي .

اما سبيل الانكليز الى الهند عن طريق البر فيبتدئ من لندن مارا بعواصم

Digitized by Birzeit University Library

البلاد الاوروبية الى الاستانة . فيجتاز الاناضول ويتجه نحو مدينة حلب والموصل فبغداد فالبصرة فبندر عباس فكراتشي وقد رأينا ان كراتشي هي على ساحل بحر عمان وهي النافذة المطلة على الهند من الغرب .

يتجلى لنا من هذا ان السبيلين الاولين يحملان من موسكو المطامع الروسية الى الهند كما ان السبيل الاخير هو المشروع الانكليزي الذي استولى في طريقه على خط بغداد الالماني والذي كان احد الاسباب الاقتصادية للحرب العظمى . (راجع الخريطة في آخر الرسالة)

ويتجلى لنا ان مدينة الموصل قامت في الطريق الانكليزي وموقعها ذات اهمية كبرى ولقد زادتها اهمية منعتها الحربية وصفاتها الاقتصادية الممتازة .

وهناك طريق مشترك بين البحر والبر : اول محطاته جبل طارق ، فالطه فقبرص ثم يمكنه لتتميم سيره ان يتخذ وجهتين للوصول الى العراق ، فالعجم ، فالهند :

الوجهة الاولى هي حيفا ، وكل منا يعلم اهمية هذه الميناء في نظر الساسة البريطانيين ، ومن حيفا يتوجه الى دمشق فالطريق التي نرى اليوم السيارات تتبعها للذهاب الى بغداد . ويفكر الانكليز في مد سكة حديدية تذهب من حيفا الى دمشق ، الى تدمر ، فدير الزور ثم تتبع نهر الفرات حتى بغداد فالبصرة الى نهاية ما عرفناه من الوصول الى كراتشي .

والوجهة الثانية هي ميناء اسكندورنه ، فحلب فالموصل فبغداد الى نهاية الخط نفسه . وهكذا تعلم أيها القاري . الاهمية التي يعلقها الانكليز على بلادنا سوريا ، وكيف هي اصبحت فعلاً روح القاعدة الكبرى : طريق الهند .

Digitized by Birzeit University Library

رأي كاتبة اميركية

في اهمية سوريا بطريق الهند [1]

نشرت المس هونتانغون مقالاً عنوانه « مستقبل فلسطين » اظهرت فيه اهمية سوريا الجنوبية في نظر الساسة البريطانيين . قالت :

« ان بلاد الهند هي مفتاح الامبراطورية البريطانية ، وبدونها يمكن لانكلترا ان تبقى عظيمة ، ويمكن لمستعمراتها التي تتمتع بشيء من الاستقلال الذاتي ان تظل لها موالية ، لكن الامبراطورية الانكليزية تكون قد تهدمت

« فهم ذلك الروسيون منذ ما حمل بطرس الاكبر شعوب الشمال على اجتياح البلدان الواقعة في الجنوب الغربي من القارة الاسيوية ، فكانت هذه الشعوب عائقاً للتبسط الانكليزي . وفهم الالمان ذلك ايضاً ، ولو تمكنوا من توطيد دعائم نفوذهم في تركيا والعجم او في سيبيريا والتركستان لكان في تقدمهم الضربة القاضية على نفوذ انكلترا في الهند ، عن طريق الافغان [2]

---

(١) رواه المسيو بواده بارد نقلا عن المجلة الجغرافية التي تصدر في نيويورك . في احد اعدادها عام ١٩١٩

(٢) جاء في ملحق المعاهدة التي عقدت في براست ليتوفسك في ٣ مارس سنة ١٩١٨ بين الالمان والروس اثر الثورة البلشفية ما لخصته الصحف فيما يلي :

« يكون لالمانيا منفذ حر في الاراضي الروسية الى العجم والافغان »

وجاء في كتاب ليمان فون سندرس الذي عنوانه « خمس سنوات في تركيا »

Digitized by Birzeit University Library

وقدعلمت انكلترا ذلك جيداً وكانت غاية رجال سياستها المعروفين الوصول الى مراقبة اقرب طريق الى الهند ، فضلاً عن الطريق البحري الطويل .

« واقرب الطرق واسرعها ، متى تم انجاز عموم مشاريع الخطوط الحديدية اللازمة ، هي التي تمر في البلاد الجرمانية في اوروبا الوسطى ، فالبلقان ، فالاستانة . ومن هنا تسير الى خليج العجم بواسطة خط بغداد ، ثم الى بلاد العجم عن سواحل بحر عمان ، حتى مصب الهندوس . لكن هذه الطريق لا يمكنهم ان تكون بين ايديهم لوجود المانيا والنمسا في اواسط اوروبا . . .

« والطريق الثانية تذهب الى روسيا من بحر البلطيك وتأخذ الخط الحديدي الى جبال القفقاس ... وهذه الطريق الروسية قريبة المسافة لكنها مثل الاولى تمر ببلاد اجنبية ولا تستطيع انكلترا اعتمادها وقت الحرب .

« ومن اجل هذا ، اذا كانت انكلترا تود ان يكون لها طريقاً خاصة بها وحدها الى بلاد الهند يجب عليها اجتياز البحر المتوسط ، مثل ما عملت منذ خرق قناة السويس . وهل يمكنها يا ترى الاكتفاء بطريق البحر الى

ما يلي :

« اما ما يتطلبه الالمان من الترك من الوجهة العسكرية فهو هذا : ليست مهمة الترك منحصرة في الدفاع عن المضايق والمحافظة على حدود بلادهم الشاسعة فحسب ، بل كان يجب عليهم ايضاً ان يفتحوا القطر المصري ، ويحرضوا العجم على العصيان ويهيئوا في القفقاس تاسيس حكومات مستقلة ، حتى يتيسر لهم بعد ذلك ان يهددوا الهند عن طريق الافغان . »

Digitized by Birzeit University Library

الهند ؟ . . . قد يكون العالم سعيداً لو ارادت الاكتفاء بها — أليس كذلك ؟
— ربما ! ! — لكن كل هـذا عائد الى الذي سيقبض على زمام الاحكام في فلسطين . وقـد اختلف اليوم موقف فلسطين عن الماضي ، لان انكلترا ماكانت تهتم سابقاً بالسيطرة التركية الضعيفة التي لا تقدر ان تمسهـا بسوء ، ولما كان الموقف اليوم قد تغير لا تسمح انكلترا ان ترى مكان تركيا دولة عظمى تستطيع في كل آن ان تستل خنجراً مرهفاً وتقطع ذاك العرق الحيوي الكبير . ولا تأذن انكلترا لغير اصدقائها المخلصين ان يقبضوا على زمام الامور في بلاد مجاورة للخط الحديدي الذي هو عماد حياة امبراطوريتهـا وفي عكس هذا يكون شأنها شأن من ينتحر بيده .

« وبضرورة الحال يجب ان يكون خط اتصال بين العراق الانكليزية (كذا) ومصر . . .

« اما الطريق البرية فيمكنها ان تذهب من عدة ثغور على البحر المتوسط

« لكن الخط العملي الوحيد هو خط النيل الى الاردن الى الفرات . وهو يلتقي بخطوط الحجاز وحلب وهناك يجتمع بخط بغداد الذي يتجه الى الموصل فبغداد فخليج العجم (وفي المستقبل ربما ابتنوا خطاً آخراً يذهب من دمشق ويجتاز بادية الشام ذاهباً الى تدمر ومنها الى البصرة ، الميناء النهري ، حيث توجد بواخر المحيط .)

« وهذا الخط الحديدي يجمع شتات الامبراطورية الانكليزية عن طريق العجم . . . واذا تم هذا الخط وارادت بريطانيا العظمى ان تكون طريق

Digitized by Birzeit University Library

الهند آمنة ، يجب عليها ان تقبض على زمام الاحكام في فلسطين وفي القسم من سوريا الذي يقع شرقي جبل حرمون بما فيه دمشق .»

يرى السوري من هذا الدرس كم هي بلاده عزيزة على قلوب الانكليز ، سواء كان في قسمها الجنوبي وما شاهده من امتلاك بريطانيا العظمى لفلسطين وموقع دمشق من مشروعها الجديد ، او كان في قسمها الشمالي وما يعلمه من محاولة الانكليز ان يضعوا يدهم على ميناء اسكندرونه . والساسة البريطانيون لم يفت عن بالهم هذا الامر يوم فاوضوا زعيم النهضة العربية ، فبينما هم يعدونه بتحقيق رغائبه ومعاونته على الوصول الى حقوقه كان سايكس وبيكو يقسمان البلاد في لندن . وايد الانكليز مطامعهم في ذاك الاتفاق الذي سيراه القاري في آخر هذه الرسالة . وقد جعل هذا الاتفاق ميناء اسكندرونه «ميناء حرة» في وجه البضاعة الانكليزية .

***

الموصل مفرق طرق شمال العراق

وهنا اهمية الموصل من الوجهة الحربية :

موقع عسكري منيع ، ومفرق طرق يشرف على ملتقى سلاسل جبال الاكراد بجبال ارمينيا . وهذه المدينة في موقعها على شاطئ الدجلة تجتمع فيها كافة الطرق الذاهبة الى بغداد والبصرة جنوباً ، والى حلب واسكندرونه غرباً ، والى سيواس وارضروم وبتليس شمالاً ، والى بلاد الاكراد والعجم

Digitized by Birzeit University Library

شرقاً . وفضلاً عن الطرق المعبدة ودروب القوافل وخط حديد بغداد ، هنالك طريق السفن والمراكب الخفيفة التي تجري في النهر ، صاعدة من المحيط الهندي وخليج فارس ومنحدرة اليهما .

اذا داهم بلاد العراق هجوم من الشمال فأن مدينة الموصل هي مركز مقاومة منيع لانه يشرف على كافة الطرق التي يمكن للغزاة ان يأتوا منها ، فيتجلى لنا اهميتها الحربية للدفاع عن بغداد .

ولنا برهان فيما سمعناه عن الحرب الروسية التركية وقدوم الجيوش عن طريق القفقاس . وكان همّ الروسيين اثناء الحرب العامة في سنتي ١٩١٥—١٩١٦ منحصراً في الاستيلاء على مدينة الموصل ، كما ان الجيوش التركية كانت تأخذها بعين الاعتبار وتعتمدها في جميع حركاتها .

اما سلسلة جبال الاكراد التي تفصل الجزيرة عن بلاد العجم ليس فيها غير طريقين يمكن للعجلات ان تسلكهما ، وهما ممر كوكوز (طريق وان —توريس) وممر زاغروس (طريق همدان — بغداد) وكافة الطرق الباقية في تلك الجبال الموحشة الوعرة لا تستطيع سلوكها الا القوافل .

هذه هي اهمية الموصل في قضية الدفاع عن العراق .

***

Digitized by Birzeit University Library

رأي قائد انكليزي

في اهمية الموصل الحربية

قال الجنرال برسي سايكس في كتابه « تاريخ العجم » (صحيفة ٣٤٦) ما يلي :

« نظرة واحدة الى خريطة جغرافيـــة تظهر لنا ان الجيش الذي يستطيع ان يتقدم الى المنطقة الفارسية يتيسر له ان يفوز على عدوه ويحتل بلاداً هي انسب للحركات العسكرية .

« كان الترك قبل الحرب العامة بعشر سنوات قـــد استفادوا من عجز الحكومة الفارسية وتقدموا بقواهم الحربية واحتلوا المواقع المنيعة غربي بحيرة اورمياه . وكان الروس يراقبون حركات الجيوش التركية وينتظرون الفرص السانحة للاستفادة من ضعف الحكومة الفارسية التي اضنت قواهـــا الفتن والثورات في الداخل . فتأهبت للتدخل في بلاد العجم عام ١٩٠٩ لما تفشت فيها المجاعـــة وتزعزعت قوى الحزب الدستوري . فابتدأت انكلترا التي كانت تخشى على الرعايا الاوروبيين ان تمد يدها بحجة الدفاع عنهم من فتك الثوار الجياع . فاصدرت روسيا الى جيوشها الامر بالتقدم الى ازربيجان . ودخلت مدينة توريس وانقذتها من ايدي الثائرين الذين كانوا يحاصرونها ، وظلت الجيوش الروسية محتلة البـــلاد بين توريس ودجولفا . . . واقامت

Digitized by Birzeit University Library

جامعة بيرزيت
مركز الأبحاث

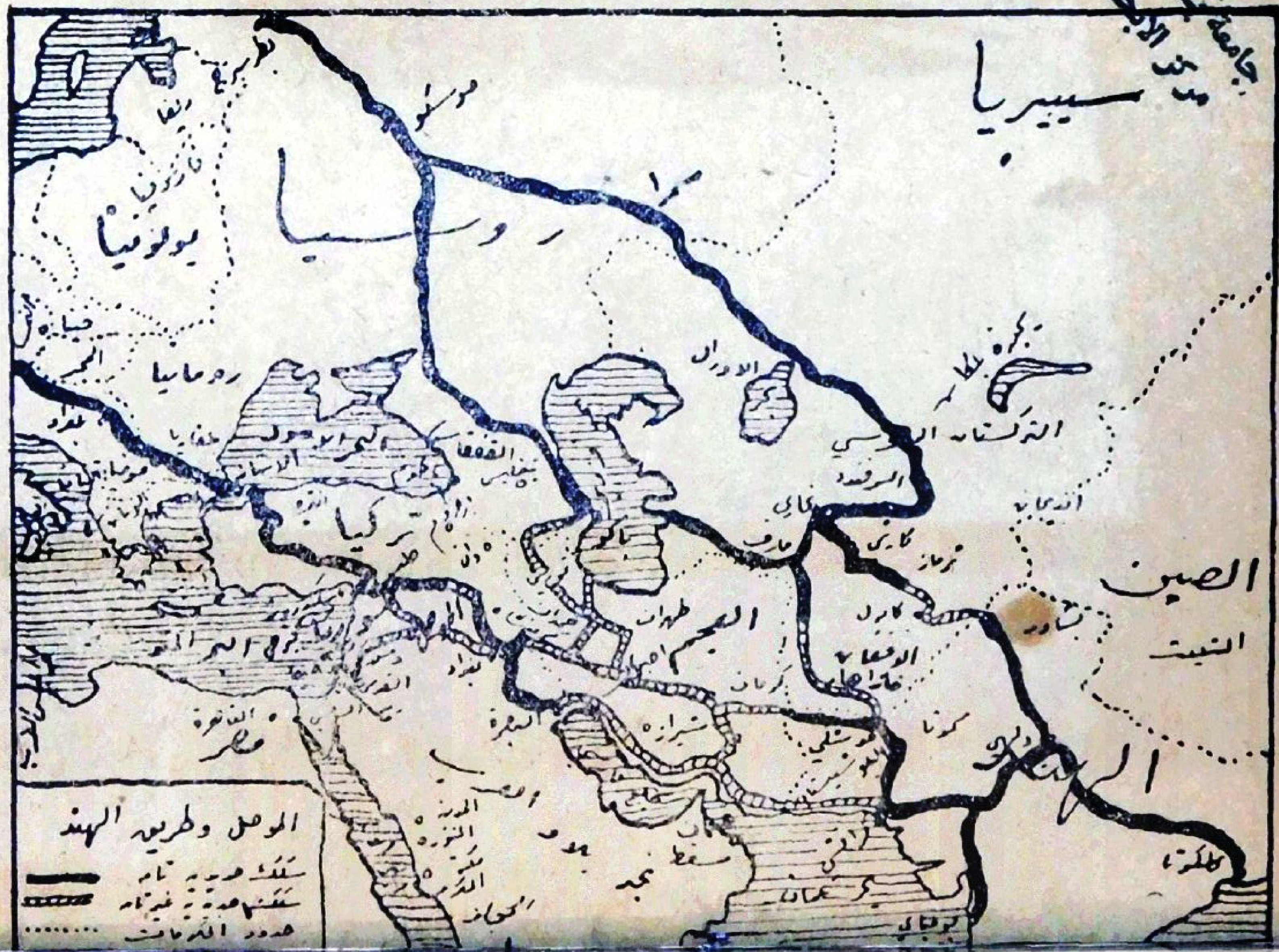

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

الحكومة الروسية حاميات قنصلية على حدود الترك . فاجاب الترك على هذا باحتلالهم سجد بولاق جنوبي بحيرة اورمياه . »

ورأينا مدة الحرب العامة ١٩١٥ — ١٩١٦ الجيوش الروسية التركية تتهاجم في الازربيجان الفارسي في جبهتي توريس — وان ، واورميا — الموصل . فكانت اذاً عموم الحركات العسكرية لاجل الاستيلاء على بغداد تجري في جبال العجم بين زاغروس و كرمنشاه وحمدان .

في ذاك المفرق من الطرق تظهر اهمية مدينة الموصل من الوجهة الحربية وسواء كان الجيش مهاجماً فان الموصل تشرف على كل حركة يقوم بها ذاك الجيش المعادي من الشمال او من الشرق ، تركياً كان ام روسياً ، او كان في موقف الدفاع ، فان مركزها الممتاز يسمح لها بأن تقطع طريق العودة على كل جيش زاحف على بغداد عن طريق بلاد العجم . — هذا ومما يزيد في اهمية الموصل هو موقعها في اواسط الكردستان .

***

الموصل مفتاح بلاد الاكراد

وهنا اهمية الموصل من الوجهة السياسية ، ولا سيما ان موقفها الممتاز صالح لمراقبة شؤون البلاد التي تشرف عليها وتطل على طرقها ، ومن قبض على زمامها تيسر له انتظار الفرص وانتهازها للتدخل في كل امر من امورها .

يقطن معظم الشعب الكردي في الولايات العثمانية القديمة الواقعة في شرق

Digitized by Birzeit University Library

الاناضول وشمال العراق كما ان البقية منه تقطن في شمال العجم وجنوب جبال القفقاس .

يبتدي الكردستان من ابواب زاغروس بجوار كرمنشاه ، ويبلغ شمالاً جبال الارارات ، وينحدر جنوباً الى مدينة خربوط . والاكراد في تركيا هم الاكثرية الساحقة في ولايات ديار بكر شرق خربوط مع ما فيها ارضروم ووان وبتليس وقسم وافر من ولاية الموصل . وهم في العجم منتشرون في ولاية توريس الواقعة جنوبي بحيرة اورمياه ، وفي ولايات سيناة وفي قسم من ولاية كرمنشاه . اما في القفقاس فيرى جماعات كبيرة منهم في جبال زنكزور وولايتي اريفان وقارص . ولا يجب ان ننسى ان هذه البلاد سواء كان في تركيا او العجم او القفقاس لا تحتوي على الاكراد فقط ، بل هنالك عنصر عربي وتركي وارمني وكلداني وروسي وتتري ، لكن الاكثرية هي من العنصر الكردي .

***

موقف الاكراد السياسي

كان الاكراد سابقاً خاضعين لحكومة فارس مدة تزيد عن القرن . فثاروا على هذه الحكومة في القرن السابع عشر وانضم معظمهم الى المملكة العثمانية ، وقد خسروا منذ ذاك العهد وحدتهم السياسية .

وشاء دهاء السلطان عبد الحميد ان يفرق كلمتهم عملاً بالقاعدة السياسية

Digitized by Birzeit University Library

المعلومة : فرّق تسد ·فجلب الى الاستانة الزعماء المتنفذين وابعدهم عن بلادهم وقضى عليهم ان يعيشوا بالقرب منه في فروق · وابتعاد الزعماء عن اشياعهم اضعف سلطانهم ، وهم لا يزالون حتى يومنا هذا منقسمين على انفسهم ·

وحاولت السياسة الروسية في هجماتها اثناء الحرب العامة ١٩١٥—١٩١٦ ان تثير شعور الاكراد القومي ليكونوا لها عوناً على محاربة الترك ، كما فعل الحلفاء مع سكان الاقطار العربية ، لكن فشلت روسيا لما ابنَاه من اسباب التفرقة وعدم تمكنها من جمع كلمة الشعب الكردي حول زعيم واحد .

ونزيد على هذا ما يسببه اجتياح كل اجنبي بلاداً غريبة · فانه اذا توفق في ايقاظ النيام وتنبيه الافكار والعواطف الى ذاك الشعور القومي، يوقظ في الوقت نفسه سوء الظن في النفوس ، لما يراه الشعب الثائر من البون الشاسع بين وهم الوعود الخلابة والام الحقيقة الرائعة ··· ومتى نفرت نفوس الجماعة من سياسة امة مخاتلة مخادعة قلما ترجع الى ائتمانها ثانية والوثوق بمواعيدها .

لم تنجح محاولة الترك في ضم شتات الاكراد واخضاعهم الى سياستهم وسلطانهم رغم استعمالهم الدين — وكم استعمل الترك العامل الديني للوصول الى مآربهم — والاكراد مثلهم سنيون .

يعتقد الاكراد انهم عنصر اسمى قدراً واعلى شرفاً من الترك فكيف يخضعون لمن دونهم ، ولا سيما القبائل والعشائر التي تقطن في الجبال ، فهي ظلت فعلاً مستقلة لا تنقاد الى سلطة حاشا سلطة مشايخها ، ولا تخضع الى قانون ماعدا تقاليدها وعاداتها . واظهرت السلطات التركية عجزاً كلياً في

Digitized by Birzeit University Library

اخضاع هاتيك العشائر حتى في اعز ايام منعتها ، ولم يجرأ قوادهم وجنودهم على التوغل في كثير من النواحي (مثل درسيم) خوف بطش العشائر .

واذا كان يتعسر اليوم جمع شتات الاكراد عموماً وتنظيم معيشتهم وتأسيس وطن قومي واحدلهم ، لانقسامهم على انفسهم وتدخل العوامل الاجنبية بين زعمائهم فهم لا يزالون مع هذا قوة هائلة في تلك الاراضي السحيقة والجبال الوعرة التي يستطيعون فيها ان يردوا القوات المنظمة على اعقابها مهما كان عددها ولا سيما انهم القابضون على ممراتها وطرقها ، وهم يستفيدون من كل حال يكيد بجيرانهم نهباً وسلباً ، فانقضت مثلاً عشائر درسيم عام ١٩١٦ على فيلق تركي في رجعته من جبهة القفقاس وبددت شمله بالقرب من ماما ختوم ونهبت امواله وذخائره ، وتشاهد الحملات الانكليزية والروسية الصعوبات نفسها كلما ارادت ان تتقدم الى حدود العجم .

***

برنامج السياسة الانكليزية في بلاد الاكراد

لم تنشأ السياسة الانكليزية بعد الحرب العظمى ان تسمح بوجود امة قوية مثل الامة التركية في سبيلها الى طريق الهند . وهذا ما يشاهد دوماً في اعمالها كلما نهضت امة لتجعل لها مكانة حرة تحت الشمس . وهذا ما شاهدناه فيها منذ القدم ، وما للقاري . الا ان يرجع الى ما قلناه آنفاً عن مقاومتها محمد علي الكبير في مصر ، وما له الا ان يذكر ما اخذته لنفسها من الحيطة

Digitized by Birzeit University Library

في البلاد العربية يوم وعدت بانجاز الحلف العربي ولم تعمل الا على بث الجراثيم القتالة فيه ... ونعيد هـذا ونكرره حتى لا يبقى بعد ذلك مجال للوهم المتسرب الى نفوس بعض الذين وثقوا في الوعود الانكليزية فخدعهم ذاك الدهاء — وهذا برهان آخر عن عـدم اخلاص البريطانيين في قضية الحلف العربي ... لم تنشأ اذاً سياستهم ان ترى بعد الحرب امة تركية قوية في طريقها الى الهند ، وصرفوا همهم الى تأييد نفوذهم في الموصل . فبينما كانت هذه المنطقة داخلة في موآمرة سايكس بيكو تحت النفوذ الفرنسوي اجتهدوا في ان يبطلوا هذا الاتفاق الاول ، ونجحوا في الغائه في معاهـدة سان ريمو ، وادخلوا الموصل ضمن دائرة نفوذهم ، وتخلى عنها الفرنسويون .

ولما تم لهم امر الموصل قاموا ينادون بتأسيس مملكة كردية كبرى مستقلة حتى يجعلوا الترك بين نارين ، نار حامية تنصب عليهم من اليونان الزاحفين على الاستانة والمضايق والمتوغلين في الاناضول عن طريق ازمير ، ونار ثانية يقوم بتذكيتها الاكراد المستقلون في شمال العراق .

جند الانكليز عام ١٩١٩ الكتائب من الكلدان والنستوريين يرأسهم ضباط وامراء عسكريون من الانكليز[1] للدفاع عن الطريق الواقع بين اورميا والموصل . وكانوا قد شرعوا في تحقيق ذاك البرنامج عام ١٩١٨ ، سواء كان بمعاونة

---

(١) راجع مقالا نشرته مجلة العلوم السياسية بباريس تشرين وكانون عام ١٩٢١ عن الكلدان بقلم المسيو Nikitin

Digitized by Birzeit University Library

الجيوش اليونانية بخرق شروط الحيـاد الدولي ، او بتنظيم القوى المسلحة في بلاد الاكراد . لكنه برنامج قضى عليه الفشل برمته ، فانتصرت جيوش مصطفى كمال عـلى اليونانيين في صقاريا وازمير وتم ذلك بطردهم الى البحر ، وانتصر الزعيم التركي على ما كان قد دبره الانكليز في بلاد الاكراد ، فارسل الى القبائل الكردية السيد السنوسي الذي جاءهم باسم الدين وطيب خاطرهم وسكن من غلوائهم ، بعد ان كانت السياسة الانكليزية قد بعثت اليهم بخيرة ضباطها المشهورين بلين العريكة والدهاء. وبعد ان اهاجتهم باسم الحرية والاستقلال عام ١٩٢١ . وحملتهم على مهاجمة الجيوش التركية بجوار سيواس .

لكن اذا فشل البرنامج الانكليزي في ما يخص الترك ، فانهم لم يزلوا في الموصل يحتلونها ، ويفاوضهم الترك في شأنها وعند كتابة هـذه السطور علمنا بوجود اللجنة الدولية في بغداد وقد وكل اليها امر حل هـذه القضية التي تحولت على ما نظن الى مسألة تقرير حدود نهائية ولا نعتقد ان الانكليز يسلمون بمدينة الموصل لمـا علمناه من اهميتها الحربية والسياسية فضلاً عن اهميتها الاقتصادية كيف لا وهي نقطة مركزية لينابيع البترول الهامة .

***

الموصل مركز لينابيع البترول

اهتمت الدول العظمى بينابيع البترول اهتماماً شديـداً ، والحت وراء

طلب موارده ، والاستيلاء على آباره ، وهذا ما يتيح لنا ان نقول ولا غلو في في ما نقول ، ان هنالك سياسة بترول عالمية خاصة — وهنا اهمية الموصل من الوجهة الاقتصادية .

لم تهمل انكلترا هذا الامر ، بل هي كانت اول من بحث عن ينابيع البترول في جهات الموصل فنشاهد في تقاريرها ما يلي :

« ليست منطقة البترول في العراق سوى جزء من المنطقة الكبرى التي تمتد في بلاد العجم الجنوبية حتى شمال خليج فارس فتجتاز الحدود التركية — الفارسية في ماندلي (في الجهة الشمالية الشرقية من بغداد) وتتم سيرها تحت الدجلة بالقرب من الفتا وتتبع النهر حتى الموصل ، وتمتد بلا انقطاع حتى زاخو بجوار مدينة وان ، ملاصقة في سيرها نهر بوكام احد فروع الدجلة . ويبلغ طول هذه المسافة من اراضي البترول ما يعادل على التقريب ١٠٠٠ ميل ، واتساع الاراضي يبلغ ٢٦٠٠٠ ميل مربع . »[1]

ومدينة الموصل هي في وسط ذاك الحقل الكبير من البترول في العراق .

ومما هو جدير بالذكر ان مدينة الموصل هي نقطة مركزية لاستخراجه من الاراضي . ويفكر الانكليز بان يجعلوا الموصل مركزاً لقناة يكون اولها في الموصل واخرها في ميناء اسكندرونه . فيتيسر حينئذ للبواخر ان

---

(١) نقلا عن الفرع البريطاني المختص بالبترول في الموسس الامبراطوري بلندن رواه المسيو بواده بارد .

Digitized by Birzeit University Library

تأخذ هذا « السائل الذهبي » من خليج اسكندرونة مباشرة .

ولا يلزم ان يأخذنا العجب امام طول هذه القناة الغريبة ، وفي القفقاس قناة اكثر طولا منها تجتاز المسافة الواقعة بين بحر القزم والبحر الاسود ، من مدينة باكو الى مدينة باطوم ويبلغ طول القناة الروسية ٨٠٠ كيلو متر بينما القناة التي ينوي بناءها الانكليز بين الموصل واسكندرونه لايتجاوز طولها ٦٤٠ كيلومترا .

وهناك مشروع ادهى واعظم وهو ان فرنسا وانكلترا عقدتا اتفاقاً في سان ريمو على جعل قناة واحدة تبتدي في بلاد العجم ، فتمر ببغداد والموصل فاسكندرونه (١) .

يفهم من هذا كله ان الدولة التي يتم لها امر الانتداب على الموصل تكون المراقبة الحقيقية على كافة ينابيع البترول وآباره ايًا كان صاحب تلك الينابيع .

وحتى كتابة هذه السطور نرى دولة بريطانيا العظمى صاحبة الامر والنهي في مدينة الموصل .

***

---

(١) يقول الاتفاق الفرنسوي-الانكليزي في سان ريمو ٢٤ نيسان ١٩٢٠ مايلي :
« بناء على الاتفاق المعقود ستقبل الحكومة الفرنسوية . اذا طلب اليها ذلك ببناء قناتين منفصلتين (مع الخطوط الحديدية اللازمة لبنائهما) وبنقل البترول من العراق والعجم في منطقة النفوذ الفرنسوي حتى ميناء او عدة موانٍ من البحر المتوسط الشرقي تتفق الحكومتان على تعيينها . » روته الطان في ٢٥ تموز ١٩٢٠

Digitized by Birzeit University Library

الخلاصة

هذه هي اهمية الموصل في قاعدة طريق الهند الانكليزية فهي من الوجهة العسكرية مفرق طرق لكافة البلدان والمقاطعات المجاورة ، وهي من الوجهة السياسية مفتاح بلاد الاكراد وهؤلاء هم شعب فتي له آماله واحلامه ، والقابض على مفاتيح ذاك الباب يستطيع ان يمثل الدور الذي يراه ملائماً لمصلحته ، اما من الوجهة الاقتصادية فمن بسط سلطانه على مدينة الموصل اصبح القابض على مستقبل مشاريع البترول وفي هذا الربح كله .

علم مصطفى كمال والمجلس الملي في انقره كل هذا فطالب الترك بمدينة الموصل ، لا ليقبضون هنالك على ينابيع البترول فحسب ، بل ليظل سيفهم فيها مسلطاً فوق رؤوس ابناء العرب سواء كان في العراق او في سوريا، منتظرين اول فرصة سانحة للقضاء على استقلال القطرين العربيين ، وبعبارة انسب لواقع الحال ، ليكونوا فيها كسيف دمو قليس فوق رؤوس الانكليز في بغداد والفرنسويين في سوريا .

فاذا استلم الاتراك الموصل ، وهذا ما نراه بعيداً يصبح في حوزتهم مفرق الطرق الذي يعاونهم ثانية على اجتياح حلب ودمشق وبغداد .

...

هذه هي اهمية الموصل المحلية والدولية فنرى اليوم الانكليز مقيمين فيها عملاً بتأييد قاعدتهم الكبرى التي نحن بصددها ، وهذا هو مقدار وكيفية تدخل

Digitized by Birzeit University Library

السياسة الانكليزية في البلاد ومع اهل البلاد الواقعة في تلك الطريق الهامة ، فعسى ان هذا الدرس ينبه افكارنا ، فنذكره كلما لعبت اصابع السياسة في بلادنا ، فنعلل تدخلها ، جزئياً كان او كلياً ، مالياً او اقتصادياً ونرجعه الى اساسه الوحيد في الشرق : طريق الهند .

بعد ما علمناه من اهمية هذه الطريق ، لا بدّ للقاريء من ان يتساءل : وما هي تلك البلاد التي اصبحت العنصر الاول في حياة الامبراطورية البريطانية ؟ . هذا ما نقول عنه شيئاً في الفصل التالي .

Digitized by Birzeit University Library

الفصل الرابع

امبراطورية الهند

اعتمدنا في كتابة هذا الفصل ما نشرته جريدة التايمس عن الهند في عدد ممتاز مصور، بمناسبة سفر ولي عهد انكلترا، البرنس دي غال ، الى الامبراطورية الهندية . وقد حرر مقالاته نخبة من الاختصاصيين الانكليز . فنقلها المسيو بول مارتان عن الاصل الانكليزي ونشرها تباعاً في مجلته الآزي فرانسيز في اعداد نيسان ومايس وحزيران وتموز سنة ١٩٢٢ — ونحن نأخذ عنها المواد والارقام ، وهي احدث واصح ما كتب عن هذه البلاد العظيمة .

***

Digitized by Birzeit University Library

١ — البلاد واهلها

الهندهي شبه جزيرة كبرى ، واسعة الارجاء ، تقع جنوبي القارة الاسيوية وهي بعد الصين اكثر بلاد العالم بعدد سكانها .

مساحة الهند

يبلغ طول الهند من الشمال الى الجنوب ٣،٥٢٥ كيلومتراً ، ويبلغ عرضها من الشرق الى الغرب ٢،٨١٢ كيلومتراً فتأتي مساحتها بثلاثة ملايين ونصف كيلومتر مربع — اي احدى عشر مرة اكبر من الجزر البريطانية [1]

***

عدد السكان

جاء في آخر احصاء رسمي سنة ١٩٢١ ان سكان امبراطورية الهند يقدرون بـ ٣١٩ مليون نسمة — ٧٣ في المئة منهم يشتغلون في حرث الارض و ١٠ في المئة فقط يعملون في المصانع ، والباقون هم من التجار وارباب المهن الحرة ، (ولا بد لنا هنا من تذكير القارئ ان ١٠ في المئة من العمال في بلاد

---

(١) عن كتاب الجغرافيا لمولفه شرادر

Digitized by Birzeit University Library

الانكليز يشتغلون في الحقول وينصرفون الى الزراعة .)

ويقول هذا الاحصاء ان اكثر الولايات نفوساً هي مقاطعة البنغال فيوجد في كل ميل مربع ٥٧٨ نسمة ، كما ان اقل هذه الولايات نفوساً هي البلوشستان فلا يوجد فيها اكثر من ٦ في كل ميل مربع . اما المعدل المتوسط في الهند فهو ١٧٧ نسمة في كل ميل مربع.(١)

***

العناصر

ان انسب النظريات التي حازت الى الان قبول العلماء الذين اهتموا بدرس بلاد الهند درساً صحيحاً هي نظرية السر هربرت ريسلي ، فقسم الى سبعة عناصر الشعوب التي تتألف منها سكان الهند.

١ً العنصر التركي الايراني وهو يقطن في البلوشستان والولايات الواقعة في الشمال الشرقي من بلاد الهند .

٢ً العنصر الهندي الآري او البنجابي وهو طويل القامة اشقر اللون ويقطن في مقاطعات البنجابي والرادجبوتانا والكشمير .

٣ً السيتي الدرافيدي في مقاطعة بومباي .

---

(١) آخر احصاء رسمي ١٨ مارس ١٩٢١ نشرته مجلة الازي فرنسيز في شهر مايس ١٩٢١ .

Digitized by Birzeit University Library

٤ً الآري الدرافيدي او الهندوستاني في ولايات الهندوس والبيهار وفي قسم من الرادجبوتانا .

٥ً المونغولي الدرافيدي اوالبنغالي في ولاية البنغال السفلى والاوريسا .

٦ً المونغولويدي في جبال الحمالايا والاسام وبرمانيا .

٧ً الدارفيدي في الهند الجنوبية والوسطى .

***

الاديان

انقسم سكان الهند الى شيع واديان مختلفة نذكر هنا اهمها وهي ارقام تقريبية : الهندوس وهم الاكثر عدداً ويبلغون ٢١٠ ملايين نسمة ، والمسلمون وهم ٧٠ مليون ، والبوذيون ٩ ، والاثام ٨ ، والمسيحيون ٣ ، واليهود عشرون الفاً ، والباقون يدينون بمذاهب مختلفة .

***

الفرَق

ومما هو خاص ببلاد الهند وجود اهلها منقسمين على انفسهم فرقاً وطوائف واول من عمل بها هم الآريون الذين اجتاحوا بلاد الهند ، وهم يدينون بالمذهب الهندوسي . فلجأوا الى التمييز بين طبقات الشعوب البربرية التي انتصروا عليها حفظاً لاساس المدنية التي حملوها اليهم ، فأسسوا الفرق Castes ، اما قوام مبدأ

Digitized by Birzeit University Library

هذا التمييز فهو ان يظل كل فريق من طبقات تلك الجماعات مستقلاً عن الآخر فهو اذاً تميز في الحياة الاجتماعية ، جعلوه واجباً من الواجبات الدينية ، واخذوا يعتبرون الرقيّ الديني لكل فرد بنسبة تمسكه ومحافظته على قواعد فرقته .

اما التقسيم الاساسي الذي وضعه الآريون فيرجع الى خمس فرق . اولها الرهبان والقسيسون ، ثانيها القواد ورجال الجيش ، ثالثهـا الزراع والتجار ، رابعها الخدم ، خامسها الرعاع .

لكن هذه الفرق الخمس انقسمت بعدئذ على نفسها واستقل كل فريق عن الآخر استقلالاً تاماً ، ولم ينحصر امر هذه الطبقات في دين دون سواه ، بل ان صفة الحياة الاجتماعية ، هذه ، قد تسربت الى جميع سكان الهند ، وروح الفرقة قد تغلغلت في صدور ارباب الاديان جميعهاحتى الى المسلمين والمسيحيين ولم يكن من مصلحة الانكليز ان يزياوا هذه الفروق التي يبنون سلطانهم على اساسها . وتقدر ان نقول ان هذا النمط من التقسيم الاجتماعي لا يزال موجوداً الى يومنا هذا ، وهو وإن ضعف في نفوس الطبقة المتعلمة فأنه لايزال متأصلاً في عقول الاكثرية الساحقة من سكان الهند .

***

اللغات

وقد تعددت اللغات بتعداد العناصر والاجناس ، ففي سنة ١٨٩٥ فوضت حكومة الهند الى السر جورج غريرسن ليحصي لها لغات اهل الهند ، فجاءت نتيجة

Digitized by Birzeit University Library

اعماله الاولى بمجلد ضخم نشره عام١٩٠٣ ومن ذاك العهداخذ يتحف الحكومة كل سنة بمجلد يحتوي على اصول كل لغة . واليوم شرع السر جورج غريرسن بتأليف مجموع من «الاسطوانات الفونوغرافية» تسمح للمهتمين بدرس اللغات ان يستمعوها في لندن فأصبحوا بغنى عن تكبد مشقات الاسفار لسماعها في ولايات الهند السحيقة .

اما عدد هذه اللغات اليوم في بلاد الهند فيقدر بـ ١٥٠ ، اهمها ٤٩ لغة تستحق ان يعتنى بدرسها ، وتقسم الى ثلاثة اقسام رئيسية :

اولها ، القسم الهندي الاوروبي وفيه شعبتان : الشعبة الهندية الآرية (وهي ٢٢ لغة يتكلم بها ٢٣٠ مليون نسمة). والشعبة الايرانية (وقوامها ثلاث لغات يتكلم بها مليونان نسمة) .

وثانيها ، القسم الدرافيدي وفيه ١٤ لغة يتكلم بها ٦٢ مليون نسمة .

وثالثها ، قسم المونوا وهو ١٠ لغات يتكلم بها ٣ ملايين ونصف من السكان .

...

المعارف

وجدير بنا ان نعلم الان عدد الذين يحسنون القراءة والكتابة في الهند . ولاشك بان القاري. ستأخذه الدهشة لما يعلم ان مجموع سكان الهند ٣١٩ مليون نسمة ، وان عدد المتعلمين سنة ١٩١١ لا يزيد عن ١٨ مليوناً ، وانهم

Digitized by Birzeit University Library

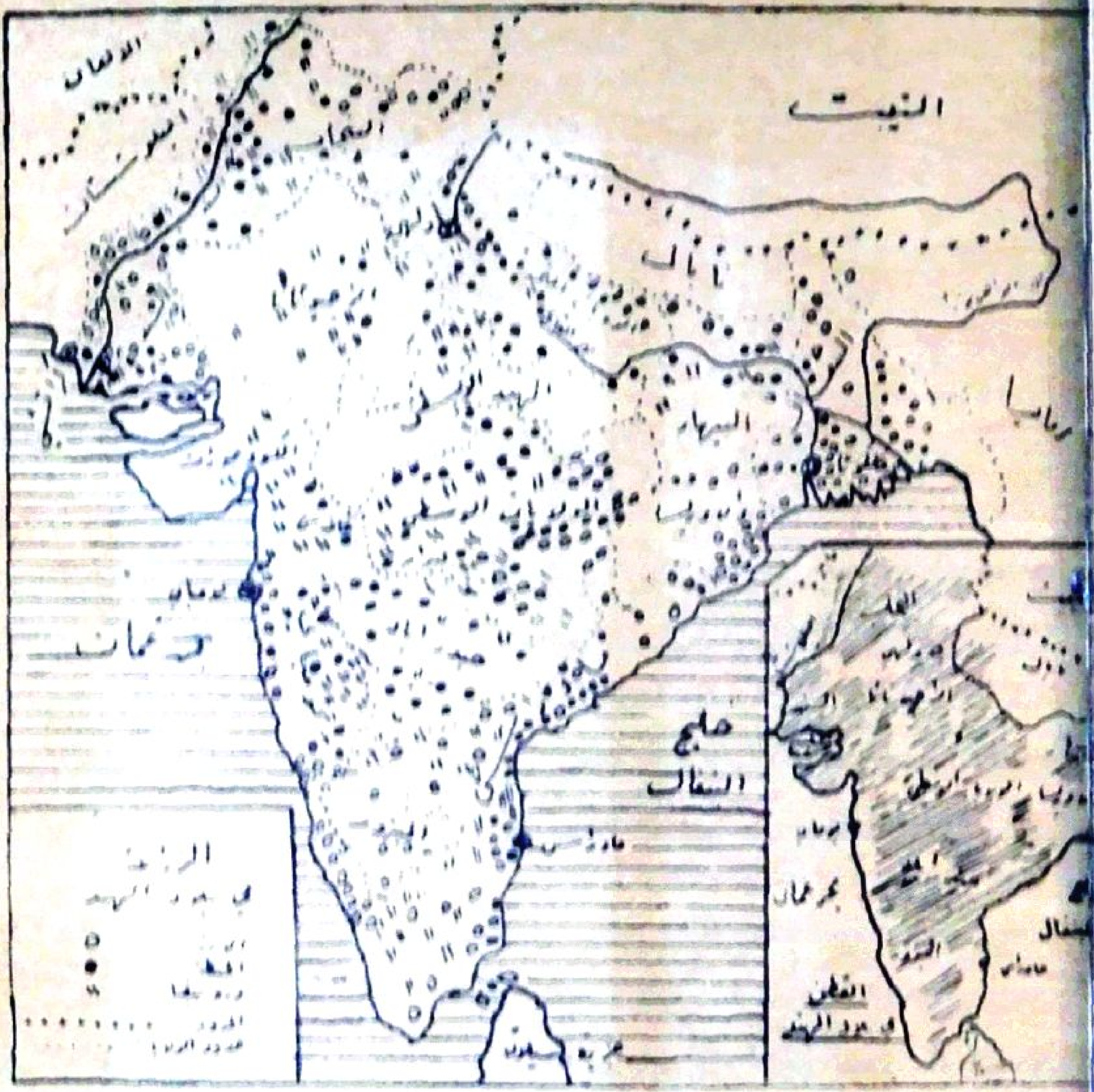

لمراجعة الفصل الرابع من هذه الرسالة : ثروة الهند ، صحيفة ١٢١ — ١٢٩

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

اليوم اصبحوا ٢٢ مليوناً ونصف ، وهنا رقي محسوس ، لكننا نظل امام هذه الحقيقة الرائعة الا وهي ان نسبة المتعلمين الى الاميين هي ٨ في ١٠٠ فقط .

بيد أن الاقبال على المدارس هو بازدياد فكان يرى مثلاً عام ١٩٠٠ ٤،٤٠٠،٠٠٠ طالب في مدارس المعارف العمومية ، فاصبح سنة ١٩١٠ ، عدد الطلاب يبلغ ٦،٣٠٠،٠٠٠ وقد وصل في سنة ١٩٢٠ عددهم الى ٨،٢٠٠،٠٠٠ طالب .

---

٢ — ثروة الهند

بمناسبة افتتاح ابواب معرض « وامبلاي » الكبير الذي اقامته الحكومة الانكليزية في الصيف المنصرم اصدرت جريدة « مانشستر غارديان » التجارية عدداً ممتازاً في ٣ تموز ١٩٢٤ ، نشر فيه السر م . نانكل مقالاً مسهباً عن ثروة الهند الاقتصادية ، وهو الاخير من نوعه عثرنا على ترجمة له باللغة الفرنسوية[1] نلخص بعضه للقاري ليطلع على حقيقة ثروة هذه البلاد العظيمة التي اصبحت عنصراً حيوياً للامة الانكليزية .

***

(١) مجلة الازي فرانسيز عدد كانون الاول ١٩٢٤ .

Digitized by Birzeit University Library

الحبوب

تبلغ مساحة الارض المزروعة في الهند ٤٦،٨٠٠،٠٠٠ هكتار [1] ، وصادرات البلاد من الحبوب فقط سنة ١٩٢٣ تقدر بـ ٢،٨١٣،٩١١ طن :

ارز	٢٨،٢٠٠،٠٠٠ هكتار	—	٢،٠٠٢،٩٢٥ طناً
حنطة	٩،٨٠٠،٠٠٠ »	—	٧٤٨،٩٣١ »
ذره	٢،٤٠٠،٠٠٠ »	—	٤٨،٨٥٠ »
ذره بيضا	٦،٤٠٠،٠٠٠ »	—	١٣،٢٠٥ اطنان

وما هو مشهور عن الهند انها اصبحت في اول البلدان التي تصدر الارز. ويقدر محصول الارز لعام ١٩٢٤ بـ ٢٨،٢٥٠،٠٠٠ طن . ومعظم هذه الكمية تأتي من مقاطعة برمانيا لكثرة امطارها .

وتنتج الهند عشر محصول الحنطة في بلاد العالم قاطبة ، والحنطة هي الغذاء الاساسي لمقاطعة البنجاب . وقد بلغ محصول عام ١٩٢٤ ، ١٠ ملايين طن .

اما بقية الحبوب مثل الحمص والفاصوليا والعدس وسواها تنتجها البلاد بكثرة فائقة ، لكن معظمها يأكله اهل الهند . والكمية التي اصدرتها الهند عام ١٩٢٣ لا تزيد عن ٢٥١،٦٥٠ طناً . ومع هذا فان فاصولية برمانيا قد استعملها الحلفاء اثناء الحرب بدلا من التي كانت ترد اليهم من النمسا وممالك البلقان .

---

(١) كل هيكتار ١٠،٠٠٠ متر مربع .

Digitized by Birzeit University Library

الشاي والقهوة

صرفت حكومة الهند مبالغ طائلة حتى تيسر لهـا ان تنبت الشاي في بلادها وتزاحم بلاد الصين ، مع ان زرعه قبل سنة ١٨٥٢ لم يكن الاقليلاً، اما اليوم فقد اصبحت الهند ، بعد بلاد الصين اول بلاد العالم في تصـدير الشاي . وقد اصدرت سنة ١٩٢٣ كمية عظيمة بلغ ثمنها ٣٩٥ مليوناً ونصف جنيه انكليزي ويقدر ما تصدره من « وسخ » الشاي فقط لصنع الكافين بـ ١،٧٥٠،٠٠٠ جنيه انكليزي !

اما كمية القهوة التي تصدرها الهند فهي ٢٠٠،٢١٨ قنطاراً (بسعر ١١٢ جنيهاً انكليزياً كل ٥٠ كيلوغراماً) .

***

الحبوب الزيتية

ثم هناك انواع الحبوب الزيتية مثل السمسم والخردل والموفرا والخروع وزيت القطن وفستق العبيد . ومساحة الارض التي يزرع فيها الخردل تقدر بـ ١،٥٠٠،٠٠٠ هكتار كما ان حقول فستق العبيد تزيـد مساحتها عن المليون هكتار .

اما جوز الهند فانهم يبيعون منه حتى شعر القشرة الخارجي ففي سنة ١٩٢٣ اخرجت الهند من قلب الجوز المجفف ٣،٩٧٩ طناً ، ومن شعر القشرة الخارجية ٣١،٩٨١ طناً ، ومن زيت الجوز ٢٤٩،٦٨٣ بر ميلاً !

Digitized by Birzeit University Library

الكاوتشوك

يزرع شجر الكاوتشوك في شواطئ برمانيا وملابار وفي غيرها ، فاصدرت الهند سنة ١٩٢٣ من الكاوتشوك بمبلغ قدره ١٤ مليوناً ونصف جنيه انكليزي، ونصف هذه الكمية ذهبت الى انكلترا .

***

الغابات

والغابات التي تعتني بها الحكومة تقع في مساحة قدرها ٦،٥٠٠،٠٠٠ هكتار ، ومعظمها من اشجار « التاك » ، وهو خشب خاص بالهند يستعمل في الاكثر لبناء السفن والمراكب ، ويرى كثير من هذه الغابات في برمانيا ، وصادراتها تقدر بـ ٣٦،٩٥٢ طناً مكعباً (١) .

***

مناجم الفحم

يستخرج الفحم الحجري من ولايات البنغال ، والبيهار ، والبنجاب ، والباوشستان والاسام وحيدر اباد والراجبوتانا والهند الوسطى وحكومات شان في برمانيا .

---

(١) كل طن مكعب يعادل ٣٥ قدم مكعب ، والقدم الواحد هو ٠,٠٢٨ من المتر المكعب .

Digitized by Birzeit University Library

استخرجت الهند من مناجمها سنة ١٩٢٣ ، مقدار ١٩،٦٥٨،٠٠٠ طن من الفحم ، و كانت قد استخرجت عام ١٩١٩ اكثر من هذا بثلاثة ملايين طن . اما صادراتها فكانت :

في ١٩٢٠ — ١،٢٢٠،٠٠٠ طن

〃 ١٩٢٣ — ١٣٦،٠٠٠ طن فقط

ولم تكن صادرات ١٩٢٣ الا جزءاً من ١٤٤ من كافة محصولاتها ومعظم هذه الكمية تأخذها جزيرة سيلان ، او تذهب الى مستودعات بريطانيا البحرية . وتشاهد الهند صعوبات جمة في سبيل بيع محصول مناجمها وماذلك الا لأن نوعه اقل جودة من الفحم الذي يستخرج من افريقيا الجنوبية . وتسعى حكومة الهند باتخاذ التدابير الفنية لتحسينه واستخراجه نظيفاً والاعتناء بتقطيعه .

***

المعادن

تأتي الهند سابع بلدان العالم في استخراج كمية الذهب والقسم الاعظم من هذا المعدن الثمين تقدمه مناجم الكولاد واراضي حكومة ميزور ، ويستخرج بعض منه في حكومة حيدراباد وانانتابور ، ويرى الذهب في بعض انهر برمانيا فيجرف قطعاته تيار مياهها .

وللحديد اثر كبير في ارض الهند ، لكن يتعذر استخراجه لقلة مناجم

Digitized by Birzeit University Library

الفحم ، ومع هذا ابتدأت شركتان كبيرتان باستثماره وحفرت المناجم واخرجت من الحديد الخالص عام ١٩٢٣ مقدار ١٨١،٥٠٠ طن .

وحاولت الشركات منذ خمسين سنة الاستفادة من طبقات النحاس التي تأكدت الحكومة من وجودها في شوتا ناغبور ، لكن ظلت تلك المحاولة بلا جدوى ، وفي سنة ١٩٠٩ توصلت شركة « كلب كوبر » الى نتيجة مرضية في جهات الرخا فانتج تنقيبها تأسيس معمل لصب النحاس فيها .

اما القصدير فيرى معظمه في برمانيا ، وقليلاً منه في الراجبوتانا والبيهار والاوريسا ، واصدرت الهند عام ١٩٢٣ الى خارج البلاد ٣،٢٥٠ قنطاراً من القصدير .

***

المنسوجات

للهند اعتناء خاص بنبات « الجوت » بل هو لا ينبت الا في ارضها وهو يزرع على شواطئ الغانج والبراهمابوتر ، وفي سنة ١٩٢٣ استهلك اهل الهند من « الجوت » ٤٠،٦٠،٠٠٠ بالة (ثمن كل منها ٤٠٠ جنيه انكليزي) وقد باعت الى الخارج ٣،٠٠٠،٠٠٠ بالة ، ومن المنتظر ان يعطي الـ ٦٠٠،٠٠٠ هكتار التي يزرع فيها الجوت ما يقارب ٧،٠٠٠،٠٠٠ بالة .

ويعتني اهل الهند « بالقنب » وهذا لا لخيوطه فحسب بل للمادة المسكرة التي فيه ، وهناك نوع آخر من القنب يدعوه اهل الهند « سيزل » ويعتنون به

Digitized by Birzeit University Library

اعتناء خاصاً وقـد باعوا منه الى خارج البلاد سنة ١٩٢٣ كمية كبرى : ٣٣٦،٦٤٤ قنطاراً .

وللقطن الاهمية الاولى، وهو عنصر اساسي في ثروة الهند الاقتصادية . وتعد بلاد الهند في الدرجة الثانية بين بلاد العالم في انتاج قطنها ، ولم يسبقها سوى الولايات المتحدة الاميركية ، لذلك اهتمت وزارة الزراعة اهتماماً خاصاً لتحسين نوع القطن فاستجلبت البذور الاميركية وباعتها للزراع فاعطت نتائج حسنة .

وبلغت مساحـة الارض التي استخدمت سنتي ١٩٢٠ — ١٩٢١ لزرع القطن ٨،٤٠٠،٠٠٠ هكتار، ثم الفت الحكومة لجنة مركزية لدرس الحالة ولاستشارتها في كافة الامور التي تهم زراع القطن والمصانع القطنية في الهند

يلبس اهل الهند المنسوجات القطنية ولا تصلح لهم غيرها لشدة الحر في البلاد ، فشيدوا المصانع لحياكة القطن التي تخرجه لهم ارضهم لكن ذلك لاقى عناد اصحاب المعامل الانكليزية ، ولن يروق مثل هـذا الامر أعين سكان لانكاشير في انكلترا، وهذا السبب الاول للعراك الحاصل بين ارباب مصانع الهند ومصانع انكلترا ، فضرب الانكليز البضاعة الوطنية في الهند برسوم من شأنها فتح الاسواق الهندية للصناعة الانكليزية، والهنود يطالبون بالغاء تلك الرسوم المجحفة بحقوقهم . وسياسيو الهند الوطنيون يقبحون تلك الرسوم « التي لم يشاهد التاريخ ما يماثلها جوراً في اي بلد آخر » وقد كتب في هذا الصدد السر ف. شيرول ما معناه :

Digitized by Birzeit University Library

« ان الرسوم التي فرضتها السلطة الانكليزية على المصنوعات القطنية في الهند قد اضرت ضرراً كبيراً بمبادي، حرية الاتجار [1] وكانت العامل الاكبر الذي هدم في نفوس الوطنيين معنى الثقة بجميع مبادي، العدالة التي يدعيها الانكليز . . . »

ولا نتعمق في البحث عن تفاصيل ذاك العراك ونتائجه ، ويكفينا ان نعلم ان السلطات الانكليزية لا تزال تضرب المنسوجات الوطنية في الهند لتفتح مجالاً لارباب مصانعها في لانكاشير ، فتحتل بضائعهم اسواق الهند كما يحتل جنودهم قلاعها ، وتجد لها فيها زبائن قهريين .

ويعتنى ايضاً في بلاد الهند بتربية دودة الحرير ، فقد بلغت صادراتها عام ١٩٢٣ ما قدر ثمنه بـ ١،٢٩٢،٩٣٥ جنيهاً انكليزياً . اما الصوف فنقول عنه كلمة واحدة وهي ان الهند باعت للمصانع الانكليزية عام ١٩٢٣ كمية من الصوف كان ثمنها ٣٧ مليوناً ونصف جنيه انكليزي .

---

(١) راجع الصحيفة ٢٣ « الاحزاب وسياستها الداخلية » من هذه الرسالة .

Digitized by Birzeit University Library

٣ — المواصلات في الهند

ان قضية وسائل النقل هي رئيسية في بلاد واسعة رحبة مثل بلاد الهند ويقال ان قلة اسباب المواصلات في الماضي كانت احدى الاسباب الاولية التي هدمت بنيان امبراطورية الموغول . . . واليوم رغماً مما وصلت اليه وسائل النقل من التقدم الحثيث، فهي لاتزال قليلة بالنسبة الى ما تطلبه حاجة البلاد.

الطرق المعبَّدة

يوجد في الهند ٣٢٠،٠٠٠ كيلومتر من الطرق المعبدة ، لكن معظمها يصبح في ايام الشتاء غير قابل للاستعمال ، وكثيراً ما يلحق بالمقاطعات الزراعية في الداخل ضرر من جراء هذا النقص في وسائل النقل . ولما كان يلزم لمثل هذا العمل مصاريف باهظة فان البلديات والحكومات اظهرت عجزها الى الان عن القيام به .

كانت الحكومة قد استعملت السيارات لنقل القوى العسكرية في الحدود الشمالية رغبة منها في تأييد الامن ، وتفكر اليوم الحكومات المحلية باستعمال السيارات ، لكن هذه تتطلب طرقاً صالحة، ولا يوجد في الهند الآ ٨٨،٠٠٠ كيلومتر من الطرق التي تصلح لها .

Digitized by Birzeit University Library

السكك الحديدية

وكان يمكن للسكك الحديدية ان تسد الفراغ الذي اوجده عدم صلاح الطرق المعبدة ، لكن هذه تتطلب ايضاً رؤوس اموال كبيرة ... ومجموع الخطوط في الهند غير وافٍ ، وقد نقلت الحكومة قسما من المركبات والقاطرات الى العراق ، واستعملت الباقي للنقليات العسكرية اثناء الحرب ، فاتلفت قسما منه ، وفضلاً عن هذا كله فأن نقل الفحم قد يشغل نصف مجموع مركبات النقل الموجودة في الهند ، لا سيما ان الحكومة والشركات كانت تنقل في الماضي الفحم اللازم لمستودعات الموانيء بواسطة السفن ، ولكن في سنتي ١٩١٩—١٩٢٠ ، نظراً لقلة البواخر النقالة ، اجبرت على نقله في طريق البر واقتضى لذلك مركبات عديدة لتموين السفن الكبرى التي تقصد بومباي وكراتشي . وتهتم الحكومة اليوم بسلوك طرق للاصلاح ناجعة .

اما مجموع الخطوط الحديدية في الهند فهي ٥٩،١٤٠ كيلومتراً (سنة ١٩٢٠) ، وعدد المسافرين الذين يركبون في السنة الواحدة في القطارات يراوح بين ٤٠٠ و٥٢٠ مليون نسمة ، اما كمية البضائع التي تنقل سنوياً فهي بين ٨٠و٩١ مليون طن .

ويوجد في الهند اثنتا عشرة شركة للسكك الحديدية ما عدا الخطوط التي تديرها الحكومة ، وتستعمل هذه الشركات ٩،٦٠٠ قاطرة ، و٢٤،٧٠٠ مركبة للمسافرين ، ١٩٦،٠٠٠ مركبة لشحن البضائع .

Digitized by Birzeit University Library

الموانيء

في الهند ثلاث موانيء هامة هي كلكوتا ، بومباي وكراتشي ، ثم تأتي بعدها في الدرجة الثانية مادراس وسيتاغونغ رغماً من وجود تلك السواحل التي يبلغ طولها ٥،٦٠٠ كيلومتر . وتفكر بعض حكومات الساحل في تأسيس موانيء جديدة تسهيلاً لنقل البضائع بواسطة السفن نظراً لقلة الطرق المعبدة وقلة الخطوط الحديدية ، ومما لا شك فيه هو ان وسائل النقل المادية في الهند لا تزال دون حاجة البلاد بكثير .

***

البريد والبرق

في الهند ٢٠،٠٠٠ مركز للبريد والبرق (اي مركز واحد لكل ٢٤٠ كيلومتر مربع) ويوجد فيها اعلى مركز للبريد في العالم وهو مرتفع عن سطح البحر ٤،٦٠٠ متر ، في مدينة قاريجونغ ، ومجموع عدد الموظفين في ادارات البريد هو ١٠٠،٠٠٠ . وادارة البريد تستعمل جميع وسائل النقل : السيارات والعجلات والبواخر والخيل والجمال ومع هذا فأن ٥٧ في المئة من اعمال التوزيع يقوم بها الموزعون المشاة ، وقد ربحت دوائر البريد في سنتي ١٩١٩ — ١٩٢٠ ٧٤٠،٠٠٠ جنيه انكليزي بعد القيام بكافة مصاريفها .

وفي الهند ايضاً ١٤٥،٠٠٠ كيلومتر من الخطوط البرقية ، وهي قليلة

Digitized by Birzeit University Library

بالنسبة الى ما تتطلبه البلاد ، ومع هذا تحاول الحكومة ان تسد الخرق بتعزيز البرق اللاسلكي وقد ارسلت الى الهند خمسة اختصاصيين من انكلترا لدرس الحالات الجوية — اما الهاتف (تلفون) فأسلاكه لاتزيد عن ٢،٦٠٠ كيلومتر .

***

الطيران

اما النقليات الجوية فهي لا تزال في الهند في مهد الحضانة ، ففي ١٩١٩—١٩٢٠ لم يقبل في الهند سوى طيارتين ، ولم تمنح الحكومة الا ١٣ شهادة للطيارين . ومع هذا فقد بعثت الحكومة الانكليزية بـ ١٠٠ طيارة الى الهند ، ٢٠ منها خصصت للجيش و ٨٠ وزعت بين الحكومات المحلية وشركات الطيران . وهناك طرق جوية عديدة بين المدن الكبرى ولكن المصاريف التي تتطلبها محطات الطيران حالت دون رقي اسباب المواصلات الجوية .

Digitized by Birzeit University Library

٤ — امراء الهند

عندما يفكر الغربي بالهند وامرائه « الراجاه » يتوهم ان هناك طغاة مستبدين قد ارتدوا اثواب الدمقس اللامع، وتحلوا بالاحجار الثمينة البراقة، يعيشون في القصور الجميلة التي شيدتها لهم الجن.

يعيش تحت سماء الهند ٦٩٥ اميراً ورئيساً، منهم ٢٨٧ لايزيد واردهم السنوي عن ١٠،٠٠٠ روبية!

قال ج. شالي: « ترى بعضهم سلاطين يديرون ممالك حقيقية، وبعضهم رؤساء عشائر لا يملكون اكثر من قرية او بضعة عشر كيلومتراً من الارض.

اصغر الملوك

وقد روى ريدكارد كيبلينغ وصفاً لاحد هؤلاء الاسياد الصغار ننقله للقاري. على سبيل التفكهة:

كان في سالف العصور والاجيال ملك يعيش في طريق التيبت، هناك، في جبال حملايا السحيقة. وكان ملكه مرتفعاً ارتفاعاً عظيماً عن سطح البحر، ٣،٣٠٠ متراً، لكن مساحته لا تزيد عن عشر كيلومترات مربعة، وكانت اكثر تلك الكيلومترات « عمودية » لا مسطحة، نظراً لحالة البلاد

مكتبة جامعة بير زيت

Digitized by Birzeit University Library

الجبلية . اما وارداته التي لا تزيد عن ٤٠٠ جنيه مصري، كان يأكلها له فيل عظيم ، وجيش دائم عدده خمسة رجال. ويخضع هذا الامير بالطبع الى حكومة الهند التي تعاونه ببعض المال ، فيصرفه في تصليح قسم من طريق الحملايا — تيبت .

وكان هذا الملك ، من حين الى آخر ، يركب جواده ويقطع عشرات الكيلومترات قاصداً مدينة ساملا ، مقر قائمقام الحاكم ، ليفاوض حاكم الهند في شؤون المملكة ، وليؤكد له ان سيفه وما ملكت يداه هما في خدمة الامبراطورة ...

فيأمر الحاكم بقرع الطبول، ويعود الامير وحاشية ملكه — وهما رجلان في حالة رثة — ومرافقه الذي كان يحمل الهدية ، يعود الجميع من ذاك الطريق الوعر الذي أتوا منه بين غابة كثيفة من الحور وجبل عظيم من الثلج الناصع .

اما قصر الامير، فهو بناء من التراب والخشب ، دهن داخله وخارجه بماء الكلس ، وقد جاء في اربع غرف وهو اجمل مسكن يمكن للمسافر ان يصادفه في الناحية .

يرتدي الملك سترة من المخمل الازرق ، وسروالاً من القماش الابيض وعمة فاخرة صفراء فاقع لونها ... وقد استقبلني في حجرة صغيرة فرشت بالطنافس الثمينة وهي تطل على جنينة القصر التي يحتلها « فيل حكومته ».

***

Digitized by Birzeit University Library

اكبر امراء الهند

« هو اكبر وطني لاعظم امبراطورية عرفها العالم » — هكذا تدعو جريدة التايمس « نظام حيدر اباد » السر عثمان علي خان اول امراء الهند .

وهو امير مسلم يحكم ١٤ مليوناً من الناس اكثرهم هندوساً . وعاصمته هي مدينة كبرى يعد سكانها ٥٠١،٠٠٠ نسمة . وتعادل مساحة ملكه مملكة ايطاليا في وسعها (٢١٥،٠٠٠ كيلومتر مربع) وواردانه السنوية تبلغ ٣٦ مليون روبية .

وهو ملك عصري يحب الحرية ، ويسلك سبل الرقي التي تعود على ملكه بالخير والعمران ، وله وزراء ومجلس تنفيذي يرأسه السر علي امام .

وحكومة حيدر اباد هي موالية للحكومة البريطانية صادقة في معاملاتها معها ، فحاربت بجانب الانكليز في الجبهة الشرقية . و « نظام حيدر اباد » قدم على نفقته الفيلق العشرين من الخيالة ، وقد كافأته انكلترا ودعته : « حليف بريطانيا العظمى الامين » .

***

آغا خان

ليس آغا خان ملكاً بل هو زعيم روحي ، يعترف به كافة مسلمو الهند ويسمعون نصائحه وهو يقطن في مدينة بومباي.

لآغا خان عند الانكليز مكانة رفيعة ، وهم يدّعون انه يرجع اليهم

Digitized by Birzeit University Library

معظم الفضل بالثروة الطائلة التي يتصرف بها ، مع اننا نعلم انهـا من هبات المسلمين في الهند .

كانت قد فترت سلطة اَغا خان الروحية على المسلمين في الهند ، فأتهمه البعض انه موالٍ للانكليز يخدم سياستهم . لكن الحوادث الاخيرة التي جرت بعد الحرب والتي نقلت الينا البرقيات شيئاً عنها ، تثبت لنا وَهي هذه التهمة، ان وقفته الاخيرة بجانب الترك مدافعاً عنهم بتلك اللهجة الشديدةخير دليل على مقاومته السياسة الانكليزية .

ولاَغا خان والمجلس الاسلامي في الهند مواقف مشهودة اثر معاهدة سيفر فقد احتجا عليهـا بشدة وطلبا انصاف المسلمين الاتراك وعاوناهم مادياً ومعنوياً ضد السياسة الانكليزية الجائرة .

***

الامراء الهنود والسلطة الانكليزية

قلنا ان في الهند ٦٩٥ اميراً وزعيماً وطنياً وهم يحكمون خمسي بلاد الهند وربع اهاليهـا تقريباً . وما تبقى من البلاد والنفوس يحكمهم الانكليز مباشرة . وواردات الامراء الوطنيون تقدر بـ ٢٥٠ مليون روبية سنوياً .

وقد سلك الامراء في حكوماتهم كافة انواع الحكم ، فيرى بينهم من يحكم على احدث الطرق الديموقراطية المتبعة في ممالك الغرب ، في حين ان بعضهم لا يزال ينهج في ادارة بلاده سبيل الاستبداد المطلق .

Digitized by Birzeit University Library

حاولت الحكومة الانكليزية إضعاف الامراء وإخضاعهم مباشرة لحكمها ، لكن اليقظة الحديثة التي شوهدت آثارها في نفوس الوطنيين جعلتها ان تعدل في خطتها ، خصوصاً لما تحقق ان المشاغبين عليها لا يحدون مرتزقاً تحت سماء الحكومات الوطنية ، لان امراءها لا يتركون لهم مجالاً خشية ان تتسرب روح الثورة الى رعاياهم .

لما نظرت السلطة الانكليزية انه يمكنها ان تعتمد امراء الهند لاضعاف الحركة الوطنية في البلاد ، اخذت تخطب ودهم ، فبدلا من ان تحاول اخضاعهم الى سلطتها مباشرة ردت اليهم بعض ما كانت اخذت من اراضيهم ، والفت من الامراء الاقوياء مجلساً دعته « بمجلس الامراء » .

هذا يكفي لنعلم ان الحكومة الانكليزية تستند اليوم على الامراء المحافظين ، لتكافح النزعة الثورية التي تتقوى في نفوس اهل الهند ، فهل تنجح في مسعاها هذا ؟

فلنترك الايام تجيبنا عليه .

Digitized by Birzeit University Library

٥ — بريطانيا العظمى وامبراطورية الهند

فائدة الارقام التي ذكرناها

لقد اظهرت الارقام التى سردناها امام عيني القاري، حالة الهند الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، فرأينا مثلًا انقسام تلك الامبراطورية الكبرى الى مذاهب وديانات ولغات وعناصر مختلفة ، ويعتقد الانكليز ان اختلاف تلك النزعات والتقاليد هو عثرة في سبيل استقلال اهلها .

وعلمنا ان بلاد الهند هي بلاد زراعية تعمل الاكثرية الساحقة من سكانها على حرث الارض واستثمار خيراتها ، وعددنا انواع تلك المحصولات وقلنا كلمة عن الكمية التى يستهلكها اهل الهند ، والمقدار الذي تصدره الى الخارج ، ومعظمه يذهب بلا ريب الى انكلترا .

ورأينا اخيرًا ان الهند يديرشؤونها فريقان : الفريق الاول ، هو الامراء الوطنيون وهم عموماً موالون للسلطة الانكليزية . والفريق الثاني ، هو الحكومة الانكليزية التي تحكم مباشرة ثلاثة ارباع مجموع السكان وثلاثة اخماس اراضي الهند ، وان منبع الاستياء ظهر في البلاد التي تخضع للمشيئة البريطانية .

***

Digitized by Birzeit University Library

يقظة اهل الهند

ربما كان للانكليز بعض الحق في دعواهم بأن اختلاف التقاليد والنزعات هو عثرة كبرى في سبيل استقلال اهل الهند ، لكن هـذا اذا صح قبل ربع قرن ، فلا يصدق بجرفيته اليوم ، ولا سيما ان الحرب حملت بالالوف منهم الى خارج البلاد ، فحاربوا في صفوف الحلفاء ، وشاهدوا بلاداً غير بلادهم ، واهلاً غير اهلها ، ومدنية تختلف عن مدنيتهم ، فأثر ذلك في عقولهم وعواطفهم ، واصبح لهم نظر آخر في الاشياء والاشخاص ... وكانت نهضة الهند قـد ابتدأت قبل هذا الاحتكاك بين الشرق والغرب ، فازداد انتباهها اثناء الحرب الكبرى التي اثبت لديهم طول مدتها ، ان حكومات الغرب ليست تلك الامم القوية المنيعة التي تنتصر مشيئتها في بضع معارك ، وتتحقق رغائبها في وقت قصير . كيف بها وقـد ظلت تتقاتل اربع سنوات ولم تصل الى بعض الغاية التي كانت تتوخاها .

ولا يجب ان يسهى بالنا عن ذاك الحادث الهام الذي انتصرت فيه الجيوش اليابانية على القوى الروسية سنة ١٩٠٥ فكان هذا في نظر الهنود والشعوب الشرقية انتصار الشرق على الغرب ، ونزيد عليه اليوم المبادي، الديموقراطية التي نادى بها الرئيس ويلسن فانتبه لذاك النداء ضمير اهل الهند السياسي ، وقالوا نحن ايضاً امة يجب ان تحكم نفسها بنفسها [1] ، ويذكرون انهم قد

---

(١) راجع الصحيفة ١٦ و ١٧ من هذه الرسالة .

Digitized by Birzeit University Library

عاونوا الحكومة الانكليزية ، معاونة جلى في محاربتها اعدائها ، فوعدتهم هذه بأن تكافأهم على صنعهم ، وصرحت لهم بانها واياهم يحاربون لتحرير الامم الضعيفة من الرق ، ونصرة الشعوب المحكومة على نفسها ، وانهم سيكون لهم نصيبهم من هذا التحرير النهائي التام .

***

الدستور الجديد

وعدت انكلترا اهل الهند عام ١٩١٧ انها ستمنحهم الاستقلال . . . لكنها تلك وعود انكليزية ! فكان معنى هذا الاستقلال ان تخلق في الهند بدعة جديدة في سبيل الاحكام السياسية والاوضاع الادارية . فأوجدت في الهند طريقة « الحكم المختلط » ومنحت اهلها دستوراً من شأنه تأسيس مجالس وطنية وتعيين وزراء من الوطنيين — ووعدتهم ايضاً — بأنها ستوسع دائرة صلاحيتهم — اذا كانوا عقلاء — واذا اظهروا اهلية في وظائفهم تستحق المكافأة . كما انها ستسترد منهم ما اعطتهم اذا اظهروا عجزاً في تطبيق مبادئ الحكومة الدستورية .

ولكن هذه الطريقة قلما تنجح مع الجماعات ، فأحس اهل الهند طعم الحكم الذاتي اللذيذ ، واحبو ان تستزيدهم انكلترا منه ، وطلبوا منها « سريعاً » انجاز مواعيدها لانهم شعروا بانهم اهل لادارة شؤونهم بانفسهم . فعرضت الحكومة وقتئذ اقتراحاً على المجلس التشريعي للنظر فيه ، وهذا

Digitized by Birzeit University Library

الاقتراح يحتوي على برنامج جاء فيه النقاط الثلاث الآتية :

١ : تأسيس حكومة مسئولة في عموم الولايات اعتباراً من سنة ١٩٢٣

٢ : تسليم ادارة شؤون البلاد الى وزراء وطنيين ما عدا ادارة الجيش والبحرية والامور الخارجية .

٣ : اعلان استقلال البلاد الذاتي التام اعتباراً من سنة ١٩٢٩ .

لكن الحكومة سحبت اخيراً هذا الاقتراح ووضعته بين ايدي حاكم الهند العام ليدرسه .

***

هل تستطيع الهند ان تحكم نفسها

نشر السر ميشال ف. او دوير مقالاً اظهر فيه العوائق التي تحول دون استقلال اهل الهند [1] . ومن هذه العوائق :

اولاً ، الاختلاف الاساسي الذي يوجد بين امبراطورية الهند وبقية المستعمرات البريطانية التي تتمتع بشروط الحكم الذاتي الواسع ، مثل الكندا وافريقيا الجنوبية واوستراليا وزيلاندا الجديدة ، واهل كل من هذه البلاد هو واحد في عنصره ومذهبه ولغته وتقاليده ، ولا يختلف بروح مدنيته عن مدنية بريطانيا العظمى ، وكل من هذه البلاد حائز على ادارة ديموقراطية حقة . وقد انتشر التعليم الاجباري بين اهله وقل عدد الاميين ولا يوجد ادنى

---

(١) نشره في جريدة Royal Colonial Institute Journal ؛ شباط سنة ١٩٢٢

Digitized by Birzeit University Library

فرق بين طبقات الامـــة والجميع متساوون امام القانون ، والكل مقتنع بأن حماية بلادهم وصيانة استقلالها هو نتيجة لازمة للحكم الذاتي .

ثانياً ، لا يوجد شيء من هذا في الهند ، فلم تحصل وحدة البلاد في عصر من العصور ، وهي لا تزال الى الان مقاطعة جغرافية لا وحدة حقيقية لهـــا ، وقد يكون الفرق بين سكان مادراس وسكان ولايات الشمال اعظم من الفرق الموجود بين القاطن في بـــلاد ايطاليا والقاطن في الدانمرك ، والحكومات الوحيدة التي شوهـــدت في الهند هي التي اسسها عندهم الفاتحون المسلمون من عرب وفرس وافغان وترك ومغول ، فأفلحت اخيراً انكلترا بان تجعل من بلاد الهند بلداً واحداً ، ومع هذا ثلاثة اديان كبرى قد اقتسمت اهل البلاد الذين انقسموا ايضاً على انفسهم فرقاً متعددة (٢،٠٠٠ فرقة) ، فضلاً عن ان الذين يحسنون القراءة والكتابة من الاهالي هم النذر اليسير بالنسبة الى تلك الكتلة التي ساد فيها الجهل ، ولا يمكن ان تكون قضية تأسيس حكومة ديموقراطية موضوع البحث في بلد لايزال اكثر من خمسين مليون نسمة منهم يعتبرون من الرعاع « ويتنجس » الذين يقتربون منهم .

ثالثاً ، والهند عاجزة عن ان تدافع عن كيانها ، فلا يكفي ان ينظم عدد الجيوش على الورق ، والارقام وحدها لم تكف يوماً لصيان كيان امة من الامم ، ولم يفقه المشتغلون في السياسة في الهند معنى للروح العسكرية ، روح التنظيم والطاعة .

ويورد صاحب هذا المقال السر ميشال ف. او دوير بعض الارقام :

Digitized by Birzeit University Library

قدمت الهند ٧٠٠،٠٠٠ جندي اثناء الحرب ، فكان نصيب مقاطعة البنجاب منهم ٤٠٠،٠٠٠ جندي ، لكن لم يتطوع من سكان المدن ، اي الاهالي المتعلمين ، سوى ٧٠ رجلًا للذهاب الى جبهة اوروبا و ٢٥٠ رجلًا للدفاع عن الولاية . . . ومقاطعة البنجاب هي ارقى مقاطعة في الهند ، فتعد لوحدها ٥٠ مليون نسمة ، ومع ذلك لم يتطوع منها لحمل السلاح سوى كتيبة واحدة ، وبناء على هذا لاشك بان الهند عاجزة عن ان تدافع عن نفسها ، ولا تلبث ان تصبح فريسة جيرانها او اي حكومة قوية اخرى تأتيها من البحر .

***

الخلاصة

هذا رأي انكليزي ، وقد يدهشنا لو اسمعنا الكاتب غير ذلك ، فلا نحمل القاري. عناء الرد على ما كتبه السر ميشال ف. او دوير بل نكتفي بهذا التلخيص وللقاري. رأيه ، لكن الذي نعلمه اليوم من الحركة الوطنية في الهند ، واجتماع كلمة الهندوس والمسلمين وغيرهم من ارباب الاديان المختلفة ، نقدر ان نلخصه بكلمة واحدة ، وهو : التخلص من السيطرة الانكليزية .

ولا يهم قط اهل الهند مسألة الدفاع الموهوم عن البلاد ، وهم يدافعون عنها اولاً من الاستعمار الانكليزي ، وجل رغائبهم هي ان يكونوا احراراً في بلادهم واصحاب الكلمة فيها .

اما الدستور الجديد الذي منحتهم اياه السلطة الانكليزية فلا ينظرون

Digitized by Birzeit University Library

اليه الا كوسيلة لتحقيق رغائبهم المشروعة ، وقدشجعتهم الى المثابرة في الطلب المكانة الكبرى التي حازوها في موتمر المستعمرات الذي عقد في لندن ، والمكانة الرفيعة التي استحقوها في موتمر الصلح بفرساي ، فشعروا منذ ذاك الحين ان بريطانيا العظمى لا تفوقهم بشيء ، وانهم واياها على مستوى دولي واحد ، وهذا الموقف الذي لم يمض عليه بضعة سنين قد ايقظ في صدورهم آمالاً عظيمة ، لاهمَّ لهم سوى تحقيقها .

ومن الثابت في علائق بريطانيا العظمى مع امبراطورية الهند هو انه من الصعب الرجوع الى الوراء ، والايام ستكره الحكومة البريطانية على زيادة المسائل التي يجب عرضها على المجالس النيابية والوزراء الوطنيين ، — فماذا يخبيء الغد لتلك الامبراطورية الكبرى ؟ هذا ما لا نجرأ على الجواب عليه ، ولا احد يجرأ على الجواب حتى ولا الانكليز انفسهم ، ولا اعضاء الحكومة الوطنيين ! — والامر الذي لاريب فيه هو ان بريطانيا العظمى يجب عليها ان تراعي امال اهالي الهند وان تحقق امانيهم تدريجاً خشية من ان تخسر البلاد واهلها .

Digitized by Birzeit University Library

الفصل الخامس

بلاد الفلاندر (١)

القاعدة الثالثة

بلاد الفلاندر هي اليوم مملكتي هولاندا وبلجيكا وولاية من ولايات فرنسا الشمالية التي مركز حكومتها ليل وثغرها دانكرك .

يفصل هولاندا والبلجيك عن الجزر البريطانية بحر الشمال ، واهم ثغور هذين القطرين هما امستردام وانفرس . ولا يخفى ما لثغر انفرس من الاهمية الكبرى في نظر التجارة الانكليزية ، لانه آمن منفذ الى داخل اوروبا .

---

(١) خلاصة خطاب القاه المؤلف في معهد العلوم السياسية بباريس بمناسبة درس عملي في السياسة موضوعه الجلسة التي عقدها مجلس الوزراء الانكليز اول آب ١٩١٤ يوم كان العالم على عتبة الحرب العظمى — وكان نصيبه فيه ان يتكلم بلسان المستر لويد جورج

Digitized by Birzeit University Library

اما من الوجهة الحربية ، فنقدر ان نقول عنه بجملة واحدة ، انه كان دوماً محط آمال الانكليز يوم طمحوا بالاستيلاء عليه ، ثم اصبح مصدر احلامهم المرعبة يوم استحال عليهم امتلاكه .

انما غاية السياسة الانكليزية من هذه القاعدة العامة كانت اولاً السعي وراء الاستيلاء على شواطئ الفلاندر . ولما كان هذا السعي مصدر الحروب الدائمة في اوروبا ، حصر الانكليز سياستهم في جعل هذه البلاد ممالك صغيرة لا يخشى سلطانها ، والوقوف في وجه كل دولة قوية تحاول مد يدها اليها ، ومنعها من الاستيلاء عليها ، وهذا برهان آخر عن وحدة السياسة الانكليزية في الخارج : مالا يمكن ان يكون لهم ، لا يجب ان يكون لسواهم من الدول العظمى .

يقابل هذا السعي عهدين متناقدين :

العهد الاول ، سلكت فيه انكلترا نهجاً ايجابياً ، وهو طريق الفتح او الدهاء السياسي للاحتفاظ ببلاد الفلاندر .

والعهد الثاني ، سلكت فيه نهجاً سلبياً ، وذلك بمعارضتها الدول لافتتاح هذه البلاد ، ولم تتأخر قط عن ان تخوض الحروب الدامية في ذلك السبيل ، وقد فازت فيه الفوز كله .

***

Digitized by Birzeit University Library

سياسة الفتح

لنا في التاريخ شواهد عديدة تثبت لنا نيات انكلترا بافتتاح بلاد الفلاندر نكتفي بذكر ثلاث حوادث منها :

الحادثة الاولى جرت في القرن السادس عشر . ففي سنة ١٥٨٥ رضيت الملكة اليصابات بخوض غمرات الحرب بجانب جمهورية الفلانـدر ضد القوى الاسبانية ، ولم تكن هذه المعاونة لوجه الله . بل اشترطت انكلترا على الجمهورية الهولاندية احتلال ثغرين من ثغور بلادها هما فلاسينك وبريات ، وقد ارسلت الحاكم ليستتر اليها ليقوم بأدارة شؤون البلاد وما ذلك الا لأنها كانت تنوي ضمها جميعها الى الحكومة الانكليزية .

وجرت الحادثة الثانية في زمن جاك الاول عام ١٦٠٤ ، وكانت انكلترا قدعقدت الصلح مع الاسبانيين بدون ان تهتم بحلفائها الهولانديين ، وقد فاوضت انكلترا الحكومة الاسبانية بشأن زواج ولي العهد بابنة الملك على ان تقدم ابنة ملك اسبانيا بلاد الفلاندر مهراً لانكلترا : تلك هي هدية العرش ! لكن هذا الزواج لم يتم . . .

اما الحادثة الثالثة فوقعت في عهد كرومول : سعى رئيس الجمهورية الانكليزية سنة ١٦٥١ سعياً سلمياً لاقناع حكومة هولاندا بضرورة اتحاد الحكومتين ، واخذ يقنعها مظهراً لها الفوائد الجمة من ادارتهما معاً بواسطة مجلس اعلى يكون مقره في لندن . وهذا عود سلمي الى حكاية الضم . ولما

Digitized by Birzeit University Library

لم يفلح كرومول في سعيه ، سن قانون الملاحة المشهور الذي اغلق ابواب جميع الموانئ البريطانية في وجه التجارة الهولاندية . وعقب ذلك حرب هائلة انتصر فيها الانكليز على خصومهم الهولانديين، وحملوهم على عقد الصلح سنة ١٦٥٤ وظل قانون الملاحة معمولاً به .

هذه حوادث ثلاث تثبت ما قلناه عن السياسة الايجابية ، سياسة الفتح التي اتخذتها انكلترا ذريعة لبسط سلطانها على شواطئ الفلاندر .

***

مقاومة اوروبا للانكليز

لم تقف اوروبا مكتوفة اليدين تجاه هذه المطامع بل قاومت السياسة الانكليزية مقاومة عنيفة . وكان ملوك فرنسا اشد الملوك معاكسة لها ، وهم يطمعون بما يطمع به الانكليز وكانت تشرأب دوماً اعناقهم الى امتلاك الاراضي المجاورة حتى نهر الرين ، وسنرى ان احدى قواعد السياسة الفرنساوية في اوروبا هي توسيع حدود فرنسا تمسكاً بمبدأ الحدود الطبيعية ، وامتلاك الاراضي شرقاً الى الرين ، وشمالا حتى مصب الرين .

كان قد طلب هنري الرابع ميناء سلوي على مصب نهر الاسكو ، ثمناً لمعاونة طلبتها اليه الحكومة الهولاندية ، كما انه كان مزاحماً لجاك الاول ، وخطب ابنة ملك اسبانيا طمعاً بالمهر الموعود .

وصادف كرومول خصماً عنيداً في شخص لويس الرابع عشر الذي كان

Digitized by Birzeit University Library

يسعى بواسطة وزيره مازاران لامتلاك بلاد الهولانديين . فتقرب منهم لمعاونتهم على ملوك اسبانيا ، لكن فضّل الهولانديون ان يقذفوا بانفسهم في احضان انكلترا التي هدمت لهم بعدئذ اساطيلهم من ان يقعوا في حضن فرنسا التي تود ابتلاعهم .

اشتدت هذه الخصومة بين الانكليز والفرنسويين والاسبانيين في سبيل امتلاك بلاد الفلاندر، حتى انها كانت سبباً للحروب الطاحنة بينهم، من القرن السادس عشر حتى ابتداء القرن الثامن عشر ، ففاز الانكليز اثناءها بتحطيم القوى الهولاندية ، وقلبوا في بلادها شكل الحكومة ، وحولوها من جمهورية الى ملكية يرأسها البرنس دورانج . وبينما كانت هذه الجمهورية قوة عظيمة في القرن السابع عشر ، تستطيع محاربة الدول العظمى ، عملت انكلترا على اضعافها واذلالها، حتى اصبحت في القرن الثامن عشر دولة من الدرجة الثالثة .

وهذه الحروب الدامية والمقاومة العنيفة التي شاهدتها السياسة الانكليزية في اوروبا قائمة في سبيل تملكها بلاد الفلاندر ، كانت سبباً في تعديل خطتها ، فتحققت على اثرها صعوبة ضم هذه البلاد اليها ، وعدلت نهج سياستها بعد معاهدة اوتراخت الشهيرة ، واخذت تمانع كل حركة تصدر من الدول العظمى من شأنها التدخل الفعّال في امور تلك البلاد .

***

Digitized by Birzeit University Library

حادثة اوستاند

جعلت معاهدة اوتراخت بلاد البلجيك حاجزاً بين الدول التي طالما تطاحنت للاستيلاء عليها. فاعلنت حيادها ، وهذه المعاهدة كانت احدى طُرف السياسة الانكليزية التي توصلت الى ارغام اوروبا جمعاء على قبول شرائطها[1] ومما هو جدير بالاهتمام ، النظر الى وحدة اعمال رجال السياسة في انكلترا ، وهم مهما اختلفت عقائدهم لا يعتبرون في كافة علائقهم الخارجية الا مصالح بلادهم المجردة .

استلم والبول زمام الامور في لندن ، وكان ميالاً الى توطيد اركان السلام المتزعزع . لكن رغماً من اميالهِ السلمية لن يتأخر عن تذكية نيران الحروب عندما كان يرى ان السلام اصبح مضراً بمصالح بلاده .

ولنا مثال في ما يسمونه « حادثة اوستاند » التي وقعت حوالي ١٧٢٢ — ١٧٢٧ .

نشبت الحروب بين اسبانيا والامبراطورية النمسوية مدة ٢٥ سنة ، وكان سياسيو الانكليز يجنون ثمراتها لمنفعة بلادهم ، الى ان قدم مدريد عاصمة الاسبانيين رجل هولاندي الاصل يدعى ريبازدا . فتقرب من الملك فيليب الخامس بواسطة صديقه البيروني ، واستطاع ان يلفت انظار الملك الى تلك السياسة المضرة بمصالح الاسبانيين ، واقنعه بوجوب الاتفاق مع امبراطور

(١) راجع صحيفة ٣٧ — ٣٨ .

Digitized by Birzeit University Library

النمسا شارل السادس .

فاقتنع الملك من هذا وعقد اتفاقاً في فيناً مع الامبراطور النمسوي .

سمع بذلك والبول ، رجل السياسة الانكليزية في ذاك العهد ، واسا. اليه هذا الاتفاق وكان يعلم علم اليقين انه سيستعمل ضد انكلترا والمصالح الانكليزية عاجلاً ام آجلاً .

ومما اهاج غضبه سماعه بامتياز منحه الامبراطور النمسوي شارل السادس احد الفرنسويين ، يأذن له فيه بتأسيس فرع لشركة الهند الشرقية في ثغر اوستاند وكان ذلك عام ١٧٢٢ .

ثار ثائر والبول لهذا الخبر ، ورأى ان السلم الذي ايده في اوروبا ، ستكون عاقبته وبالاً على تجارة امته .

شركة تجارية في اوستاند ؟ — هذا مالا يرضاه انكليزي ، ولو اشتعلت اوروبا من اقصاها الى اقصاها ، ولو غرقت الشعوب في بحور من الدماء ، وهذا الخبر وحده كافٍ لاعلان الحرب ، واي مبرر لها اعظم من هذا : مزاحمة التجارة الانكليزية في ميناء هي على قاب قوسين من الجزر البريطانية!

هدد والبول امبراطور النمسا بحرب هائلة اذا لم يلغ الامتياز الممنوح او يُقف تنفيذه ، وكانت الحرب على وشك الحدوث : انما استعمال القوة هو واجب من الواجبات الاخلاقية عند هذه الامة ، اذا كانت مصالحهم في خطر ...

وكان الاسبانيون يتوقعون تلك الحرب فزحفت جيوشهم على جبل طارق

Digitized by Birzeit University Library

لطرد الانكليز منها ، وحجزوا على السفن الانكليزية التي كانت في موانئهم . لكن سياسة شارل السادس حالت دون وقوع الحرب ، فتزل عند ارادة والبول ، واوقف تنفيذ الامتياز ، ثم توصل والبول الى حمل الامبراطور على الغائه بتاتاً عام ١٧٣١ .

هذه كانت نتيجة حادثة اوستاند ، وتلك هي سياسة انكلترا تجاه كل حادثة من شأنها ان تضر بمصالحها .

***

البلجيك والثورة الفرنسوية

خشي الانكليز عند اعلان الثورة الفرنسوية من نتائج نظرياتها ومباديها على بلاد الفلاندر ، لا سيما بعد ما أيد مجلس الامة في باريس ضرورة اعطاء فرنسا حدودها الطبيعية .

احتل رجال الثورة بلاد البلجيك ، وقد هددت الحكومة الهولاندية قواد الثورة باغراق بلادها اذا طمع هؤلاء باجتياحها .

ولما رغب بونابرت في محاربة الانكليز في جزرهم استعمل ميناء انفرس لبناء السفن الكبرى ، وهذا ما كان يخشاه الانكليز ويحاربون من اجله . وكانوا قد سمعوا الاميرال لاتوش تريفيل يقول : « لو اتيح لنا ان نملك مضيق كاليه ست ساعات لتمكنا من امتلاك العالم بأسره . » ولولا دهاء الاميرال الانكليزي نلس الذي حطم الامال الفرنسوية بتحطيم اساطيلها في معركة

Digitized by Birzeit University Library

ترافلكار لحقق الاميرال الفرنسوي حلمه ، ولتمكن من احتلال الشواطئ الانكليزية ، ولامتلك العالم بأسره . . .

نغص نابوليون عيش الانكليز بأحتلاله انفرس ، لكن هؤلاء اثاروا عليه جميع الشعوب الاوروبية ، وحاربوه حتى خلعوه عن عرشه وابعدوه الى جزيرة سانت هيلانة .

اما نصيب البلجيك في معاهدة باريس ومؤتمر فينا عام ١٨١٥ فقد كان غير ما توقعت هذه الامة الحية : فالحقت قسراً بمملكة هولاندا حتى لاتقع ثانية تحت النفوذ الفرنسوي .

***

انكلترا وحياد البلجيك

لكن ذاك الترقيع السياسي لم يدم طويلاً ، وكل امة لاتنام على الضيم ، وتنهض للمطالبة بحقوقها المهضومة تنال ما تبغيه عاجلاً او آجلاً . . .

مزقت بلجيكا ذاك الثوب الخلق الذي احب الحلفاء عام ١٨١٥ ان يلبسوها اياه قسراً . وثارت على هولاندا وعلى الجيوش الهولاندية مطالبة بحقوقها بالحياة الحرة ، وكان ذلك سنة ١٨٢٩ اي بعد ان مضى عليها ١٤ عاماً وهي تتألم من الحيف اللاحق بها ، لكن ما هي هذه المدة في حياة الامم ؟ ما انصع الحق اذا عاضدته القوة المنيعة ، وهنا ينطبق عليه ما قلناه في اول هذه الرسالة : اذا كنت تريد ان تثبت «حقك» المشروع بالحياة ، فانصفك

Digitized by Birzeit University Library

ان تبدأ اولاً باثبات « قدرتك » على الحياة .

ثارت بلجيكا مطالبة بحقها ، واثبتت قدرتها على تحقيقه ، وعاونتها اوروبا مكرهة لا راضية ، لكن الانكليز تدخلوا في الامر — ايضاً — ولم يرضوا عن ذلك الا بشرط ان لا يكون للفرنسويين ادنى فضل بهذا الاستقلال . فقاوموا التدخل الفرنسوي — ثم لما تقدمت الجيوش الفرنسوية لطرد الهولانديين من بلجيكا ، حشد الانكليز اساطيلهم في البحر المتوسط وهددوا فرنسا بالحرب واكرهوها على الانسحاب « بلا قيد ولا شرط » .

أعلن استقلال بلجيكا لكن اعلن ايضاً حيادها الدائم : لا تحارب ولا تحارَب . وسُجل ذلك في المعاهدات الثلاث التي وقعت في لندن . وتعهدت الدول المجاورة بصيان هـذا الاستقلال واحترام ذاك الحياد ، — وعلى هذه الصورة قطعت انكلترا آمال فرنسا بضم البلجيك اليها .

***

البلجيك وحرب السبعين

ومع هذا ما فتيء نابوليون الثالث يحلم بضم البلجيك الى فرنسا ، وقد تناسى الامبراطور الفرنسوي توقيع حكومة البلاد التي يدير شؤونها ، وتلك جريمة لم تتركها الايام بلا قصاص ، فكان الجزاء من جنس العمل .

اغا احد اسباب العزلة التي وجدت فيها فرنسا اثناء الحرب التي نشبت بينها وبين بروسيا عام ١٨٧٠ كانت الخطيئة السياسية التي اقترفها نابوليون

Digitized by Birzeit University Library

الثالث بمفاوضته بسمارك في قضية حفظ التوازن في اوروبا وطمعه بهتك حرمة المعاهدة التي تقرر فيها استقلال البلجيك وحيادها .

قهر بسمارك الامبراطورية النمساوية فتوسعت امـلاك بروسيا وتقوت شوكتها اثر معركة سادوفا عام ١٨٦٦ .

ففاوض نابوليون الثالث بسمارك بضرورة توسيع فرنسا عملاً بقاعدة التوازن الاوروبي ، واجرة لحياده اثناء الحرب البروسية — النمسوية ويعـلم بسمارك نيات نابوليون بضم اللوكسانبورغ الى فرنسا ، لكنه امتنع لان هذا البلد الماني ، واغرى الامبراطور الفرنسوي ... مشيراً الى بلاد البلجيك ، ومظهراً موافقته على ضمها الى فرنسا . وتوصل الى اخذ تحرير ، بخط بناديتي مرخص نابوليون الثالث ، يتضمن مشروع ضم البلجيك الى فرنسا .

ولما نشبت الحرب بين بروسيا وفرنسا (لغير هـذا السبب) كانت اول اعمال الداهية الالماني نشر المشروع الذي ابقاه جهل بناديتي بين يديه .

ثار الرأي العام الانكليزي لهذا الخبر ، وتركت انكلترا جارتها تهان تلك الاهانة المؤلمة بدون ان تمد لها يد المعونة ، وذلك لانها اكتشفت على برهان محسوس عن مطامع نابوليون الثالث في بلاد تعهدت بصيان استقلالها والدفاع عن حيادها .

ولا شك بأن موقفها في ذاك العهد لم يكن الا عمـلاً بتلك القاعدة السياسية الهامـة التي نحن بصددها الا وهي : منع كل دولة عظمى من التسيطر على بلاد الفلاندر .

Digitized by Birzeit University Library

البلجيك والحرب العامة

تنبونا جميع هذه الحوادث السياسية والتدابير الدولية عن اهمية قاعدة بلاد الفلاندر بين قواعد السياسية الانكليزية . ونختم هذا البحث مذكرين القاري بالسبب الذي حمل الحكومة الانكليزية الى خوض غمرات الحرب العظمى الاخيرة .

جاء في مجلس الوزراء الذي عقد في اول آب سنة ١٩١٤ حديث للمستر لويد جورج يناضل فيه عن حقوق انكلترا المجردة بقطع النظر عن كل تحالف ثلاثي ، ويمكننا ان نلخص رأيه في نقطتين .

الاولى ، ضرورة الحياد الموقت والاستعداد للحرب .

الثانية ، دخول انكلترا الحرب اذا اجتاحت المانيا بلاد البلجيك .

...

ولما سئلت انكلترا رسمياً عن سبب دخولها الحرب العظمى في صفوف الفرنسويين ، اجابت انها تدافع عن بلاد تعهدت باحترام حيادها ، وصيان استقلالها .

Digitized by Birzeit University Library

الفصل السادس

التوازن الاوروبي

١ — الوجهة الحقوقية النظرية

التوازن مبدأ سياسي ، احب بعض الحقوقيين ان يعطوه صبغة قانونية ، فقالوا ان هذا المبدأ هو حقوقي ، وقالوا ايضاً ان للدول « حق صريح » بتأييد مبدأ التوازن واعتباره سنة يجب ان يعمل بها .

وبين من ايدوا هذه النظرية ، المسيو بيليه ، استاذ الحقوق الدولية في معهد الحقوق بباريس حالياً ، وقد سمعت له درساً في هذا المعنى .

لكن المسيو ديبوي استاذنا في معهد العلوم السياسية ، لا يرى رأيه ويخالفه في نظريته قائلاً ان التوازن مبدأ سياسي ، لان صفات المبدأ الحقوقي ، الوضوح

Digitized by Birzeit University Library

ثم لا بد له ان يعطي نتائج واحدة لحالات متشابهة متجانسة ، ومبدأ التوازن لم يكن الى الان شيء من هذا .

***

معنى التوازن

والتوازن في معناه الاول ، هو عثرة في سبيل سيطرة حكومة على الحكومات الاخرى ، والحكومات كالافراد تطمح في توسيع نطاق سيادتها وازدياد نفوذها المادي والادبي . . . وقد اثبتت لنا حوادث التاريخ ان ما من امة افلحت في غايتها هذه او وصلت الى مطامعها استناداً الى قواها فحسب ، بل انقسمت قوى الامم الى فريقين ، كما ان التاريخ لا يذكر لنا ان ادارة شؤون العالم قاطبة تمت لحكومة واحدة دون سواها . فنرى من هذا ان التوازن مبدأ مطاط يخضع للانقلابات السياسية ، بل هو اصبح رهن القوى المسلحة .

وفي معناه الثاني ، التوازن هو وضع او نظام من شأنه ان تنقسم الدول الى فرق متعادلة القوى ، فلا يجرأ فريق ان يتعدى على استقلال الفريق الاخر واذا فعل يكون قد عرض بنفسه الى مقاومة عنيفة ناجعة ، او كانت نتيجة جرأته خسارة ووبالاً عليه ، وحالته في تعديه على خصمه حال من يبحث عن حتفه بظلفه .

وفي كلا المعنيين لا يمكن لمبدإ التوازن ان يعطي وسائل واحدة اونتائج

Digitized by Birzeit University Library

واحدة لحوادث متشابهة ، وفي هذا برهان واضح على انـــه مبدأ سياسي لا مبدأ حقوقي .

***

بعض الشواهد

كان ماترينخ قد سعى ، بعد الثورة الفرنسوية وبالاتفاق مع حكومات انكلترا وروسيا وبروسيا ، لان ينظم كتلة في اوروبا لمقاومة الخطر الفرنسوي الذي كان يتمثل له في مبادىء الثورة ، لا سيما ان نجاح تلك المبادىء ، لو تحقق بمذافيره ، يكون الضربة القاضية على كيان الامبراطورية النمسوية لتعدد القوميات فيها ، وعدم تجانس شعوبها .

لكن بعد هذا بثلاث سنوات ، تغيرت افكاره ، فبينما كان يرى قبل ذلك في الحكومة الفرنسوية حكومة مشاغبة ثورية تهدد السلام في اوروبا ، تعدل رأيه فيها واصبحت حكومتا روسيا وبروسيا في نظره هما الحكومتين المشاغبتين لما شاهده من مطامعهما الصريحة ، سواء كان في الشرق او في اوروبا نفسها . . . واصبحت الكتلة التي كان يود تأليفها من انكلترا وروسيا وبروسيا وحكومته ، مقتصرة على اتفاق بين النمسا وانكلترا وفرنسا ضد حليفتيه روسيا وبروسيا ، اللتين اصبحتا في نظره مصدر المشاغبة في اوروبا (١٨١٥ — ١٨١٨) .

وفي عام ١٨١٥ ، بينما كانت اوروبا تود المحافظة على التوازن الاوروبي

Digitized by Birzeit University Library

فعملت برأي انكلترا وضمت بلجيكا قسراً الى الحكومة الهولاندية خشية ان تبقى تحت السيطرة الفرنسوية ، عدلت نظرها في هذه القضية عام ١٨٣٠ ومنحت بلجيكا استقلالها . . .

وهكذا نستطيع ان نورد الشواهد التاريخية التي تثبت لنا ان التوازن مبدأ سياسي ، لانه لم يعط الى الان الا نتائج مختلفة متناقضة لحالات متشابهة ، فضلاً عن انّ مبدأ التوازن عاجز عن ان يؤمن الامم على حقوقها ، لان الكلام فيه راجع لقوة السلاح وحدها ، وقد اظهر لنا الماضي ان قضية التوازن خدمت في الاكثر مطامع الدول القوية ولم تحافظ قط في حال واحد على حقوق الحكومات الضعيفة .

***

لو صحّ ان التوازن مبدأ حقوقي ...

هذا ما يذكرنا بمبدأ المساواة بين الافراد ، فلا نشك باستحالة المساواة المطلقة ، لاننا لو افترضنا مثلاً انه وجدت قوة لتحقيق بعض من مظاهرها ، فوزعت الثروة بين افراد جماعة من الجماعات ، فلا يمضي زمن قليل حتى يتميز الجدّ على الكسل ، ويصبح صاحب الالف وقد تضاعفت ثروته بفضل جده واجتهاده وما ميزة الوراثة والتربية على جاره الذي قد يكون اضاع ما ملكت يداه تبذيراً واستهتاراً .

اذا كان هذا شأن المساواة بين الافراد ، فكيف بها بين الامم المنظمة ؟

Digitized by Birzeit University Library

وتحقيق التوازن ما هو بنظرنا سوى مظهر من مظاهر تحقيق المساواة .

فلنفرض ان امتين ، لكل واحدة مقاطعة من الارض وعدد من السكان معادل لأرض وسكان الثانية . فمن يضمن لنا ازالة الفروق بين المقاطعتين، وهذه قد يكون في جوفها مثلاً طبقات الفحم او معادن الذهب والفضة ، او تكون تربتها خصبة وانهارها كثيرة وامطارها غزيرة . . . بينما تلك قدتكون محرومة من هـذا او من بعض هذا ، فضلاً عن تباين مواهب السكان في هذه وتلك ؟

وكان في فرنسا عام ١٨٧٠ عدد سكان يعادل تقريباً العدد الذي كان في المانيا ، وهكذا مساحة الارض . ثم اخـذنا نشاهد في الاولى نقصاً في المواليد ، وتكاثراً في النفوس عند الثانية : فأختل التوازن من جراء هذا ، فلو صح ان التوازن مبدأ حقوقي لاقتضى تصحيح هذا الاختلال فيه بأعطاء الامة التي طرأ عليها نوع من الضعف قسماً من ثروة الامة التي تفوق . . . لكن هل يمكن تحقيق ذلك عملياً ، وكيف ، ومن يرضى به ؟ — فما دام الجواب على هذا متعذراً ، بقينا على اعتقادنا ان التوازن هو مبدأ سياسي .

Digitized by Birzeit University Library

٢ — الوجهة السياسية العملية

القاعدة الرابعة

للانكليز رأيهم في التوازن الاوروبي ، ورغماً من عزلتهم المزعومة فهم يتدخلون دوماً في شؤون اوروبا كلما شاهدوا من دولة قوية ميلاً للتوسع والسيطرة خشية من ان يمتد ظل هذه السيطرة الى جزرهم فينال من سلطانهم ويضر بمصالحهم في اوروبا وخارج اوروبا .

وقد عمل الانكليز بهذه القاعدة من عهد الملكة اليصابات ، ومعظم الحروب الاوروبية ، التي خاضوا غمراتها كان لهم فيها مآرب سلبية وايجابية. اما المآرب السلبية فهي مقاومة كل سلطة تطمح الى اخضاع الامم المجاورة وتوحيد السلطة بين يديها ، واما مآربها الايجابية فكانت موجهة الى تعزيز نفوذها المادي والادبي ، التجاري والمعنوي ، في كل ميناء وقطر وايجاد زبائن لمصنوعاتها واسواق لتجارتها .

***

التدخل الانكليزي في اوروبا

وما للقاري الا ان يذكر الوقائع السياسية التي اوردناها اثناء ابحاثنا في

Digitized by Birzeit University Library

هذه الرسالة فيرى في معظمها عنصراً لهذه القاعدة الرابعة .

وفي الحروب النابوليونية خير دليل بان انكلترا لا تترك مجالاً لاختلال توازن القوى في اوروبا ، وكاد ان يتم لنابوليون الاول التسيطر التام على جميع ممالكها ، فضلاً عن تهديده املاكها في اوروبا وطموحه الى الاستيلاء على مستعمراتها خارج اوروبا . فلم يغمض لانكلترا جفن حتى هدمت ذاك السلطان وارجعت في مؤتمر فينا عام ١٨١٥ اوروبا الى نوع من التوازن الذي لا يمكنه ان يضر بمصالحها . فيعتبر الانكليز ان مبدأ التوازن كان في عصره الذهبي في معاهدة فينا . كما ان فرنسا احتجت بلسان ممثلها كولانكور على اجتياح الدول ونياتهم بتقسيمها باسم مبدأ التوازن . وقال تاليران للانكليز انهم يجب عليهم ان يعتبروا معنى التوازن صحيحاً اذا ظل لكل حكومة قوى مقاومة بالنسبة الى القوى المهاجمة التي تتهدد كيانها .

ومع هذا فقد كان لمبدأ التوازن اهمية كبرى في مؤتمر فينا فشاهد العالم لاول مرة اهتمام المرخصين السياسيين بالارقام والاحصاء ، وكان للجان الاحصاء في المؤتمر الكلمة المسموعة .

ويدعي الانكليز ان العالم قد ارتاح بعد هذه المعاهدة مدة ٤٠ سنة دون ان يعكر صفاء السلام حرب عامة .

بيد ان هذا العهد كان مملوءا بالثورات الداخلية والحروب الاهلية ، وما ذلك الا لان مرخصي الدول العظمى هضموا حقوق الجماعات وظل الملوك يستأثرون برعاياهم وقد تناسوا مبادىء الثورة الفرنسوية التي اعلنت حقوق

Digitized by Birzeit University Library

الانسان ، وهذا هو العهد الذي قلنا عنه انه كان اشد العهود نكراناً وكفرا بحقوق الانسان .

وقد تدخل ايضاً الانكليز في شؤون اوروبا في مواقف عديدة بأسم التوازن ، وفي حرب القرم ١٨٥٣ — ١٨٥٦ مثال آخر عن تدخلهم بحجة حفظ التوازن . وقد اشتركوا مع نابوليون الثالث في وضع حد للسيطرة الروسية في بلاد البلقان خشية من اختلال ذاك التوازن .

كما ان انكلترا قد تدخلت في شؤون الدانمرك عام ١٨٦٤ ولم تفلح في منع بسمارك من التعدي على هذه الحكومة التي خسرت بعدئذ مقاطعتي الهولستين والسلازفيك .

واثناء الحرب الفرنسوية — البروسية عام ١٨٧٠ قاوم فريق كبير من من سياسي الانكليز ، السياسة الالمانيـــة ، ولم يرضوا عن انسلاخ الالزاس واللورين ، لكنهم لم يقوموا بخدمة تذكر ، فخسر الفرنسويون قسما من بلادهم وظل اختلال هذا التوازن حتى الحرب العظمى .

***

احتلال الرور والتوازن الاوروبي [1]

ان اول الشرائط لتمكين اواصر الوفاق والتعاون بين الامم ، وتحسين

---

(١) مقال ارسله المؤلف من باريس في ١٠ شباط ١٩٢٤ ونشرته جريدة الارز في بيروت تحت عنوان « السياسة العامة : العلائق بين فرنسا وانكلترا »

Digitized by Birzeit University Library

الحالة الاوروبية ، وتوطيد اركان السلام في العالم ، هو في ازالة اسباب الشقاق بين السياسة الانكليزية والسياسة الفرنسوية . وقد اختلفت هذه السياسة بين الحكومتين اليوم الى درجة اصبحنا نتساءل بعدها عن الفرق الذي يوجد بين اعداء فرنسا بالامس وحلفائها الذين اهرقوا خيرة دماء ابنائهم في بلادها للذود عن مثل اعلى مشترك ، وكيف لا نتساءل عن هذا وقد اصبحت فرنسا منفردة في سياستها وفي عزلة عن اصدقائها ، بل اصبح هؤلاء اشد وطأة عليها من اعدائها انفسهم .

وشاهدنا فشل المساعي التي بذلت مع حكومة المستر لويد جورج الذي اذا كان يحق لنا ان نقول عنه انه قام بالعجائب لمعونة الحكومة الفرنسوية ومقاومة الطغيان الجرماني، حق لنا ايضاً ان نقول فيه انه لم يترك وسيلة واحدة الا استعملها لحرمان فرنسا من التعويضات المشروعة التي ايدها هو بنفسه وبالنيابة عن حكومته في نصوص معاهدة فرساي .

وشاهدنا كيف ان المستر بونارلو والمستر بلدوين لم يحققا آمال الفرنسويين فيهما لانهما اثناء تربعهما في دست الاحكام لم ينصفا الامة الفرنسوية ولم تتجاوز سياستهما حد المجاملة الظاهرية .

ولما فاز اخيراً المستر ماكدونلد على اخصامه في الداخل واستلم زمام الامور في انكلترا ، كان اول كلامه انه سيقاوم اكبر سلطة عسكرية في اوروبا ساهراً على مصالح بلاده ، ونعلم ان اكبر سلطة عسكرية هي القوى الفرنسوية وان هذه المصالح هي التوازن الاوروبي .

Digitized by Birzeit University Library

التوازن الاوروبي ! — هنا امر لا يغفل عنه انكليزي في جزيرته ، مهما اختلفت عقائده الاجتماعية ، من المحافظين كان او من الاحرار ، ورمزي ماكدونالد الذي يمثل حزباً جديداً قام من بين صفوف العمال ، والذى تشبعت مباديه من روح الاشتراكية الحرة ، اظهر لنا في اول كلمة فاه بها انه انكليزي وانه يهتم بالمحافظة على هذا التوازن . ويرى الرأي العام البريطاني في احتلال بلاد الرور اختلالاً لهذا التوازن ، بينما ان ذاك الاحتلال لم يكن الا اثر العناد الذي شاهده رجل السياسة الفرنسوي (وقتئذ) المسيو بوانكاره من الحكومات الالمانية وامتناعها عن القيام بشروط معاهدة فرساي ، وتأدية ثمن ما خلفته ايدي جيوشها من الخراب في ولايات فرنسا الشمالية ، يوم اجتاحت تلك البلاد مدة الحرب .

ولا جدال في قانونية احتلال الرور ولا مهرب من نتائجه ما دامت معاهدة فرساي في قيد الحياة وما دامت نصوصها دستوراً للسياسة الاوروبية .

ولكن السياسة ابت الا تشويه هذا الحق فكأن احتلال الرور قد ايقظ في نفوس الانكليز ذكرى شبح نابوليون ومساعيه في تحقيق حدود طبيعية لفرنسا تمتد حتى شواطئ الرين ، فتناسوا السيطرة الالمانية التي خاضوا الحرب في سبيل ايقافها وتناسوا خطر النسر الجرماني الذي طمح بان يظلل العالم بجناحيه العظيمتين ، ونسبوا الى الحكومة الفرنسوية انها تود الاحتفاظ ببلاد الرور والبقاء فيها ، وجعلها ولاية فرنسوية ، مع انه بحّ صوت المسيو بوانكاره وهو يصرح ان بقاء فرنسا في تلك البلاد ليس الا موقتاً ... بيد ان لسان

Digitized by Birzeit University Library

حال السياسة الانكليزية كان يقول ، غير واثق بتصريحات المسيو بوانكاره : لايمكن ان نسكت عن هذا الاحتلال ما دام فيه خلل للتوازن الاوروبي ، فلم نسقط السيطرة الالمانية حتى نستبدلها بسيطرة فرنسوية وتوازن القوى خير ضمان للسلام .

— وهل يوجد حل لهذا المشكل ؟

— لقد نشرت الصحف أمس ان رمزي ماكدونالد واجه مراسلي امهات الجرائد وقال لهم انه بوده عقد مؤتمر عام يدعو اليه ممثلي جميع الدول منهم الولايات المتحدة التي استنكفت عن الاشتراك الى الان في عصبة الامم ، ومن المظنون ان رئيس الوزارة الجديد عازم على تنفيذ هـذا المؤتمر في القريب العاجل وانه ربما سيبحث في نصوص معاهدة فرساي ويعدل في بنودها .

هذا ما كنا قد قلناه منذ عام تقريباً عن قضية احتلال الرور والتوازن الاوروبي ، ويعلم القاري انه قد تحقق ظننا ، وظلت المفاوضات بين لندن وباريس حتى سقوط الكتلة الوطنية التي وضعت ثقتها بسياسة الموسيو بوانكاره ، فسقط هـذا بسقوطها اثر انتخابات ١١ مايس ١٩٢٤ وفازت عصبة احزاب الشمال واستلم المسيو هريو رئاسة الوزارة ، وتم عقد المؤتمر في لندن الذي وعد به المستر ماكدونالد ، واول اعمال المؤتمر كانت حل مسالة احتلال الرور برضى الحكومة الفرنسوية الجديدة التي استبدلت هـذا الاحتلال بضمانات وضعية اساسها مشروع داوس . . .

***

Digitized by Birzeit University Library

خاتمة السوآل الاول

ينتهي هنا جوابنا على السوآل الاول: ماهي قواعد السياسة الانكليزية؟ فقد اطلع القاريْ على الاسس التي يعمل بها السياسة الانكليز ورأى ان طريق الهند هي احدى هذه الاسس ، والذي ساقنا الى هذا البحث هو الفائدة من الاطلاع على موقع هذه القاعدة ، التي نتألم من جراء تطبيقها ، نحن القاطنين في طريق الهند ، بين القواعد الاخرى . ويذكر القاريْ ما قلناه في تمهيد هذه الرسالة من ان قضية الانتداب في الشرق تستند الى هـذه الدعامة الاولى : تأمين طريق الهند .

ولم يبق علينا الآن الا الاجابة على السوآل الثاني من موضوع هذه الرسالة ، فنعلم ما هو خطر هذه السياسة علينا .

Digitized by Birzeit University Library

السؤال الثاني

ما هو خطر هذه السياسة علينا

الصفات والعوامل

بعد ما علمناه من قواعد السياسة الانكليزية بوجه عام، ومن اهمية طريق الهند وبلاد الهند بوجه خاص ، يحق لنا ان نتساءل عن درجة الخطر الذي يتهددنا ويتهدد بلادنا من جراء هذه السياسة .

والغاية التي توخيناها من درس هـذه القواعد العلمية وتلك الحوادث التاريخية ، هي الوصول الى فائدة عملية من تقريب تلك النظريات والاخبار بعضها من البعض الاخر ومما حدث ويحدث في بلادنا ، فنستطيع ان نعلل تلك الحوادث تعليلاً صحيحاً ، ونفهم حقيقتها ونستكشف غوامضها ونعلم قوة العوامل التي تسيرها ، فتنجلي لنا الاسباب الحقيقية لكل تدخل اجنبي في

Digitized by Birzeit University Library

بلادنا ، ونقدر مواعيده حق قدرها ، ونعلم اتصال تلك المواعيد بنوع المنفعة التي تدفعه في علائقه معنا ، فيزول عندئذ كل داعٍ الى سوء التفاهم ، فلا يأخذنا هذا الخصم على حين غرة ، فنأمل ثم نخيب ، ونفرح ثم نحزن ... واذا استطعنا ان نعلل الحوادث تعليلاً صحيحاً ، نكون قد خطونا خطوة اولى في معرفة ادوائنا - وما اكثر تلك الادواء - فنحكم فيها العقل الصحيح ونعمل على ازالتها اذا استطعنا الى ذلك سبيلاً او الى تخفيف وطأتها على الاقل .

هذه هي القواعد الظاهرة في سياسة الانكليز العامة ، وعلاقتنا معها هي علاقة الضعيف مع القوي ، فما هي اذاً درجة قوة هذا الخصم ، واذا صح ان هنالك خطراً على الضعيف من القوي ، فما هي درجة هذا الخطر علينا ؟

انما الخطر الذي يحدق بنا من جراء هذه السياسة هو بنسبة الصفات التي تتصف بها وبنسبة العوامل التي تسيرها .

ما هي هذه الصفات وتلك العوامل؟

هذا ما نحاول الاجابة عليه في هذا القسم من الرسالة .

Digitized by Birzeit University Library

الفصل الاول

البلاد ورجالها

الرجل ابن البيئة والتربية

يسَيِّر الفرد في اعماله اليومية خلقه وطبائعه ، وعاداته التي نشأ عليها . ولا يستطيع ان يكون صادقاً الا متى عاش بحسب افكاره وعقائده، وحاول ان يكون كما اوجدته الوراثه، وكيفته التربية وكما بعثته التربة التي يعيش فوقها : فتوثر في تكوين عقليته ومزاجه الارض والسماء وما بينهما .

وهكذا الامم في اعمالها ، تظهر طباعها واميالها وتقاليدها وحاجاتها بصورة اجلى وطريقة اثبت ، لاسيما اذا كان لها كيان خاص منظم ، وحياة ذاتية مستقلة .

تخضع الامم في اعمالها السياسية الى العوامل نفسها التي تخضع اليها في بقية

Digitized by Birzeit University Library

اعمالها ، وهي خلاصة طباعها وتقاليدها ، كما تكيفها لها الغريزة ، وكما تدفعها اليها عوامل تنازع البقاء .

***

الجزر البريطانية

تقطن الامة البريطانية في الجزر المعروفة غربي القارة الاوروبية ، ولا تتجاوز ابعد نقطة عن البحر في تلك الجزر من ٤٥ ميلاً ، فهي اذاً بلاد لا يفارق جوها الرطوبة .

يورث الضباب المخيم دوماً فوق هاتيك الهضاب والوهاد طباع سكانها شيئاً من رطوبته ، كما ان الارض المرتوية من هـذه الرطوبة تؤثر في حركات اهلها وشعورهم .

يتطلب مناخ هذه البلاد من قاطنيها جهوداً عظيمة وقوة ارادة فائقة ، واعمالا نشيطة منظمة ، حتى يخرجوا من تحت هذا الكابوس الدائم ، ويتغلبوا على مؤثرات رطوبته المهلكة : فلا تنبت مثل هذه الارض خيراتها الا اذا تعهدها الزارع باعتنائه المستديم وجهده الطويل ، وان تهـامل ، تغلب على زرعه العشب المضر وافسد عليه عمله ، ولا يقوى على اجتياز ذاك البحر المماوء بالصخور ، الا النوتي الجري. الذي لا يعبأ بالخطر ، ويهزأ بالموت . لذلك يرى زائر الجزر البريطانية ، في كل ما حوله ، ما ينبئه عن جهد اهلها المستمر وفوزهم المجيد في العراك القائم بينهم وبين النواميس الطبيعية المعاكسة .

Digitized by Birzeit University Library

التربية الاستقلالية

توجهت همم الانكليز في بلادهم نحو الاعمال الحرة وانحصرت مساعيهم في تحقيق المشاريع وتأليف الشركات ، وولوا وجوههم شطر التجارة والصناعة، وهذه تتطلب اكثر من سواها من المهن عراكاً وثباتاً مستديمين .

والتربية عند هذا القوم هي تربية استقلالية من شأنها تكوين ارادات حرة عند الافراد .

يؤخذ الطفل من بين احضان امه ، ويحرم من رقابتها الضيقة وحنوها ليسلم الى عناية المدارس العمومية .

يجد الطالب في تلك المدارس مجالاً رحباً لتقوية جسمه في معارك الالعاب الرياضية المختلفة ، وتقوية عقله في معارك الجمعيات الادبية والسياسية .

يعتاد الشاب ان يجد لنفسه وبنفسه الطريق السوية التي تلائم مواهبه العقلية والجسمية ، ويندفع اليها ويظل ثابتاً في تلك الطريق التي اختارها لنفسه بحرية تامة .

***

تقديس القوة وعبادة الفوز

يصدر الرأي العام في البلاد الانكليزية على الرجل بما يشاهده فيه من جرأة وثبات ، وهو يصفح عن نقص في الذكاء ، او كبوة تعتري المجاهد اثناء جهاده، اذا توسم في حركاته النشاط او في نظراته ما ينبئ عن ارادة

Digitized by Birzeit University Library

لا تنثني عمَّا ترغب .

وبلغت من نفس الرجل الانكليزي عاطفة تقديس القوة واحترامها، درجة قصوى حملته الى عبادة الفوز واجلال الفائز . وتستشف العقلية الانكليزية ارادة الفائز القاهرة وثباته المستديم من خلال قوة الفوز والثبات في الجهاد .

قال كارلايل في كتابه « الابطال وعبادة البطولة » ما معناه : « القوة اذا حسن فهمها هي قياس كل صلاح ، والامور تعتبر بنتائجها ، اذا هي نجحت تكون من الامور الحسنة » .

وانني اخشى من ان افهم في هذا القول : انما الغاية تبرر الواسطة ، على شريطة النجاح .

***

قوة الارادة

اذا بحثنا عن عظمة الروح البريطانية ، لا نجدها في الشعور الفني الرقيق ولا في رشاقته العقلية النقادة ، بل نجدها في قوة الارادة .

نرى قوة الارادة في كافة حسناتها وسيآتها متجلية في نفوس هذا القوم ، واول هذه الحسنات هي تقدير معنى الواجب ، وبهذا يمتاز الرجل الانكليزي على كل احد سواه . ان معنى الواجب يشجع العامل الحقير على الصبر والاناة امام صعوبة عمله الشاق ، فيحتمل ظلمات المناجم ، وفساد هواء المعامل . ومعنى الواجب ايضاً يدفع بالجندي في ساحات القتال الى الاستماتة ، ويرفعه الى اعلى

Digitized by Birzeit University Library

درجات البطولة .

واذا كان لقوة الارادة حسنات فلا يجب ان ننسى سيئاتها ، اذ لا يخفى اخطار تلك الارادة الصامتة التي اتصفت بطول الاناة وقت العمل ، ولا يخفى ما تحتاجه من ضرورة الخروج من هذه الجهود الناهكة ، سواء كان عن طريق الالعاب الرياضية من ملاكمة ومبارزة وسواها ، او عن طريق الاسفار الخطرة والرحلات الشاقة ، او بالتدخل في مشكلة سياسية لتأييد منفعة لها ، او بالاستيلاء على ارض جديدة ، وبسط سلطانها عليها ولو بقوة السلاح وشهر الحروب .

قال الاستاذ باردو (١)

« انما الامة التي تمتاز على سواها بقوة ارادتها فتذلل بواسطتها الصعاب التي تعتريها في سبيلها ، وتعينها على احتمال شدة المصائب بصبر وكتمان عواطف الحفيظة والموجدة زمناً طويلاً ، انما الامة التي هذه طباعها ، لهي اشد خطراً على السلام في العالم من امة اخرى تستند في مثلها الاعلى الى نظرية عامة ، وتسعى وراء تحقيقه ، سواء كان عن سبيل اللين او عن سبيل مفعم بالحماسة ، لان اناة هذه الامة الثانية اقصر من تلك ، ومقاومتها اضعف وذاكرتها تخونها في وقت قصير . »

***

(١) Essai d'une psychologie de l'Angleterre contemporaine. صحيفة ٧

Digitized by Birzeit University Library

الشعور البارد

قلنا ان ابعد نقطة عن البحر في الجزر البريطانية لا تتجاوز ٤٥ ميلاً ، فهي اذاً بلاد لا يفارق جوها الرطوبة ، وهذه الحال من شأنها اطفاء النوبات العصبية عند القاطن في هـذه البلاد ، وفيها يندر وجود الامزجة الحادة ، وهذا تعليل ما نعرفه عن افراد هذه الامة ، ومما يسميه البعض بالشعور البارد او الشعور الانكليزي ... فيظهر لنا من جمودهم الخارجي انه لا يؤثر عليهم مؤثر ، حتى ولا سقوط السقف على رؤوسهم !

وقد تناسبت الحرارة في انحاء هذه الجزر التي تحوطها بحار مياهها دافئة، يجرفها اليها ذاك التيار البطيء الذي يتحرك دوماً من جهات خط الاستواء في طريقه الى القطب الشمالي .

انما تناسب هذه الحرارة التي كادت تكون درجتها واحـدة في انحاء انكلترا تزيد ايضاً في تخدير اعصاب اهل هاتيك الجزر .

ولهذه الاحوال الطبيعية نتائج جمة ، منها فيزيولوجية ، وهي ان الرجل الانكليزي يتحمل جسمه العمليات التشريحية اكثر من سواه ، وان الوفيات الناجمة عن امراض السل هي اقل فتكاً في انكلترا من كل بلد سواه . — ومنها نفسية ، فنراها في كل عمل من اعمال الرجل الانكليزي : في امياله بانتقاء الكتب ، وحبه للمؤلفين الذين يجيدون وصف الوقائع الغريبة ، وفي ذوقه بترتيب الالوان في خزائن دكانه ... وفي ولعه بامور صحته ، واعتناءه

Digitized by Birzeit University Library

بالنظافة والاكل عناية زائدة . . . ومنها اهتمامه في اكلة الصباح ولو كان في جبهة الحرب وهدفاً لقنابل العدو ، وفي اعتناءه الزائد بالالعاب الرياضية ، وفي سلوكه مناهج خاصة للقول والعمل .

اذا فارق اخ اخاه في بلادنا ، يفارقه باكياً ناحباً ، وكثيراً ما يغمي على المودع والمودَع من شدة التأثر ! اما في تلك البلاد فكثيراً ما يمضي على اخ عدة سنوات ولا يشاهد اخاً له ، فيذهب لملاقاته بعد ذلك الفراق الطويل ويكتفي بمصافحته سائلاً اياه على الطريقة الانكليزية : ? Allo' tbats you

— كيف الحال ؟

عرَّف « لوجل » الرجل الانكليزي بقوله :

« هو السر الصامت الحي . نسجت ايامه بالحيطة والدراية ، سمراوه قليلون ، واصدقاوه لا يعلمون سريرة من سرائره ، فيخشى ان ترى الاعين الغريبة خفايا نفسه ، او ساعات ضعفه ، او حادثة من حوادث حياته الداخلية ، يحب ويبغض بسكون هادئ ، ويزن كلماته اذا تكلم ، لان الكلام هو عنده بمثابة العمل . »

Digitized by Birzeit University Library

الفصل الثاني

صفات السياسة الانكليزية

علمنا من هو ابن الجزر البريطانية من حيث قوة ارادته التي امتاز بها على ابناء كافة المعمور ، وبطيء شعوره ، بل محاولته اضعاف ذاك الشعور بجميع الوسائل الممكنة ، وسنرى الان تلك الشخصية قائمة باعباء السياسة ، وقابضة على زمام الاحكام خارج بلادها ، فحررت شعوباً ، واستعبدت شعوباً . . .

ولهذه الاعمال صفات اربع :

١ قلة المذكرات السياسية ، ٢ الثبات ، ٣ الشدة ، ٤ العزلة .

Digitized by Birzeit University Library

١ - قلة المذكرات السياسية

ونعني بالمذكرات السياسية الاوامر الخطيـــة التي تبلغها وزارة الامور الخارجية الى ممثليها في عواصم الدول .

ونهج السياسة الانكليزية في تعميم اوامرها ونياتها هو شفهي على الغالب ، وهذا من حسن الفطن ونهاية في الحكمة والتدبير .

شاهدنا مصدراً لتلك الصفة فيما رأيناه من تعريف الرجل الانكليزي ، وهل المذكرة الخطية في هذا الباب الا اثر يعلن عن سريرة مكتومة ، وخطة مرسومة ، وهـذا منافٍ للطبع الانكليزي ولا يتفق مع تكتمه الفطري لا سيما « انه السر الصامت الحي . . . »

والاوامر الشفهية هي اقرب الى الصواب ، لان هـذه يمكن تجاهلها او انكارها ، اذا اقتضت الحاجة ، فتصبح نسياً منسياً . . . بينما المذكرات الخطية هي بنفسها اثر حي وبرهان جلي عن خطة معلومة . ولربما اصبح بعدئذ هذا الاثر وثيقة مزعجة ، اثر تقلب الحوادث وتغيير جو السياسة .

ويستعاض عن البيان الخطي بالخطب الشفهية . فيتزود السفير او المفوض السامي قبل مغادرته لندن ما يلزمـه معرفته ، ثم يقوم بتطبيق ذلك حسب

Digitized by Birzeit University Library

الظروف والحوادث، وحسب ما نشأت عليه روحه، وبما يعلمه من اماني بلاده التي امتزجت بامانيه .

نستدل من هنا على استقلال شخصية الرجل السياسي الانكليزي . ولا مراء بانه لا يجهل المواضيع التي تهم بلاده ، فيقوم على خدمتها ضمن دائرة القواعد الاساسية التي شاهدناها آنفاً ، وتحت تأثير العوامل التي سنراها قريباً والتي بدونها لا تقوم للسياسة الانكليزية قائمة ، كيف لا وهي التي تسيرها في كافة اعمالها .

واستقلال هذه الشخصيه له فوائده في العلائق السياسية ، فالرجل الانكليزي يعد كثيراً ، بل هو «يعطي بلسانه» كل شيء ... ولو كان سياسيو العرب اكثر علماً بروح السياسة الانكليزية ، واوسع دراية بطباع حلفائهم لما سارت القضية العربية على ايديهم الى هذا الدور المؤلم الذي هي عليه اليوم .

اما اذا تجاوز الرجل الانكليزي الحد ، وهذا لا يقع الا نادراً ، فمن السهل على وزارة الخارجية جلبه الى لندن ، واسناد مهمته الى سواه ممن يكونون اصلح للخطة التي يجب سلوكها ، واكثر ليناً باتباعها ، وعلى هذه الصورة تهدم الآمال التي تكون قد عقدت حول لسان ممثلها السابق .

والرجل الذي ينتخب للاعمال السياسية هو دائماً من صفوة رجال الانكليز : صحيح في جسمه ، صحيح في عقله واخلاقه ، صحيح في ادبه ومعاملته مع الناس الذين سيكون بينهم ، عالم ولو قليلاً باخلاقهم ، وقد اتقنت الامة

Digitized by Birzeit University Library

الانكليزية هذا الانتخاب الى الان حتى اصبحت السياسة عندها صناعة ،مثل بقية الصناعات ، وهنا اثر من اثار الطبع التجاري حتى في ادق العلائق السياسية.

لا ينقص القائم بهذه الصناعة السياسية حاجة لا مادية ولا معنوية ، لاسيما ان راتبه واف كاف ، فلا يمكن للرجل الانكليزي ان ينزل عند ارادة احد من الناس مهما كانت ثروة ذاك الرجل طائلة ، فلا يأبه بالمال ، وقد كفته امته عناء البحث عنه ، كما انه لا يغره جاه او نفوذ ، واي شرف اسمى من الواجب الذي يقوم بتأديته والذي يعتقد بسموه ، ولا يخشى قوة، وتؤيد كلامه اعظم قوة في المعمور .

مادامت السياسة عائدة الى احدى القواعد التي شاهدناها ، كانت متناسبة، بعيدة النظر ، قليلة الخطأ ، لكن متى خرجت عنها نشاهدها متناقضة ، قصيرة النظر ، لا تبصر غير المنفعة الحاضرة وكثيراً ما تخطئ، ولا مثال اقرب الينا من «الخطة» التي اتبعتها انكلترا في اذلال الترك وكسر شوكتهم بمعاونتها فعلاً الجيوش اليونانية لكن كان مثلها مع الترك مثل الغزال الذي يطارده كلب الصياد ، فالتفت الاول الى الثاني وقال له : لن تلحقني — قال الثاني ولماذا ؟ — فاجاب الغزال : لانني اعدو لنفسي وانت تعدو لصاحبك !

فكان اخذال السياسة الانكليزية من وراء اخذال الجيوش اليونانية في صقاريا وازمير .

Digitized by Birzeit University Library

٢ - الثبات

تستقي هذه الصفة من ينبوع الارادة القوية التي امتاز بها الرجل الانكليزي في حياته اليومية ، وهل الاعمال السياسية غير احدى مظاهر هذه الحياة...

علمنا ان اول حسنات قوة الارادة هي تقدير معنى الواجب ، واذا كان العامل الفقير يحتمل شدة عمله الشاق بشجاعة فائقة ، والجندي الوضيع يقتحم ساحات الوغى مستقتلًا في سبيل الواجب ، كذلك الامة الانكليزية كمجموع لا تختلف عن هؤلاء الافراد، فتقدم بثبات على الاعمال السياسية التي من شأنها اعلاء شأن بريطانيا العظمى وفي صميمها دافع ذاك الواجب نفسه .

وعلمنا ان الرأي العام الانكليزي يصدر حكمه في الاشخاص بما يشاهده فيهم من جرأة وثبات، والانكليزي لايعرف الضجر او الملل، وكان لهذه الصفة شأن عظيم في اعماله السياسية .

يظهر لنا هذا الثبات في اشد مظاهره عندما تدافع انكلترا عن مصالحها العائدة الى القواعد الاربع المذكورة ، فحاربت الاسبانيين والهولانديين السنين الطوال حتى حطمت قواهم وايدت طرق البحار ، وامنت منافذها لملاحتها .

ويضرب المثل بثباتها في محاربة نابوليون ، فقاتلته في جهات متعددة مدة

Digitized by Birzeit University Library

عشرين سنة ونيف ، ماعدا فترات قليلة ، فاشعلت في تلك الحروب الطاحنة النار في جميع انحاء اوروبا ، من موسكو الى مدريد ، وتجاوزت اوروبا الى افريقيا وآسيا ، وكانت جميع قواعدها السياسية مهددة اثناء تلك الحروب الدامية : طرق البحار بواسطة الحصار الذي منع الملاحة الانكليزية من التقرب الى كافة موانئ اوروبا ، طريق الهند في ذهاب بونابرت الى مصر واجتياحه سوريا ، بلاد الفلاندر في احتلال البلجيك وجعلها ولاية من الولايات الفرنسوية وفي السيطرة على هولاندا ، التوازن الاوروبي ، واي توازن ظل هناك ونابوليون اصبح الآمر الناهي ، والمسيطر على العروش والتيجان !

ثبتت انكلترا في وجهه حتى اطفأت بيدها نجم سلطانه في علو سمائه ، وخلعته عن عرشه ، وابعدته الى جزيرة سانت هيلانه .

ولو اردنا ان نستشهد بغير ذلك من الادلة عن الثبات الذي اتصفت به السياسة الانكليزية لحملنا الموضوع الى اثبات تاريخ هذه الامة بكامله ، لان حياتها ما هي الا آية الثبات ومثال القوة الفائزة ، ولولا ثباتها لما وصلت الى هذه المنعة التي جعلتها ، — او كادت — ، تسيطر على عالم السياسة سواء كان مباشرة او غير مباشرة .

Digitized by Birzeit University Library

٣ — الشدة

لم يتراجع قط هذا الثبات امام سلوك مناهج الشدة للوصول الى ما يبتغيه
ومن هذه المناهج : التهديد بالحرب ، وشهر الحرب .

وتنويعاً للموضوع نضرب مثلاً عن الشدة البريطانية في سياستها ما رأيناه
من اعمال بالمرستون الذي كان يمثل سياسة حزب الاحرار ، وخصوصاً في موقفه
الشديد في وجه الحكومة الفرنسوية سنة ١٨٣١ في قضية البلجيك .

كان بالمرستون شأن معظم الانكليز لا يميل قط الى العقائد التي تستند
الى مبادئ فلسفية عامة ، لان العقل الانكليزي لا يستوعبها ، وكان صاحب
الطريقة الآنية ، التي تتغير بتغير الاحوال ، وتتقلب مع الحوادث ، وروح
سياسته متجلية في رسائله ، وهذه السياسة هي : اولاً شديدة اللهجة ونفعية ،
ثانياً سياسة تعجرف وتهديد ، ثالثاً سياسة تدخل .

***

سياسة شديدة اللهجة ونفعية

وكان يستعين في انشائه بالاستعارات المأخوذة عن الملاكمة وضروب
الالعاب الرياضية الشاقة ، ولم يتأخر قط عن تسمية بعض الاشخاص بما كان

Digitized by Birzeit University Library

يستنسبه لهم من الاسماء ، فلما غضب مثلاً عام ١٨٤٨ على امبراطور النمسا ، لقبه في احد تحاريره «بالحيوان» ، ولايذهب القاري الى الظن بان هذا التحرير كان موجهاً الى الامبراطور ، كلا ! — بل الى سفير انكلترا في فينا .

وطريقة سياسته كانت وضعية ، تستند الى الحوادث اليومية ، بعيدة عن النظريات المجردة — وهي ايضاً نفعية ، اذ لاهم لبالمرستون الا مصالح قومه فيكتب مثلاً الى عموم سفرائه في احدى المذكرات ما يلي :

« ان مصالح بريطانيا العظمى يجب ان تكون نصب اعين كل مفوض انكليزي ، بل يلزم ان تكون حجر الزاوية التي ترتكز عليه عموم اعماله السياسية » .

***

سياسة تعجرف وتهديد

ويختلف هذا التعجرف عن الغطرسة ، لان فوز انكلترا في شؤونها الاقتصادية والسياسية يبرر نوعاً هذا الجنوح الى الانفة والمغالات بها ، وبالمرستون شأن كل انكليزي مقتنع من مهمة بلاده في هذا الكون : مهمة اخلاقية وسياسية ، مهمة ترقية البشر والسير بهم الى مرتقى اخلاقي رفيع ، وذلك — طبعاً — بسلوك السبيل التي سلكته امته . . .

اما الحرب فهي منتهى مناهج الشدة ، وهي بنظره امر طبيعي ، ويرى بالمرستون ان الحرب وسيلة مشروعة توصله الى غايته ، لكن لا يقدم عليها

Digitized by Birzeit University Library

قبل ان يتأكد من استعداده التام لها . ومتى هيأ اساطيله ، وحشد الجيوش لا يحجم قطعياً عن اخفاء نياته ، بل يظهرها لخصمه ، ويهدده باستعمال هذه القوى ضده ، اذا لم يذعن لمشيئته .

***

سياسة تدخل

والتدخل السياسي مختص بحزب الاحرار ، وسترى انه يتغلب على السياسة الانكليزية طريقة العزلة وهي اقرب الى الطبع الانكليزي .

لكن بالمرستون يرغب في التدخل :

اولاً : لخدمة مصالح انكلترا التجارية ، ويطلب من سفرائه وقناصله ان يكونوا قبل كل شيء عملاء للتجارة والصناعة البريطانية ، وان يطلعوا دوماً على مصادر الثروة في البلاد ، وانواع الصفقات الرابحة ، وان يفيدوه عن كل ماله علاقة بالملاحة وكافة الامور الاقتصادية ، وان يوطدوا العلائق مع الثغور المفتوحة ، وان يؤسسوا علاقات جديدة في الموانئ الجديدة ، وما هو جدير بالذكر ان غضب بالمرستون يوم احتلت فرنسا مدينة الجزائر عام ١٨٣٠ كان سببه افلات ثغر تجاري من ايدي الملاحة الانكليزية .

ويرغب بالمرستون بالتدخل لامر ثان وهو الدفاع عن مصالح انكلترا السياسية ، وهذا بنظره حق لانكلترا لا جدال فيه ، لان موقعها الدولي يؤهلها الى ذلك ، ويحق لها ان تبدي رأيها في جميع القضايا السياسية مثلاً :

Digitized by Birzeit University Library

لا بد لانكلترا ان تبدي رأيها بموضوع الوحدة الايطالية . . .
وهناك امر ثالث ، يرى بالمرستون ان لانكلترا الحق بالتدخل بشؤون الغير للقيام بواجب اخلاقي ، وهذه سجية من سجايا حزب الاحرار في انكلترا وهم يتوسطون لدى الامم كلما شاهدوا ان العدل لم يقم له وزن او ان الحق يتألم ! وذلك لمجرد نصرة البؤساء ، خصوصاً اذا وجد بينهم انكليزي ! ومع ذلك شاهدنا بالمرستون يستعمل نفوذ امته لنصرة الانسانية . فتدخل مثلاً في فينا ليذكر الامبراطور بمنع جنوده المحتلين ايطاليا من ضرب جماهير النساء في شوارع ميلانو . . . وتوسط ايضاً لدى ملوك ايطاليا ونصحهم ان يجيبوا اماني رعاياهم وان يؤسسوا في ممالكهم حكومات دستورية :

***

مثال عملي عن استعمال الشدة

في حادثة ثورة البلجيك

لما ثارت بلجيكا على هولاندا سنة ١٨٣٠ مطالبة بالاستقلال ، قال بالمرستون في احدى تصريحاته في مجلس العموم : ان هذه القضية هامة جداً وتهم اوروبا جمعاء ، كيف لا وشروط مؤتمر فينا المصدق عليها عام ١٨١٥ لا يزال معمولاً بها ، ولا يمكن تغيير بند من بنودها الا بمصادقة الدول التي وقعت عليها ، وانكلترا من جملة هذه الدول .

Digitized by Birzeit University Library

ويزيد في اهمية القضية ، موقع البلجيك من قواعد السياسة الانكليزية العامة .

كانت اول اعمال بالمرستون ان يمنع فرنسا من التدخل في بلجيكا خشية من ان تؤيد فيها نفوذها . اما رغبته باعطاء بلجيكا استقلالها المنشود فكانت ثابتة . . . لكن ذاك الاستقلال لن يكون ناجزاً حراً من كل قيد بل سيقيده بشروط الحياد المطلق .

عقد مؤتمر في لندن عام ١٨٣١ لوضع حل نهائي للقضية البلجيكية ، فانتخب المؤتمر الدوق دي نامور ليكون ملكاً على هذه الحكومة الجديدة ، ودي نامور هو احد افراد العائلة المالكة في فرنسا . . . فرشح بالمرستون البرنس ليوبولد نسيب الملكة فيكتوريا .

وُضع في المؤتمر ايضاً على بساط البحث هدم بعض القلاع التي كانت ترعج فرنسا في حدودها الشرقية الشمالية ، وكان مؤتمر فينا قد استعملها عام ١٨١٥ حواجز ضد التوسع الفرنسوي . لكن بالمرستون لم يرض الا عن دك الحصون الشمالية لعدم لزومها بسبب حياد البلجيك .

وبينما المؤتمر يهيء القرارات في لندن ، نقضت بلجيكا في تلك الاثناء الهدنة بينها وبين هولاندا ، لعدم رضاها عن شروط المعاهدة المسماة بمعاهدة « الثماني عشرة مادة » . فاتهم بالمرستون الحكومة الفرنسوية انها هي التي حرضت بلجيكا على هذه الثورة الجديدة لتجد باباً للتدخل وتأييد نفوذها . فحشد الاساطيل الانكليزية في البحر المتوسط وانذر فرنسا بالانسحاب من

Digitized by Birzeit University Library

بلجيكا وكانت قد دخلتها لمعاونة الجيوش البلجيكية على دحض قوى الهولانديين . اكره بالمرستون فرنسا على الانسحاب وهددها باعلان الحرب ان هي لم تفعل ، وتمّ هذا الانسحاب حسب رغائبه « بلا قيد ولا شرط » .

— ماذا جنى لويس فيليب ملك فرنسا من هذا المؤتمر ؟

— زواج ابنته بيولوبولد ملك بلجيكا الجديد ونسيب ملكة انكلترا والذي كان فيما بعد من اكبر المسيطرين على ارادتها ، ونال ايضاً تهديم ثلاث او اربع قلاع .

اما بالمرستون فقد صحح معاهدة فينا ، وليس ذلك بالامر الهين ، واوجد بلجيكا من العدم ، مستقلة لكن محايدة ، وحقق رغائبه جميعها من ابعاد اسرة لويس فيليب عن عرش بلجيكا وابعاد النفوذ الفرنسوي ، بل اكراه فرنسا على الخروج من بلجيكا والاقتصاص من البلجيكيين بحرمانهم من بعض الاراضي التي كان يجب ان تعود اليهم ،مثل شواطي. نهر الاسكو التي بقيت بيد الهولانديين .

هذا بعض من اعمال بالمرستون السياسية ، وهـذا مثال عملي عن الشدة البريطانية ، وما كانت هذه آخر اعمال الداهية البريطاني . . . اذ مات وهو يعمل وراء مكتبه !

• • •

ومن منا لم يذعر لتلك الشدة التي استعملتها انكلترا في تشرين المنصرم مع حكومة مصر اثر الاعتداء على حاكم السودان المستر ستاك ، واتخاذها

Digitized by Birzeit University Library

ذاك الحادث وسيلة للقضاء على حرية السودان واخراج كل عنصر للسلطة المصرية منه ووضع استقلال مصر تحت طائلة المراقبة الشديدة .

ان من يشاهد اساليب الشدة التي استعملتها انكلترا مع حكومة قوية ودولة عظمى مثل الحكومة الفرنسوية ، تقل دهشته لما يرى الشدة تقع سطوتها على بلد آمن وشعب اعزل مثل الشعب المصري .

---

٤ — سياسة عزلة

ربما توسم القاري. تناقضاً بين سياسة التدخل وصفة العزلة التي تتصف بها السياسة البريطانية ، ويظهر لاول وهلة ان هذه تنفي تلك ، لكن هذا التناقض ظاهري ليس الا ، والسياسة الانكليزية متى تدخلت في الخارج تفعل ذلك لتأييد تجارتها او نفوذها الادبي الذي كثيراً ما تستتر وراء حب الانسانية ، وما عدا ذلك فالسياسة الانكليزية بعزلة عن كافة الامور التي تخرج عن دائرة مصالحها ونفوذها . وهذا ما يعلل لنا عدم ميلها للمعاهدات الطويلة العهد ، فلا تحب ان تقيد نفسها زمناً طويلاً في معاهدة او اتفاق او اتحاد ، واي مثال اقرب الى الاذهان من الاتفاق الذي عقدته مع نابوليون الثالث لتأديب روسيا في حرب القرم ، فظن الامبراطور الفرنسوي ان انكلترا

Digitized by Birzeit University Library

لم تزل حليفته حتى بعد انقضاء السبب الذي من اجله عقدت معه الاتفاق . لكن الانكليز دهشوا من دهشته .

• • •

قلما يفهم العقل الانكليزي افكار سواه ، ومزاج عقله الخاص يجعله في عزلة عن امزجة عقول بقية الامم كما هي الجزر البريطانية في عزلة عن القارة الاوروبية . وعقليته هذه لا تأتلف مع المبادئ الفلسفية العامة ، وافكاره وضعية محسوسة نفعية . قال عنه الاستاذ باردو :

« انه يهتم بالحقائق الفردية ، وهيئتها المحسوسة ، عاجز عن ان يجمع ما بينها او يعطيها شكلاً عاماً او تحليلاً نظريا ، وافكاره هي اما بنت مخيلته او نتيجة اختباره الحوادث التي تجري حوله ، وفي كلتا الحالتين لا يستطيع ان يجعل بين هذه وتلك صلة عامة للوصول الى تأييد مبدأ عام » .

انما العقلية الفلسفية اقرب للامتزاج بكافة الاقوام مهما اختلفت عقلياتهم وتباينت معتقداتهم ، لانها تدرك الافكار العامة ، وهي وحدها بامكانها ان تكون حقيقة دولية . بينما الافكار الوضعية القائمة على الحوادث اليومية هي اخص من تلك ، وتبقى منحصرة ضمن نطاق الامة التي نشأت عليها ، فتستعملها لمنفعتها الذاتية .

وعلينا ان نذكر سير العلائق بين فرنسا وانكلترا منذ عام ١٩٠٤ الى تاريخ الحرب العظمى ، فعقدت الامتان أئتلافاً ودياً لدرء الخطر الجرماني ، ومع هذا رأينا السياسة الانكليزية تعود الى ما اعتادت عليه والى ما فطرت عليه ،

Digitized by Birzeit University Library

واول حركة بدت منها في آب ١٩١٤ ، لما أضرمت نيران الحرب في اوروبا ، كانت حركة تميل الى الحياد والاستعداد الى الحرب كانها نسيت المعاهدة المنعقدة بينها وبين فرنسا .

ولم تدخل انكلترا الحرب الا حين شاهدت بأم عينها دخول الجنود الالمانية الى البلجيك ، ذاك البلد المحايد ، وخشيت من وصول القوى الالمانية الى انفرس ، ذاك الميناء المطل على شواطئ بريطانيا العظمى .

وعلينا ان نذكر ايضاً حوادث بعد الحرب ، والمؤتمرات السياسية التي اجتمعت لارجاع معاهدة الائتلاف او استعمال القوى المشتركة ضد الموقف السلبي الذي اتخذته المانيا . . . فذهبت جميع الخطب والمحاورات ادراج الرياح ، وكل ما قيل في جنوه او كان او لندن او لوزان لم يكن له ادنى صدى او تأثير ، وكان الفرنسويون لا يزالون يعتقدون انهم حلفاء الانكليز ، وهؤلاء ينظرون الى القارة الاوروبية ، ولا يبصرون منها الا الموانئ التي سدت في وجه تجارتهم ، ويفكرون في ارجاع المياه الى مجاريها ، ثم بعدئذ اخذوا ينظرون الى اعدائهم وحلفائهم بالامس ، الالمان والفرنسويين ، ولم يبصروا الا بلاد الرين التي احتلتها الجيوش الفرنسوية والتي تمس مباشرة احدى قواعد سياستهم العامة نسي الانكليز الخطر الجرماني ، واي خطر ظل بعد تبديد جيوش الالمان ، واغراق اساطيلهم ؟ — ولم يبصروا الا ما تمثل لاعينهم في يقظة بونابرت والبونابرتسم في شخص المسيو بوانكاره .

ومن ذكر كل هذا تسائل عن فائدة اهراق الدماء وقتل الابرياء وقد

Digitized by Birzeit University Library

حارب الانكليز والفرنسويون جنباً الى جنب للدفاع عن مثل اعلى مشترك(؟) — وهذا ما يثبت لنا ان الحوادث مهما عظمت لا يمكن ان تبدل في اخلاق الشعوب ، والطفرة من الامور المستحيلة — وهذا ما يحملنا على القول ، ان عقلية الانكليزي هي في عزلة عن عقلية بقية الامم ، كما هي الجزر البريطانية في عزلة عن القارة الاوروبية .

Digitized by Birzeit University Library

الفصل الثالث

عوامل السياسة الانكليزية

لا بدّ لنا حتى نعلم اهمية الخطر الذي يتهددنا من هذه السياسة من النظر في العوامل القاهرة التي سيرت رجال الانكليز في تنفيذ تلك القواعد التي شاهدناها في القسم الاول من هذه الرسالة .

واول هذه العوامل هو العامل الحيوي ، عامل التجارة والاقتصاد الذي بدونه لا تستطيع الجزر البريطانية ان تقاوم حاجة الجوع ، والجوع كافر ! فلمحنا عنها آنفاً حيث قلنا ان انكلترا لا تنتج لنفسها الا النذر القليل من احتياجاتها الضرورية ، واذا سدت في وجهها سبل الرزق لا يمكن لسكانها ان يعيشوا اكثر من شهر واحد .

وثاني هذه العوامل اخلاقي ، استمد سلطانه من قوة الدين ، وفي هذا درس مفيد لابناء الشرق الذين اتهموا دوماً بتعصبهم الديني ، ويعتقد الانكليز

Digitized by Birzeit University Library

انهم هم شعب الله الخاص ! (ولو كره اخواننا الروم الارثوذكس) — وانهم ابناء افرام الحقيقيون ، وانهم منحدرون من سلالة « ابراهيم الخليل » ، وان الله قد اصطفاهم من بين البشر ، واختصهم بقيادة الامم الى مرتقى اسمى ، وارشاد الشعوب الى سبل السعادة في الدارين الدنيا والاخرة» .

واخيراً هناك عامل سياسي نقول كلمة عنه تثبت لنا لماذا ، رغم تغير سياسة انكلترا الداخلية وتطاحن الاحزاب فيها واختلاف برامجهم وتباين عقائدهم الاجتماعية ، لماذا لم يؤثر ذاك الاختلاف في تغيير سياستها الخارجية .

---

١ — العامل الاقتصادي التجاري

يلجأ الفرد الى استعمال سواعده وقواه المادية كلما عجز عن الوصول الى غايته بوسائل الاقناع اللازمة ، فتحمله ثورة الغضب مثلاً الى الفتك بخصمه ، او يحمل به عامل الفاقة الى الهجوم على مخزن او دكان يعلم ان فيه ما يسد عوزه ، وهذا ما يرى في نفس الجائع ، اذا سدت في وجهه ابواب الرزق ، فيأخذ عنوة قطعة خبز من دكان الخباز ، ويسد به رمقه ، . . . فني كلا الحالين ان في حالة الفتك بالخصم او في حالة الهجوم على الدكان ، نقول ان التوازن بين الشعور والعقل قد اختل ، فتغلب الاول على الثاني .

Digitized by Birzeit University Library

يرى ويقال مثل هذا في حياة الجماعات ، سواء من الوجهة المادية ، اومن الوجة المعنوية ، فاذا اختل ذاك التوازن ، وفقدت النسبة بين القوى العاقلة والقوى الشاعرة ، تشتعل في نفوس الملايين ثورة الغضب ، وتفعل فيهم عوامل الفاقة باسرع واقوى مما تفعل في نفوس الافراد ، لا سيما ان مستوى عقلية الجماعات وشعورها احط من عقلية الفرد وشعوره . وكلما شاهدنا امةلاتستطيع أن تنتج لنفسها ما يكفيها لتحيا وتدر، خطر الفاقة عن نفسها ، نقدر ان نحكم بأختلال التوازن في شؤونها الاقتصادية .

***

الامة الجائعة

اذا انصرفت جماعة في حياتها الاقتصادية الى الزراعة وظلت في شؤونها الصناعيةعالةعلى سواها، واذا صادفت صعوبات كثيرة سواء كان في اقتنا، ماتحتاجه للباسها او لتصريف ما تنتجه ارضها من الحبوب والمواد الغذائية ، فلا شك ان تلك الصعاب ستكون مصدراً للاختلاف السياسي بينها وبين الامم التي تكون عثرة كؤود في سبيل تلك المبادلة الضرورية .

واذا افترضنا العكس ، كم يكون الخطر اعظم على تلك الامة التي انصرفت بكاملها الى الصناعة ، فتحتاج الى ما تنتجه ارض غيرها من الامم لتقتات وتعيش ، ولا حياة بدون تلك المبادلة الضرورية !

تستطيع الامم الزراعية اذا اكرهتها الحاجة ان تشيد المعامل في بضعة

Digitized by Birzeit University Library

شهور لسد الخرق الذي سببه قلة المواد الصناعية فيهـا . لكن يتعذر على امة صناعية صرفة ان تحوّل العمال الى زراع ، ولا يتم لها هـذا ببضعة سنين . . . ولا سبيل الى تموين تلك الامة الصناعيه من المواد الغذائية اللازمة لها الا بتصدير ما تصنعه معاملها وما تنتجه ايدي عمّالها .

اذاً المتاجرة ومبادلة المصنوعات بالمأكولات هي السبيل الذي يحفظ الامة الصناعية من خطر الجوع — واذا كان لا يحق للمنصف ان يلوم ذاك الجائع الذي يهجم على دكان الخباز ليأخذ عنوة ماتحتاجه نفسه ليطفئ به لهيب الجوع، ويطرد شبح الموت ، هل يحق له ان ينزل باللائمة على امة لاتستطيع ان تكفي النفوس المتكاثرة فوق تربتها الا اذا استولت عنوة على ميناء ، او احتلت بلداً فتجعل لها فيه زبائن ، ولو قهراً ، لتصريف ما تنتجه معاملها والحصول على قوتها اليومي . . . هذا هو موقف الامة الانكليزية ، ولا نود ان نجد حججاً لتبرير اعمالها او للدفاع عنها ، وهي بلا ريب بغنى عن محام يبرر اعمالها السياسية، — وهذا هو لسان حالها ، واني اتساءل مع القارئ اي نظام او اي حق يبقى مصوناً اذا حبذنا عملاً مثل هذا ، فردياً كان ام اجتماعياً ؟ لكن اذا اردنا ان نكون انكليزيين برهة من الزمن ، ونظرنا الى موقف الامة الانكليزية مجرداً عن حقوق بقية الامم لا نرى بأساً من تشبيهها الى تلك الام البائسة (!) التي كثر اولادها ، وهددتهم الفاقة، واشتد بهم العوز ، وامتنع الناس من اسداء الصدقة اليها واليهم ، ولم ترَ سبيلاً الى انقاذهم من آلام الجوع الا ان تدخل الى اول دكان وتأخذ قسراً لها ولهم ما يرد عنهم شبح الموت المخيف .

Digitized by Birzeit University Library

هذا هو شأن هذه الامة الجانعة ، فاذا وقفت امة اخرى في سبيلها ، اي حل يراه القاري، غير حق السلاح ، حق القوة القاهرة التي اشرنا اليها في مقدمة هذه الرسالة : وكلما التقت منفعتان وجهاً لوجه اشتبك السيفان ، وكانت حرب هائلة ذهبت بالاموال والنفوس ، وظل النضال حتى يكسر احدالسيفين، فتخضع المنفعة المغلوبة للمنفعة الغالبة وتعيش القوية ... (١)

***

اختلال التوازن بين الصناعة والزراعة

اخذت الصناعة منذ اواخر القرن الثامن عشر تخطو خطوات عظيمة نحو الرقي ، فاثر هذا التطور العمراني على بلاد الانكليز اكثر من سواها ، واخذ الزراع يغادرون اعمالهم في الحقول ليذهبوا الى تأسيس المدن الكبرى ويعملوا في مصانعها .

اصاب الزراعة ضرر من جراء الهجرة المستمرة ، من الحقل الى المدينة ، وتناقصت كمية انتاجها في بريطانيا تناقصاً مخيفاً ، وكثرت بالطبع الحاجة الى شراء المواد الغذائية من الخارج ، لاعاشة افراد تلك الامة التي يزيد عدد سكانها من سنة الى اخرى .

والارقام خير دليل على اختلال ذاك التوازن بين الزراعة والصناعة . ففي عام ١٨٧٠ كانت مساحة الارض التي تزرعها انكلترا تقدر

---

(١) راجع صحيفة ١٣ من هذه الرسالة

Digitized by Birzeit University Library

بـ ٩،٣٧٥،٠٠٠ آقراً [١] . ونصف هذه المساحة كان يزرع فيها حنطة ، والنصف الاخر حبوب مختلفة . ثم اخذت منذ ذاك العهد تتناقص الاراضي القابلة للحرث ، فوصلت في عام ١٨٨٠ الى ٨،٠٤٧،٠٠٠ آقراً ، ثم انحدرت في عام ١٩٠١ الى ٣،٨٠١،٠٠٠ آقراً [٢] .

ولم يجدها نفعاً الاختراعات الكيماوية ، والسماد الاصطناعي ، ولم يجعلا حداً لذاك التناقص المخيف . كما ان الايدي العاطلة من جراء ذاك التناقص المستمر لم تستعمل في سبيل زيادة المزروعات الاخرى ، غير الحنطة والحبوب ولم تبق الا حقول الشمندر على ما كانت عليه لا زيادة فيها ولا نقصان ، بيد ان حقول البطاطا اخذت تتناقص بسرعة فكانت محصولاتها عام ١٨٨٤ تزن ٢٥ مليون طن فسقطت في سنة ١٩٠١ الى ٧،٧٠٠،٠٠٠ طن . اما حقول الكتان فكانت عام ١٨٨٠ تقدر مساحتها بـ ٢٣ الف آقر ، فانحدرت سنة ١٩٠١ الى ٦٤٠ آقراً .

واخذت تربية المواشي بالتناقص ايضاً ثم رجعت الى معدلها الاصلي ، لكن المواشي في انكلترا لا يمكنها سد الفراغ الكبير الذي سببه تناقص الحبوب ... هذا فضلاً عن الاراضي التي حولت الى جنائن ، أو أهملت فطغى فيها العشب المضر الذي لا يسمن ولا يغني من جوع .

---

(١) كل آقر يبلغ ٤٠٥٠ مترا مربعاً .

(٢) اخذ هذه الارقام الاستاذ « باردو » عن المصادر الانكليزية الرسمية ونحن نأخذها عن كتابه الذي ذكرناه .

Digitized by Birzeit University Library

وباجمال ، انما الاراضي التي كانت تحرث في انكلترا تناقصت مدة الثلاثين سنة الاخيرة ٣ ملايين آكر ونصف ، وهبطت اثمان الاراضي المزروعة بنسبة تناقص مساحتها ، فبينما كانت دواثر التحصيل يدخل صناديقها في بريطانيا واسكوتلاندا سنة ١٨٨١ ما يعادل ٥٩،٣١٠،٠٠٠ جنيهاً انكليزياً ، لم يدخلها عام ١٩٠١ سوى ٤٢،٨٨٢،٠٠٠ جنيهاً انكليزياً .

ونقصان مجموع الواردات الحقيقية من سنة ١٨٧٦ الى ١٩٠١ كان يعادل ١٠،٢٢٥ مليون من الفرنكات الذهب . ومعدل هبوط اسعار الاراضي عموماً كان منذ ١٨٧٥ الى ١٩٠٠ بنسبة ٥٣ ونصف الى المائة .

...

تم للزراع هجران حقولهم لسكنى المدن الكبرى التي شيدتها الحركة الصناعية ، وبدل من ان تكون الاراضي مورد حياة لهذه الامة ، اصبحت كمالية يستعملها العامل للنزهة بعد عنائه في المعامل والمتاجم .

واذا قابلنا بين الدول العظمى نرى ان الحقول في بلجيكا يعمل فيها ٣٥ بالمئة من مجموع عدد العمال ، وفي الولايات المتحدة ٣٧ في المئة ، وفي المانيا ٣٩ في المئة ، وفي فرنسا ٤٥ في المئة ، اما في انكلترا فالحقول لا يعمل فيها اكثر من ١٠ في المئة من مجموع العمال .

...

يتحقق لنا من هذه الارقام التي تروبها المصادر الانكليزية الرسمية ان الازمة الزراعية في انكلترا امر يدعي الى التأمل ، وقد زاد هذا التناقص

Digitized by Birzeit University Library

جامعة بيرزيت
مركز الابحاث

في حاجة سكان تلك الجزر ، فلا بدّ لهم اذاً من ان يستعينوا بمحصولات ومنتجات بقية الامم ليقاوموا آفة الجوع ، وقد حاولت انكلترا بجميع الوسائل مقاومة هذا التيار الجارف سواء كان بسن القوانين لتشجيع الزراع على البقاء في حقولهم ، فجعلتهم مالكين للاراضي التي يحرثونها ، اوبتأليف جمعيات التعاون لفئة الملاكين الصغار ، لكن لا هذا ولا ذاك لم يغن فتيلاً من هجرة الحقول الى تلك المدن العظيمة التي افسد جوها دخان الالوف من المداخن ، فظل عدد سكان الحقول بتناقص وسكان المدن الصناعية بازدياد وتكاثر .

***

زيادة مجموع عدد السكان

يزداد مجموع السكان في الجزر البريطانية منذ عام ١٨٧١ مقدار ٤٠٠ الف نسمة في كل عام ، وتلك بطون يلزم املائها واعاشتها ، فعلمنا ان الجزر البريطانية ضنت على تلك النفوس بقوتها اليومي ، ولا مراء انه يلزم لاكفائها طلب هذا القوت الضروري من الامم الاجنبية ، وتزداد كمية المواد الغذائية التي يجب جلبها من الخارج بنسبة ازدياد الافواه سنة عن سنة .

اذاً ما هي الوسيلة لاعاشة تلك النفوس التي جرفها التيار الصناعي الى المدن ، مهملة القرى واعمالها الصناعية ؟ — فهل يمكن ان تكون خارج التجارة التي تحمل الى قاطني تلك الجزر ما يلزمها من المواد الغذائية والتي بدونها لا

Digitized by Birzeit University Library

تستطيع ان تعمل في معاملها ومناجمها ؟

ترسل الامم الى الامة الانكليزية تلك المواد الغذائية التي هي بحاجة اليها. فتستجلب معظم الدقيق والحبوب من روسيا والولايات المتحدة والهند واوستراليا. فترسل اليها اميركا ١٨ مليون قنطار من الدقيق (من اصل ٢٢ مليون قنطار التي هي بحاجة اليها) و٣٩ مليون قنطار من الحنطة (من اصل ٦٩ مليوناً) .

واذا كانت انكلترا تشتري خبزها من الخارج ، فهي تشتري ايضاً قسماً وافراً من لحومها ، كما انها تجلب معظم السكر والسمن والبن والفاكهة والشاي والنبيذ . . .

يحتاج كل انكليزي في كل يوم الى ١٢٢ ليبرا من اللحم وهو يستجلب منها ٤٣ في المئة من خارج بلاده ، وتبيع الولايات المتحدة الى الانكليز ١٨ في المئة من احتياجاتهم من نوع الاغنام والبقر ، و٩٦ في المئة من نوع البيض ، و٩٣ في المئة من لحم الخنزير وهلم جرا . وتسعى انكلترا جهدها بأن تستجلب احتياجاتها من مستعمراتها ، وشاهدنا ان احدى غايات حزب المحافظين الذين بين ايديهم اليوم زمام الاحكام ، عقد مؤتمرات بين الجزر البريطانية ومستعمراتها وزيادة رسوم الجمارك لمنع البضاعة الاجنبية من الدخول الى اسواق انكلترا . . .

ومما لا جدال فيه ان انكلترا هي مدينة الى الخارج في شؤون معاشها واحتياجاتها الغذائية .

***

Digitized by Birzeit University Library

مبادلة المصنوعات بالمأكولات

ولن يتيسر لها جلب هذه المواد الغذائية الا لقاء ما تبيعه من مصنوعاتها ومنسوجاتها ، واذا كانت تشتري سنة ١٨٨٣ بـ ١٤٦ مليون جنيه انكليزي اصبحت تشتري عام ١٩٠٣ باكثر من ٢١٤ مليون جنيه ، ولا نعلم بعد الحرب كمية المال الذي تبذله انكلترا في هذا السبيل ، لا سيما ان غلاء المعيشة قد زاد زيادة هائلة في اسعار الحاجيات الاولية ، وعلى كلٍ اذا ظهر لنا زيادة في السنين التي خلت في مجموع ما تشتريه انكلترا من الخارج يلزم ان نزيد عليه كثرة النفوس التي علمنا بزيادتها ٤٠٠ الف نسمة في كل عام .

اما الفئة النسبية للمواد الغذائية في معاملات انكلترا لم تتغير تغيراً محسوساً فكانت عام ١٨٨٧ ، ٤٢ في المئة وهي سنة ١٨٩٩ ، ٤٣ في المئة من مجموع ما اقتنته من الخارج ، ولهذه الحاجة صفة دائمة مستمرة .

واستمرار هذا العامل القاهر برهان جديد عن اهميته ، ومن جهل اهمية هذا العامل الاقتصادي لا يستطيع ان يقدر قلق الرأي العام الانكليزي في ختام كل عام لما يعالج ميزانية بلاده العمومية ، ولا ان يدرك اهمية حنق الانكليز كلما تحقق لديهم فوز الصادرات الالمانية على صادراتهم .

• • •

تبيع الامة البريطانية حتى لا تموت جوعاً .

وهي عاجزة عن ان تكفي سكانها ، فيلزم للانكليز مبادلة مصنوعات

Digitized by Birzeit University Library

مانشستر القطنية ، وبواخر معامل غلاسكو ، واقمشة الصوف التي تحوكها مصانع هدورسفليد ، والآلات التي تهيئها ميلالاند ، فيلزم لهذا القوم ان يبادلوا مصنوعاتهم هذه بالخبز واللحوم والفواكه والسمن والارز والبيض والشاي والنبيذ والمواد الاولية التي هم بحاجة اليها مثل القطن والحرير والكتان والصوف . . .

وقد توفق الشعب البريطاني امام هذا العامل الاقتصادي ان يفتح البلدان ويؤسس الموانئ معتمداً نفسه ، و قوة ارادته ، التي امتاز بها على بقية الشعوب ، والثبات والجرأة ومعنى الواجب ، حتى توصل الى تشييد دعائم تلك الامبراطورية العظمى التي تتسع حدودها من يوم الى يوم .

ومع سعة اطرافه وعظمة ملكه فأن هذا العالم السكسوني لم يتوصل لاكفاء نفسه ، وهو لا يستطيع ان يقدم للجزر البريطانية الا قسما من قوت بنيها ففي عام ١٩٠١ كانت المستعمرات البريطانية جميعها تبيع لانكلترا ٢٥ في المئة من موادها الغذائية كما انها تشتري منها ٣٧ في المئة من مصنوعاتها .

كانت انكلترا في ذاك العهد تبحث خارج مستعمراتها الشاسعة عن شراء ٧٥ في المئة مما تحتاجه ، وتزاحم مصنوعات الامم لتصريف ٦٣ في المئة من بضاعتها المتراكمة في معاملها ومستودعاتها .

***

Digitized by Birzeit University Library

النتيجة

هل يرى القاريْ ما ينتج عن هذا العامل الاقتصادي وما يبعث في نفوس تلك الامة المضطربة من الحاضر، القلقة من المستقبل المشكوك فيه ؟

ان هذا العامل الاقتصادي التجاري يحمل اكبر جرثومة لتعكير صفو السلام في العالم ، هذا هو الدافع لذاك التبسط الاستعماري الذي لا يرى له من نهاية ، عامل حيوي لا سبيل لتلك الامة ان تحيا بدونه .

ومن منا لا يرى بعد ذلك ضرورة الاساطيل المنيعة والجيوش القوية للدفاع عن هذه التجارة التي تهيْ لهذه الامة حياة طويلة وعيشاً رغيداً .

انما اختلال هذه النسبة بين الصناعة والزراعة ، بين ما تنتج معامل البلاد وبين ما تحتاج اهل البلاد اليه ، ذاك الاختلال الذي اثبتناه بالارقام المحسوسة هو ابعد من ان يساعد على تحقيق الاحلام السلمية التي طالما خدروا اعصاب العالم بالكلام عنها في المؤتمرات واكثروا من بنودها في المعاهدات .

وما دام هذا السبب يهدد امة قوية بالموت ظل ابناء الشرق الذين نحن منهم تحت خطر تلك القوة التي لم تقدم الينا الا لتأمين زبائن قهريين لتصريف بضائعها وبيع مصنوعات معاملها ، فهل يتجلى لك ايها الوطني سبب الحاق عدن وبقاء الانكليز في مصر ، وغيرتهم على قناة السويس ، واغتصابهم سوريا الجنوبية ، ومحاولتهم الاحتفاظ ببلاد العراق والموصل ، وعقدهم المعاهدات مع

Digitized by Birzeit University Library

امراء جزيرة العرب ، ورؤساء الحكومات المجاورة لبلاد الهند ، هل يتجلى لك معظم الخطر الذي يتهددنا وبلادنا من هـذه السياسة التي جاءت التجارة بين اول عواملها ، والبحث عن منابع الثروة والغناء . . . ؟

---

٢ — العامل الاخلاقي الديني

قال لوجل :

« يجب على الباحث عن جوهر العامل النفساني في حياة الامة الانكليزية ان يعيش عيشها حتى يعلم عمق التحسس الديني في النفوس ، وقد ظهر في كافة اعمالها : في سياستها وقوانينها ، في ادبياتها وفلسفتها ، في تربيتها وتقاليدها . »

وقال الاستاذ باردو :

« يلزم على المرء ان يكون قد دخل الكنائس الانكليزية المتعددة الطقوس ، وسمع وعاظها ، وقراء كتب التقوى فيها حتى يفقه معاني هذه الديانة الاخلاقية ، ديانة العمل ، ويقدر فوائدها الاجتماعية حق قدرها . »

تمسكت الامة الانكليزية بأسمى معاني الدين المسيحي ، واخذت من الدين الافكار والتعاليم التي تلائم روحها وطباعها ، وحولتها الى قواعد عملية من شأنها خدمة حياتها الاجتماعية والوطنية خدمة حقة ، فاجتمعت كلمة جميع

Digitized by Birzeit University Library

المذاهب المنتشرة فوق تربة الجزر البريطانية — وما اكثر هـذه المذاهب — على تقديس جهود الفرد والجماعة، وانصرفت لغاية واحدة الاوهي: اعلاء شأن بريطانيا العظمى . وتلك الكنائس المتعددة الطقوس قد وحدت تعاليمها ، واصبحت جميعها مدارس لتقوية الارادة واحياء روح العمل والنشاط في نفوس هذا القوم . وتعاليمها هذه هي اقرب الى المبادئ الاخلاقية منها الى تعاليم الدين المجردة ، كما ان طرق بث الدعوة هي اميل الى المناهج العلمانية منها الى المناهج الاكليريكية .

واذا كان هذا العامل الديني قد اثر في اخلاق الفرد وعلمه معنى الواجب ومعنى التضحية في سبيل الجماعة ، فقد اثر ايضاً في روح الجماعة وحملها الى اقصى معاني التضحية في سبيل اعلاء كلمة المسيح : فتساوى في نظر الامة الانكليزية معنى دفاعها عن مجد بريطانيا العظمى ومعنى الدفاع عن تعاليم السيد المسيح .

آمن الانكليز بالله واليوم الآخر ، وآمنوا بان الله قد اصطفاهم من بين البشر لاعلاء كلمته . وتمكن هذا الاعتقاد بهذه المهمة المقدسة من عقولهم وقلوبهم ، فظهر على السنة سياسييهم من كرومول الى شامبرلين ، وعلى السنة شعرائهم من شكسبير الى ريكارد كيبلينغ .

تلك فكرة هي بمقام الايمان الثابت عندهم ، وهم يعملون وراء تحقيقها ، ويخوضون غمرات الحروب في سبيلها ، فامتزجت هذه العقيدة الدينية بمباديهم السياسية ، لذلك جائت بين العوامل التي تسير سياسي الامة في اعمالهم داخل البلاد وخارجها ، فوجد تبسطهم الاستعماري في هذا العامل مبرراً لا يقل

Digitized by Birzeit University Library

اهمية عن ذاك المبرر الذي شاهدنا اثره في العامل الاقتصادي التجاري . واذا افتتح الانكليز سوريا الجنوبية لاجل الدفاع عن احدى قواعدهم السياسية الكبرى ، فهم دخلوها ايضاً لتخليصها من ايدي « الكفار » ولا يختلف عمل المرشال اللنبي في نظرهم عن اعمال قواد الحروب الصليبية الاولى ، بل هو افلح حيث اخفقوا .

مشى هذا العامل المعنوي بجانب ذاك العامل المادي وهما بنظر الامة الانكليزية توأمان وفرسا رهان . . . ونحن سننظر الان الى مكانة هذا العامل الديني من تاريخ حياة الامة الانكليزية ، ومكانة من تعاليم فلسفتها، وموقع الكتاب المقدس من هذه التعاليم وتلك الحياة .

***

مكانة العامل الديني من حياة الامة الانكليزية

لما ناضلت انكلترا عن استقلالها السياسي كانت في الوقت نفسه تناضل عن استقلالها الديني . وحركة « الاصلاح » التي من شأنها الاستقلال عن رومة والتخلص من سلطة البابا كانت حركة في سبيل الحرية . فنهضت تلك الامة كالرجل الواحد وحملت السلاح وقاتلت في سبيل تحقيق حريتها الدينية والمدنية . وانتصارها في تحقيق مثلها الاعلى زادها منعة وحرية ، وغناء ومجداً .

اعتقدت انها « شعب الله الخاص » وانها متممة مهمة بني اسرائيل ، وانها سيف الله المصلط في وجه الوثنية الغاشمة وغدر الاشرار المنافقين .

Digitized by Birzeit University Library

عاون على تمكين هذه العقيدة من القلوب ماضي هذه الامة والحروب التي انصرفت اليها بجميع قواها وانتصرت فيها . فحاربت فرنسا مئة سنة ، وحاربت مئة سنة اخرى في سبيل توسيع سلطانها والاستيلاء على اراض ومستعمرات جديدة .

انما كانوا يخوضون الحروب لارجاع دين المسيح الى اصوله وتطهيره مما طرأ عليه من البدع والخرافات ، ويعتقدون ان السيد المسيح كان عونهم الاكبر ، فارفقهم بجند من عنده ، وانتصروا في جهادهم واورثهم ذاك الملك الشاسع : فافتتحوا شواطئ افريقيا الغربية لتجارتهم (سنة ١٥٦٢) وارسلوا ابنائهم لتمدين مقاطعة فرجينيا وتشييد المدن فيها (سنة ١٥٨٤) واسسوا شركة الهند الشرقية (سنة ١٦٨٨) التي ستكون مقدمة لاستيلائهم على تلك الامبراطورية العظمى . ويعتقدون ايضاً انهم بينما هم يصلحون تعاليم الكثلكة ويقلعون عن الفاسد منها وينتصرون على قوى الاسبانيين والهولانديين ابتدأوا بعونة السيد المسيح بوضع الحجرة الاولى لملكهم الكبير في القارات الثلاث : اميركا واسيا وافريقيا [1] .

كانت عظمة بريطانيا السياسية تابعة لتنفيذ حركة الاصلاح الدينية . فكأن حياتها السياسية المجيدة كانت مكافأة لها على فوزها الديني . فمن سنة ١٦٨٨ الى ١٨١٥ افلحت انكلترا بمقاومة عظمة الفرنسويين ، بعد ان

---

(١) راجع كتاب الاستاذ باردو الذي ذكرناه .

Digitized by Birzeit University Library

حطمت قوى الاسبانيين والهولانديين المنيعة ، وعمرت البلدان التى تركها خصومها قفراء ، وجعلتها درراً ثمينة في التاج الامبراطوري .

بلغ عدد الذين يتكلمون باللغة الانكليزية في مئة عام من ٢٠ الى ١٢٠ مليوناً ، وبعد قرن آخر ربما بلغ عددهم ١٠٠٠ مليون نفس .

وكثرت مساحة الارض التي تسمع فيها لغة شكسبير واتسعت انحاؤها ، وقد قرب بعضها من البعض الآخر اكتشافات العبقرية الانكليزية ، فربطت ادناها باقصاها : فن اكتشاف التمغة التي جعلت اثمان نقل التحارير زهيدة ، الى اكتشاف البرق والهاتف (التلغراف والتلفون) ، الى بناء تلك البروج العظيمة التي تجتاز البحار بقوة البخار ... وقد يزيد بعضها قرباً من بعض وجود البروق اللاسلكية وبوارج الهواء ، وجميعها حلقات ذهبية من بنات الفكر الانساني تربط تلك الاقطار النائية وتقرب المسافة بينها .

ويرى في الوقت نفسه انتشار العلم في كل بلد وقرية ، وتناقص عدد الاميين من يوم الى آخر ، وترقية المستوى العلمي في كافة طبقات الامة ، فلا ثورات ولا آثام ، والجميع يعملون بجد ونشاط في سبيل مجد بريطانيا العظمى .

مشى الفوز الاخلاقي والاقتصادي والسياسي جنباً الى جنب ، فاستند سلطان الامة البريطانية في حياتها الاجتماعية والسياسية الى صخرة الكتاب المقدس .

لاشك بأن المدقق في حياة الامة الانكليزية ، عندما يرى هذا الفوز وتلك

Digitized by Birzeit University Library

المنعة التي بعثت بهذه الامة من العدم الى ارقى اوج المدنية والعمران، وعندما يعلم درجة تأثير التعاليم المسيحية على الفرد والجماعة في تلك الجزر المنفردة ، يقلل من دهشته اذا ادعت انها سيف الله المصلط في وجه الوثنية المنحطة والاشرار المنافقين .

هل لنا ان نذكر بجانب هذا ما رويناه عن كرلايل : « القوة اذا حسن فهمها هي قياس كل صلاح . والامور تعتبر بنتائجها ، اذا نجحت ، هي من الامور الحسنة . . . »

* * *

مكانة العامل الديني من الفلسفة الانكليزية

استندت الفلسفة الانكليزية الى التاريخ والحكمة القديمة ، واعتقادها بأهلية القوم الانكليزي وصدق مهمته هو اعتقاد راسخ في الاذهان ، ثابت ثبوت صحة الكتاب المقدس في نظر سياسييهم ورجال الدين عندهم .

لم يذكر السفر القديم ، قبل ظهور السيد المسيح بأجيال ان بني اسرائيل حاولوا احصاء عدد القبائل مرتين متواليتين ، الاولى عام ١٤٩٠ والثانية عام ١٤٥٢ (ق.م) فتحققوا لدى الاحصاء الثاني نقصاً عظيما في رجال قبيلة افرام ، الاكثر قدساً ، والاوفر عدداً من باقي القبائل ؟ — انهم يعللون هذا النقص بهجرة بعض ابناء هذه القبيلة الى بلاد اخرى . وقد تكلم النبي موسى عن

Digitized by Birzeit University Library

هؤلاء الغاشين[1] . وقال الانبياء من بعده ان هؤلاء المهاجرين رحلوا الى بلاد الروم بقيادة قادموس وابتنوا فيها مدينة سيارتا . وقد حكى هيرودوتس عن هجرتهم الى الغرب : الى الغرب ، هناك قد ذهبوا !

• • •

وهنالك خرافة اسكوتلاندية اثبتها اليوم العلم الصحيح ، ومآلها ان غاثيلوس ، وهو من زعماء الروم، انجر الى جزيرة ارين وزار ارضاً دعاها ايكوس (اسكوتلاندة) باسم امرأته . يقرّب الانكليز هذه الحادثة الى ماذكره النبي موسى الى افرام اول ابناء يوسف بن يعقوب لما باركه قائلاً له انه سيذهب الى (بريطانيا العظمى) وستكون ملكاً له ولابنائه من بعده . الم يذكر « تلك الارض التي يرويها الندى والتي تهدر من حولها المياه ، كما لو كانت تخرج من اعماق البحار » ، تلك الارض التي تحمل اليها السفن « كل شيء ثمين من الشمس والقمر والارض وهضابها الخالدة » الم يقل له ان شعبه سيكون « بمكانة الامير بين الشعوب »، وانه سينصره على الامم فيرجعها خاسئة ويخرجها من ارضه حتى شواطيء البحار ؟ .. ان الامة الانكليزية اليوم لا ترى في كافة هذه الصور الا امثلة عن حياتها ، لذلك تعتقد ان نبوءة النبي موسى تتحقق فيهم وفي تاريخهم المجيد .

وهم يستشهدون بغير ذلك من وجوه الشبه بينهم وبين بني اسرائيل :

---

(١) التورات ف ٢٥ ع ١٤

Digitized by Birzeit University Library

وهل كلمة « بريتش » الحالية الا مترجمة بالحرف الواحد عن اللغة العبرية القديمة : « تيش » رجل و « بريت » العقد الالهي ؟ وهل لا يزال علم بريطانيا يحمل رمز الملك داود ، وهو الاسد الرابض ؟ حتى ايامنا هذه ما فتأت تلك التقاليد مراعاة في عادات الامة البريطانية ، وقد شاهدوا الذين حضروا تتويج ملك انكلترا صورة طبق الاصل عن تتويج سليمان الحكيم ، ونسمع حتى يومنا هذا الشعب البريطاني يهتف للملوكه كما كان يهتف شعب موسى : « الله يحفظ الملك ! » — وكلمة آمين مأخوذة عن ذاك العهد ، واصوات الابواق التي ينفخ فيها ساعة التتويج تعيد في ايامنا ما كان يحدث في الايام الغابرة ، وعرش الملك هو من حجر « باتيل » ، ويقرأ القسيس في حفلة الكنيسة في القرن العشرين تلك السورة التي رواها القديس بطرس عن تشتيت بني اسرائيل ... (١)

هذه شواهد يحاول التاريخ الانكليزي والفلسفة الانكليزية اثباتها والقيام فعلًا بتلك المهمة التي يعتقد رجال السياسة ورجال الدين بصحة دعوتها .

• • •

صرح جميع ساسة الانكليز من احرار ومحافظين بصحة هذه المهمة الدينية . فقال اللورد روزبري ان الامبراطورية الانكليزية « هي اكبر العوامل على تحقيق الرقي الاخلاقي العلماني بين امم الارض »

وقال اللورد سالسبوري « ان سياق الحوادث ، وافضل ان اقول العناية

---

(١) لخصنا هذه الحوادث عن كتاب الاستاذ باردو وهو قد جمعها من مصادر موثوق بها — صحيفة ٨٢ وما يليها

Digitized by Birzeit University Library

الالهية ، قد دعت هذا البلد (بريطانيا العظمى) الى ان يؤثر في اخلاق ورقي العالم تأثيراً لم يقم فيه حتى اليوم اي بلد آخر »

وقد صرح غلادستن بنفس الفكرة لما قال : « ان المشيئة الالهية قد خصت تلك الامبراطورية بالقيام بواجب لم ير مثله لاحد سواها . »

وقال مورلي : « ان انكلترا قد حققت في المعمور افيد الاعمال التي قام بها البشر . »

لم تكن فئة رجال الدين اقل تمسكاً بهذه الفكرة من رجال السياسة والفلسفة . فقال احد الاساتذة وهو من اشهر العلماء الذين عرفتهم الكنيسة الانجيلية الاسكوتلاندية ، الدكتور واتسون :

« على اي اساس شيد انبياء بني اسرائيل هذه الفكرة القائلة بأن الله قد اصطفى شعبهم من بين البشر ليضع بين ايديهم مهمة عظمى ؟ كانوا يرجعون الى الشواهد التاريخية التي حدثت من قبلهم والتي جعلت في قلوبهم اعتقاداً راسخاً . . . وانا اسألكم اذا كانت يد الله القادر لا ترى بمثل ذاك الوضوح في التاريخ البريطاني ؟ الم تحم يد الله هذا البلد من اخطار جمة ، لما اتفقت كلمة دول العالم علينا فارجعناها خاسئة خاسئة ؟ تقولون ان لبني اسرائيل مهمة خاصة ، فهل فقئت العيون حتى لا تبصر مهمة انكلترا ؟ اية امة اسست مستعمرات بقدر ما اسست انكلترا ؟ واية امه اكتشفت بلاداً مجهولة بقدر ما اكتشفت ، واية امة جاهدت فعلاً في سبيل المدنية والعمران مثل جهادها ، بل واية امة اعطت للامم دروساً بليغة في معاني الحرية الحقة

Digitized by Birzeit University Library

ابلغ مما فعلت ؟ ..»

اقف عندهذا الحدمن اظهار العامل الديني في اعمال رجال السياسةواقوال رجال الدين ، ويرى القاريْ عند الجميع تأثير الكتاب المقدس، واعتقاداً وطيداً متمكناً من جميع النفوس بأن الامة الانكليزية هي شعب الله الخاص قد اختارها الله لخير المدنية وسعادة البشر .

***

مقام الكتاب المقدس

من هذه الاقوالِ والاعمال

ان هذا الايمان الراسخ في القلوب قد وجد مبرراً للاقوال والاعمال بين صفحات الكتاب المقدس الذي ترفعه الامة الانكليزية فوق كل كتاب ، وهذه العقيدة بتلك المهمة الممتازة قد تقوت في نفس كل فرد من افراد الامة بفضل انتشار الكتاب القدس وتعميم تعاليمه .

اذا اردنا ان نعلم موضع هذه التعاليم من حياة الامة الانكليزية وفعلها في النفوس فما لنا الا ان نذكر كيف ان الحكومة نفسها قد سنت القوانين للدفاع عن الكتاب المقدس ، فاصبح القانون حامياً لتعاليمهِ ، فكان القانون الانكليزي حتى اوائل القرن التاسع عشر اي في عهد جورج الثالث يحكم على كل رجل يأبى الاعتقاد بأن الكتاب المقدس هو الكتاب المنزل باسقاطه

Digitized by Birzeit University Library

من كافة حقوقه المدنية ، واذا تكرر منه التظاهر بهذا الجحود كان يحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات .

وعملت العائلة والمدرسة على نشر تعاليم الكتاب المقدس ، فكان اول كتاب يقرأ فيه الطفل ، فيعتاد قرائته ثم تعاونه المدرسة على اتقانه .

وحتى يومنا هذا ، رغم وصول رجال هذه الامة الى ارقى درجات المدنية نجد بين شعرائهم من يقول :

« من يقاتل في سبيل انكلترا يقاتل في سبيل الله ،
ومن يموت لاجل انكلترا ينام قريباً من الله ! »

...

هذا هو العامل الديني الذي يسير هذه الامة في حياتها الداخلية . فهل ان هنالك من شك يخالج نفسك ايها القاري . ، بعدما علمته من قوة ايمانها بصدق دعوتها ، وبعدما شاهدته من رسوخ تعاليم الكتاب المقدس من نفوس افرادها ، إن هذه الامة تضع نصب عينيها القيام بواجبها فعلاً — اما الخطر الذي يتهددنا من وراء هذا العامل فهو بنسبة قوة هذا الاعتقاد الوطيد !

واذا كانت السياسة الانكليزية تسعى لافتتاح بلد أو احتلال ميناء مسوقة بعامل التجارة و الاقتصاد ، فهي تفعل ايضاً مسوقه بتنفيذ مهمتها الاخلاقية الدينية . وما دامت تعتقد انها وريثة ابناء إسرائيل ، لا تتأخر قط عن سلوك المناهج التي سلكها آباؤهم من قبلهم — ألم يقل الكتاب المقدس أن قبائل يهوذا وافرام ، اجداد العنصر السكسوني ، تلقوا من الله

Digitized by Birzeit University Library

امراً يقضي عليهم « باجتياح شواطئ فلسطين غرباً ، وبمقاتلة اهـل البلاد شرقاً » حتى يخضعوا اعدائهم ويحملوهم على الطاعة ؟ وهلا يشبه الانبياء القبائل « باسلحة الحروب وسيوف القتال» كأنهم في هجومهم على اعدائهم «جياد الوغى التي تدوس الاعداء كما تدوس اوحال الطريق ! »

يحاول اليوم الابناء ان يتمموا مهمة الآباء وهم يعتقدون ان الله امرهم بهذا ، ويجدون في هذا الايمان قوة جديدة فضلًا عن قوة اساطيلهم وجيوشهم وهم على يقين من ان الله يريـد عظمة بريطانيا وانه يرضى عن الوسائل التي تستعملها هذه لسحق اعدائها الذين هم اعداؤه لاسيما انهم يؤمنون بأن :

« من يقاتل في سبيل انكلترا يقاتل في سبيل الله ، ومن يموت لاجل انكلترا ينام قريباً من الله ! »

عسى ان اخواني ابناء الشرق ، الذين قضت الايام على بلادهم ، ان تكون طريقاً الى بلاد الهند الانكليزية ، ان يعيروا هذا الدرس الاهمية التي يستحقها لا سيما ان جميعهم يدينون بغير ما يدين بـه القابضون على مستقبل حياتهم القومية !

Digitized by Birzeit University Library

٣ - العامل السياسي

ونختم هذا السوآل الثاني بكلمة نقولها عن العامل السياسي ، ومما يجب ان يلفت انظـارنا هو ان جميع روٴساء الوزارات الذين تربعوا في دست الاحكام في انكلترا كانوا من الطبقة الاريستوقراطية ، وهم فريق الاشراف، وهم كوّنوا الاريستوقراطية السياسية الانكليزية . وهذه هي المالكة الحقيقية في بلاد الانكليز ، فقد حمت العرش وحافظت عليه من كافة الطواري. التي هددته ، كما انها احتفظت بادارة الاحكام وحصرتها بين ايديهـا ، لذلك يصح ان يقال ان ملك انكلترا يترأس لكنه لا يحكم .

اما الديموقراطية فلم تصعد الى كرسي الرئاسة ، واذا شاهدنا لها اثرًا في بعض مظاهر الحياة الانكليزية فهي لم تتوصل قط الى استلام مهمة السياسة في البلاد (ونحن نستثني بالطبع صعود حزب العمال واستلامـه زمام الامور في السنة المنصرمة) .

— فماذ كانت نتيجة انحصار الاعمال السياسية من فريق الاريستوقراطيين في بلاد الانكليز ؟

— اعطاوها شكلًا ثابتاً لا يزعزعـه تقلب الاحزاب وتباين عقائدهم الاجتماعية : انكلترا فوق كل شيء » ولذلك نرى تلك الوحدة في سياستهم

Digitized by Birzeit University Library

الخارجية التي لانشاهد ما يماثلها في غير بلاد الانكليز . وهذا ما يحملنا على ان نلخص السياسة الانكليزية الخارجية في كلمتين الثبات والعزلة ، الثبات وما يليه من قوة ومنعة وشدة ، والعزلة وما يليها من عدم الاهتمام بشؤون الغير والانانية والمنفعة ، لاسيما ان تدخل بريطانيا في شؤون اوروبا لم يكن إلا وسيلة ولم يصبح قط غاية من غاياتها ، وقد رأينا ان هذه الوسيلة من ورائها حفظ التوازن حتى لا تزعجها امة قوية في تنفيذ غاياتها الاساسية الا وهي : وجود زبائن ولو قهراً خارج انكلترا لمبادلة مصنوعاتها بما تحتاجه من زاد وقوت ، ومن وراء هذا الثروة والمال . . .

***

اريستوقراطية النسب واريستوقراطية المال

ان تعاظم الثروة في انكلترا وكثرة المتمولين بين هذه الامة التجارية الصناعية ، حمل فئة من اهل البلاد الى ابداء رأيهم في شؤون البلاد العامة. وقد رأينا ان الطبع الانكليزي يقدس الفوز ويجل الفائز ويحكم الرأي العام هناك حكمه على الرجل بما يشاهده فيه من جرأة وثبات . . .

ولما كان هذا الفريق النشيط يعمل على زيادة قوة بريطانيا ويقوم بواجبه نحو نفسه وبلاده ، استحق بفضل نشاطه وقوته ان يشاطر فريق الشرفاء حقوقهم ، هؤلاء جعلوا سيوفهم في خدمة بلادهم واولئك قدموا اليها قوة ثروتهم ونتيجة جدهم ، وكلا الفريقين يعملان لغاية واحدة : اعلاء شأن

Digitized by Birzeit University Library

بريطانيا العظمى .

انما اريستوقراطية النسب هي صاحبة الارض ، فعملت على انماء ثروتها ، واريستوقراطية المال هي وليدة الحركة الصناعية والتجارية في البلاد ، فاجتمعتا كتلة واحدة ووضعت الاولى يدها في يد الثانية فنشأت تلك الحكومة التي حصرت زمام الامور بين ايدي ارباب الثروة ، ولا نخطأ اذا قلنا ان نوع الحكومة في بلاد الانكليز هو من نوع « البلوتوكراسي » وهو تعبير يطلق على كل حكومة قبض الاغنياء على اعنتها .

• • •

شاهدت انكلترا اثناء القرن الثامن عشر نشاطاً من ابنائها نحو احتكار بعض الاسواق مثل الصوف والقطن ، ونحو التجارة مع بلاد الهند ، فرفعت هؤلاء الاغنياء الفاتحين الى مقام « اللوردية » . وعلى هذه الصورة حملهم فوزهم في تجارتهم الى اعلى درجة يمكن للانكليزي ان يحلم بها . فنذكر من هؤلاء بعض الذين سمع بهم القاريء اثناء مطالعته هذه الرسالة مثل بالمرستون وسالسبري ونزيد عليهم اللورد بوكنغام وبروك وواروبك وغيرهم . وهكذا اللورد براسي هو ابن توم براسي المتعهد الكبير لاعظم مشاريع السكك الحديدية في العالم ، كما ان اللورد وامبورن الذي يشارك الدوق ديفونشير في الشرف الاسمي باستقبال « صاحب الجلالة الملكية والامبراطورية » هو ابن صاحب اكبر معامل الحديد في مقاطعة غلامورغانشير ، وايضاً صاحبا معامل « البيرا » والكحول اللورد ايفاغ واللورد هندليب كان احدهما من حزب

Digitized by Birzeit University Library

الاحرار والآخر من المحافظين فقال عنهما المستر لاونس : « ان الدستور البريطاني يسبح فوق « البيرا » كما يسبح البط فوق الماء ! »[1]

وكثيراً غير هؤلاء قد توصلوا الى ان يكونوا من طبقة اريستوقراطية المال ، نعد منهم المتمولين اليهود مثل اللورد روتشيلد وكولد سميث وساسون اصحاب الاملاك العظيمة والمصانع والمصارف الكبرى .

ولا شك بأن هؤلاء الدخلاء قد استقبلتهم بادي ذي بدئ اريستوقراطية النسب بنوع من الفتور لكن هذا لم يلبث ان زال مع الوقت ، والمال عنوان النجاح والفوز ، عنوان الارادة والثبات قد اثر في طباع هذا القوم الذي يقدس الفوز ورضيت عنه روح الجماعة البريطانية .

قال لوجل :

« ان الطبع الانكليزي يرفع كل من يستحق الارتفاع ويعزز كل قوة ولا يحاول ان يعاند القدر او يصرف جهوده في غير موضعها . »

وقال ايضاً :

« يجب على ملك يسوع ان يؤسس في هذا العالم ، ويجب على كل شريعة ان تعطي ثمراتها حالاً والصالحون والقديسون الذين يؤمنون بالحقيقة ، يجب ان يكونوا اقوى الناس واحذقهم واسعدهم ، ولنقل بدون محاباة : واغناهم » .

ومن ينكر ان الثروة اذا حسن استعمالها هي الباب الوحيد الذي يمكن لصاحبه ان يسلكه للدخول الى الحياة العمومية والسيطرة على الشؤون السياسية .

---

(١) روى كل هذا الاستاذ باردو فاخذنا عنه بتصرف ما يناسب الموضوع .

Digitized by Birzeit University Library

في سبيل مجد بريطانيا العظمى

وبينما كانت تلك الاريستوقراطية المزدوجة ، ممقوتة في بلد غير انكلترا ، نراها في بلاد الانكليز موضوع الاحترام والاجلال وما ذلك الا لانها لم تكن في زمن من الازمان مصدراً للعداء او عنواناً للاستبداد والتغطرس . كما شوهدت في غير بلاد الانكليز ، في فرنسا مثلاً ، فاصبحت ابان الثورة حكومة ثانية وسط حكومة البلاد . فضلاً عن ان الاريستوقراطية ، كانت تخدم المصلحة العامة وتتشبث في سن القوانين التي من شأنها عمران البلاد وزيادة الحرية لاهل البلاد وتسهيل اسباب الرقي لهم ، فلم تكن تلك الاريستوقراطية ذات عقائد اجتماعية واحدة بل هنالك الاحرار والمحافظون وكلاهما من فريق الشرفاء. فسعوا مثلاً لتحقيق تعميم التعليم المجاني ، وتوسيع صلاحية الناخبين ، فكانوا موضوعاً للثقة .

وتزيد على هذا ان الطبع الانكليزي لا يطمع بادارة زمام الاحكام بنفسه في بلاده ، ويهمه قبل كل شيء ان تحترم التقاليد والعادات المتبعة ، والا يكون الحاكم عدواً لبعض القواعد الثابتة التي عليها يرتكز كيان سلطانهم . . . وكثيراً ما صرف الاغنياء الاموال الطائلة خدمة لرجل يتوسمون فيه الاهلية والاخلاص لبلاده ، لا خدمة لانفسهم او طمعاً بأن يكونوا هم الحكام دون سواهم ، وما ذلك الا لاعتقادهم بأن ذاك الرجل قد خصص نفسه للادارة والسياسة فاتخذها له مهنة واصبحت فيه ملكة .

Digitized by Birzeit University Library

وتعليل هذا ان قوة الارادة اذا تمكنت من النفوس لا تجعل لها مجالًا للحسد الذي ليس هو الا سلاح النفوس المستكينة، وما دامت الغاية من الاعمال العمومية هي اعلاء كلمة بريطانيا اصبح من المعقول ان يتولى هذا العمل من هو اهل له . وقد اتقنت الامة الانكليزية هذا الانتخاب حتى اصبحت السياسة عندها صناعة مثل بقية الصناعات .

وهذا ايضاً احد الاسباب التي جعلت هذه السياسة ذات وحدة لا تضعضع فيها ، واي مثال اقرب الى الاذهان من تقلب الاحزاب السياسية في انكلترا منذ انتهاء الحرب العامة من احرار ومحافظين وعمال ، وبقاء المرشال اللنبي في القطر المصري الممثل الدائم لجميع تلك الاحزاب المتناقضة العقائد : هذا مالا يرى في غير السياسة الانكليزية .

انما تلك الاريستوقراطية المؤلفة من شرفاء النسب وشرفاء المال هي ابعد من ان تؤيد مبادئ السلام في العالم ، ونعلم ان الفئة الاولى لم تغمد سيفها الا فترات قليلة من ١٦٨٨ الى ١٨١٥ وهذا العهد الطويل كان عصر سياستها الذهبي ، ثم لما اخذت الفئة الثانية ترى مجالا بين صفوف الاولى، تفاقمت الحال لا سيما ان هذه لا يهمها الا زيادة اموالها وتعزيز تجارتها ومصانعها ، وكلما هددتها المزاحمة الاجنبية رجعت الى نفوسها اميالها السابقة من ضرورة مقاومة هذا الخصم الجديد ، الذي يزاحمها في ما هو ركن لحياتها ، واحست ضرورة الاستعداد الى القتال وشهرت الحروب لوضع حدٍ لمزاحمته .

• • •

Digitized by Birzeit University Library

قال لوجل :

« لو لم يتهدد انكلترا اعداء كثيرون ولو لم تمس دوماً في عنصر حياتها الاساسي : قوتها اليومي ومشاغلها المنزلية ، لما رأيناها تشعر بالحاجة الى المحافظة على تلك الفئة التي اختصت بالشؤون السياسية فاتقنتها . فكانت حياتها « عراكاً دفاعياً » مستديماً سواء في اوروبا او في الهند والكندا وجزر الانتيل . ولو لم تكن دولة عظمى لما تمكنت من ان تكون شيئاً في الوجود . ولو لم تستطع ان تكون محترمة في كافة البحار لعجزت عن الدفاع عن شواطئ بلادها ، وعلى هذه الصورة اعتادت ان لا ترى في امم العالم قاطبة الا اعداء واخصاماً . »

اذا صدق لوجل ولا اخاله الا صادقاً ، لفتَ نظر اخواني القاطنين في طريق الهند الى الخطر الذي يتهددهم من جراء هذا العامل الاخير الذي اتقنته انكلترا اتقانها بقية الصناعات فخصصت له فئة للقيام بأعبائه وقد اعتقدت هذه الفئة سمو مهمتها وواجبها وهي تعمل في سبيل مجد بريطانيا العظمى .

Digitized by Birzeit University Library

خاتمة الكتاب

يذكر القاريء اني ادخلته الى تلك الدار الجديدة لرؤيتها ، وقد قراء فوق بابها : « الانتداب وروح السياسة الانكليزية » فشاهد فيها قسمين : الاول عرضت فيه قواعد السياسة الانكليزية العامة فجاء في ستة فصول ، ستة مخادع ان احب ، رأى في الاول عن يمينه تطاحن الاحزاب في بلاد الانكليز واختلاف عقائدهم ، ورأى عن شماله وحدة اعمالهم السياسية خارج بلادهم ، واستندت اعمالهم هذه الى اربع قواعد . — دخلنا بعدئذ الغرفة الثانية ، وشاهدنا طرق البحار وكيف امنها الانكليز لانفسهم ، — ثم توجهنا الى طريق الهند ، وهي اهم ما في الدار لعلاقتها الماسة بحياة بلادنا ، فكانت شاقة وعرة : فمن جزر البحر المتوسط ، الى مصر الى بلاد العرب ، وعلاقة الانكليز بأمراء الجزيرة وسلاطينها ، الى دخولهم العراق وقبضهم على اعناق اخواننا في سوريا الشمالية ، وشاهدنا كيف ان رقابهم تتسرأب الى ما تبقى من البلاد — ولما انتهينا من هذه الطريق وصلنا الى الهند ، تلك الامبراطورية العظمى التي رأينا فيها معرضاً لثروتها وصوراً لاهلها وفرقها وامرائها ، ثم حقيقة

Digitized by Birzeit University Library

موقفها الحاضر واهمية البلاد في نظر السادة البريطانيين . — ومن هناك دخلنا الغرفة الخامسة حيث شاهدنا القاعدة الثالثة وكيف ان الانكليز ينظرون الى اقرب الشواطئ اليهم ... واخيراً علمنا شيئاً عن نظريتهم في معنى التوازن الاوروبي .

اما القسم الثاني ، فوقع في ثلاثة فصول في كل منها صور دقيقة عن روح الرجل الانكليزي وصفات سياسته والعوامل التي تسيره في علاقاته : — هذه هي الدار !

ماذا كان تأثير هذه الزيارة علينا ؟

نغادر الدار ونحن على اعتقاد جازم بوجود خصم قوي ، بل عدو نشيط لا يستهان به ، وهو مضطر الى ان يكون بعلاقته دائماً معنا ولا يهمه في هذه العلاقات الا منافعه الذاتية ، وهو اذا حافظ علينا فما ذلك الا ليستفيد : يسمن الكبش ليذبحه ويدري خطر الجوع !

ونحن القاطنين في طريق الهند ، الساعين لتحقيق حياة قومية حرة ، نرى في سبيلنا ذاك الخصم وهو عدو لكل امة قوية تود ان تنصب نفسها في طريق الهند : هذه هي القضية التي يجب ان نضعها دوماً نصب اعيننا ! فهل للمشتغلين بالسياسة الساعين حقاً لخدمة اهل البلاد ان يذكروا هذا في كل علاقة من علاقاتهم مع ابناء الجزر البريطانية اسياد البحار ، وحرس طريق الهند ؟ !

***

Digitized by Birzeit University Library

ملحق

١ — المعاهدة العراقية النجدية .

٢ — صك الانتداب على فلسطين .

٣ — معاهدة سايكس بيكو .

***

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

المعاهدة العراقية النجدية (١)

من جلالة الملك الى الشعب

— بلاغ —

انشر اليوم على شعبي المحبوب نص المعاهدة المعقودة بيني وبين صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى ولقد اعترض سير المفاوضات التي دارت بين مندوبينا نحوا من عشرة اشهر مصاعب جمة تمكنا في النهاية بفضل حسن النوايا والثقة المتبادلة من التغلب عليها والوصول الى هـذا الحل المرضي . واني لا اشك في ان شعبي سيقدر اهمية هذه المعاهدة والخطوة الواسعة التي خطوناها في سبيل تحقيق امانينا القومية وسيزداد تمسكاً بصداقة حليفتنا الكبرى بريطانيا العظمى اذ ان دوام صداقتها مسألة حيوية لصيانة استقلال هـذه المملكة وتأمين رقيها الاقتصادي والعمراني . فالمعاهـدة كما هو واضح في نصوصها بنيت على اسس المنافع والمصالح المتبادلة وكما اننا اخذنا على انفسنا ان نحترم

(١) نقلا عن جريدة « العراق » في ١٣ تشرين الاول ١٩٣٢

Digitized by Birzeit University Library

عهود بريطانيا العظمى ومصالحها الدولية فانها تعهدت بمعاونتنا واعترفت باستقلالنا السياسي وباحترام سيادتنا الوطنية وجميع الاتفاقيات التي تتفرع عن المعاهدة ستبنى على اساس هذه المبادئ ولم يبق علينا الا ان نباشر بالانتخاب لجمع المجلس التأسيسي ووضع القانون الاساسي وبذلك نخطو خطوتنا الثانية ونتقدم الى جمعية الامم طالبين بمساعدة حليفتنا قبولنا في عضويتها اسوة بسائر الدول . فاستفز شعبي الى موازرة حكومته بتأييد النظام داخل المملكة ومساعدتها على انفاذ القوانين وادعوه الى اختيار النواب الصالحين لتمثيل ارادة الامة تمثيلاً حقيقياً قارنين ذلك بالثقة والولاء للامة والحكومة البريطانية المعترفة الان وحدها بكياننا السياسي والتي اخلصت لنا ووعدت بمساعدتنا على دخول جمعية الامم وتحقيق امانينا القومية .

والان وقد عقدت المعاهدة فالادارة الداخلية اصبحت منوطة بي وبحكومتي وبشعبي فنحن جميعاً والحمد لله كتلة واحدة يشدها شعورنا القوي بالمسؤولية عن مستقبل البلاد وسعادتها والقوات البريطانية التي كانت مشتركة معنا في المسؤولية هي اليوم قوة حليف مخلص موازر لنا ضمن شروط المعاهدة ضد كل من يريد العبث باستقلالنا ونحن نستمد من الله في اتباع سياسة اخلاص ووئام تجاه مجاورينا متوخين توطيد المحبة والسلام بين كافة هذه الاقطار والله ولي التوفيق .

بغداد في ٢١ صفر سنة ١٣٤١ و ١٣ تشرين الاول سنة ١٩٢٢

فيصل

Digitized by Birzeit University Library

وهذا نص المعاهدة :

المعاهدة

بين

صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة العراقية

جلالة ملك بريطانيا من الوجهة الواحدة وجلالة ملك العراق من الوجهة الاخرى

بما ان جلالة ملك بريطانيا قد اعترف بفيصل بن الحسين ملكاً دستورياً على العراق ، وبما ان جلالة ملك العراق يرى من مصلحة العراق ومما يؤول الى تأمين سرعة تقدمها ان يعقد مع جلالة ملك بريطانيا معاهدة على اسس التحالف .

وبما ان جلالة ملك بريطانيا قد اقتنع بان العلاقات بينه وبين جلالة ملك العراق يمكن تحديدها الان باحسن وجه وهو عقد معاهدة تحالفية كهذه تفضيلاً لها على اية وسيلة اخرى .

فبناء على ذلك قد عين المتعاقدان السامیان وكيلين لهما مفوضين لاجل القيام بهذا الغرض وهما :

من قبل جلالة ملك المملكة المتحدة بريطانيا العظمى وايرلاندا والممتلكات البريطانية وراء البحار وامبراطور الهند :

السير برسي زكريا كوكس دجي . سي ام . دجي . دجي . سي . آي . آي .

Digitized by Birzeit University Library

كى. سي. آس. آي. المعتمد السامي والقنصل جنرال لجلالة ملك بريطانيا في العراق .

ومن قبل جلالة ملك العراق

صاحب السماحة والفخامة السير السيد عبد الرحمن افندي دجي. بي. اي. رئيس الوزراء ونقيب اشراف بغداد .

اللذان بعد ان تبلغ كل منهما اوراق اعتماد الاخر ووجدها طبقاً للاصول الصحيحة المرعية قد اتفقا على ما يأتي :

— المادة ١ —

بناء على طلب جلالة ملك العراق يتعهد جلالة ملك بريطانيا بان يقدم في اثناء مدة هذه المعاهدة مع التزام نصوصها ما يقتضي لدولة العراق من المشورة والمساعدة بدون ان يمس ذلك بسيادتها الوطنية .

يمثل جلالة ملك بريطانيا في العراق بمعتمد سام وقنصل جنرال تعاونه الحاشية الكافية .

— المادة ٢ —

يتعهد جلالة ملك العراق بان لا يعين مدة هذه المعاهدة موظفاً ما في العراق من تابعية غير عراقية في الوظائف التي تقتضي ارادة ملكية بدون موافقة جلالة ملك بريطانيا . وستعقد اتفاقية منفردة لضبط عدد الموظفين البريطانيين وشروط استخدامهم على هذا الوجه في الحكومة العراقية .

Digitized by Birzeit University Library

— المادة ٣ —

يوافق جلالة ملك العراق على ان ينظم قانوناً اساسياً ليعرض على المجلس التأسيسي العراقي ويكفل تنفيذ هذا القانون الذي يجب ان لا يحتوي على ما يخالف نصوص هذه المعاهدة وان يأخذ بعين الاعتبار حقوق ورغائب ومصالح جميع السكان القاطنين في العراق ويكفل للجميع حرية الوجدان التامةوحرية ممارسة جميع اشكال العبادة بشرط ان لا تكون مخلة بالاداب والنظام العموميين وكذلك يكفل ان لا يكون ادنى تمييز بين سكان العراق بسبب قومية او دين او لغة ويؤمن لجميع الطوائف عدم نكران او مساس حقها بالاحتفاظ بمدارسها لتعليم اعضائها بلغاتها الخاصة على ان يكون ذلك موافقاً لمقتضيات التعليم العامة التي تفرضها حكومة العراق . ويجب ان يعين هذا القانون الاساسي الاصول الدستورية تشريعية كانت او تنفيذية التي ستتبع في اتخاذ القرارات في جميع الشؤون المهمة بما فيها الشؤون المرتبطة بمسائل الخطط المالية والنقدية والعسكرية .

— المادة ٤ —

يوافق جلالة ملك العراق وذلك من غير مساس بنصوص المادتين ١٧ و ١٨ من هذه المعاهدة على ان يستدل بما يقدمه جلالة ملك بريطانيا من المشورة — بواسطة المعتمد السامي — في جميع الشؤون المهمة التي تمس بتعهدات ومصالح جلالة ملك بريطانيا الدولية والمالية وذلك طول مدة هذه المعاهدة .

Digitized by Birzeit University Library

ويستشير جلالة ملك العراق المعتمد السامي الاستشارة التامة في مايؤدي الى سياسة مالية ونقدية سليمة ويؤمن ثبات وحسن نظام مالية حكومة العراق ما دامت تلك الحكومة مدينونة لحكومة جلالة ملك بريطانيا .

— المادة ٥ —

لجلالة ملك العراق حق التمثيل السياسي في لندن وغيرها من العواصم والاماكن الاخرى مما يتم عليها الاتفاق بين الفريقين الساميين المتعاقدين وفي الاماكن التي لا تمثل فيها لجلالة ملك العراق يوافق جلالته على ان يعهد الى جلالة ملك بريطانيا بحماية الرعايا العراقيين فيها وجلالة ملك العراق هو الذي يصدر التصديق على اوراق اعتماد ممثلي الدول الاجنبية في العراق بعد موافقة جلالة ملك بريطانيا على تعيينهم .

— المادة ٦ —

يتعهد جلالة ملك بريطانيا بان يسعى بادخال العراق في عضوية جمعية الامم في اقرب ما يمكن .

— المادة ٧ —

يتعهد جلالة ملك بريطانيا بان يقدم من الامداد والمساعدة لقوات جلالة ملك العراق المسلحة مايتفق عليه من وقت الى اخر الفريقان المتعاقدان الساميان وتعقد بينهما اتفاقية منفردة لتعيين مقدار هذا الامداد وهذه المساعدة وشروطها وتبلغ هذه الاتفاقية الى مجلس جمعية الامم .

Digitized by Birzeit University Library

— المادة ٨ —

لايتنازل عن اراض ما في العراق ولا توءجر الى اية دولة اجنبية ولاتوضع تحت سلطتها باي طريقة كانت . الا ان هذا لا يمنع جلالة ملك العراق من ان يتخذ ما يلزم من التدابير لاقامة الممثلين السياسيين الاجنبيين ولاجل القيام بمقتضيات المادة السابقة .

— المادة ٩ —

يتعهد جلالة ملك العراق بقبول الخطة الملائمة التي يشير بها جلالة ملك بريطانيا ويكفل تنفيذها في امور العدلية لتأمين مصالح الاجانب بسبب عدم تطبيق الامتيازات والصيانات التي كان يتمتع بها هوءلاء بموجب الامتيازات الاجنبية او العرف ويجب ان توضع نصوص هـذه الخطة في اتفاقية منفردة وتبلغ الى مجلس جمعية الامم .

— المادة ١٠ —

يوافق الفريقان الساميان المتعاقدان على عقد اتفاقات منفردة لتأمين تنفيذ المعاهدات والاتفاقيات او التعهدات التي قد تعهد جـلالة ملك بريطانيا بان تكون نافذة فيما يتعلق بالعراق وجـلالة ملك العراق يتعهد بان يهيء المواد التشريعية اللازمة لتنفيذها . وتبلغ هذه الاتفاقيات الى مجلس جمعية الامم .

— المادة ١١ —

يجب ان لا يكون ميزة ما في العراق للرعايا البريطانيين او لغيرهم من

Digitized by Birzeit University Library

رعايا الدول الاجنبية الاخرى على رعايا اية دولة هي عضو في جمعية الامم او رعايا اية دولة مما قد وافق جلالة ملك بريطانيا بموجب معاهدة على ان يضمن لها عين الحقوق التي قد تتمتع بها فيما لو كانت من ضمن اعضاء الجمعية المذكورة (وتشمل كلمة رعايا الدولة الشركات المؤلفة بموجب قوانين تلك الدولة) في الامور المتعلقة بالضرائب او التجارة او الملاحة او ممارسة الصنائع والمهن او معاملة السفن التجارية او السفن الهوائية الملكية . وكذلك يجب ان لا يكون ميزة ما في العراق لدولة ما من الدول المذكورة على الاخرى فيما يتعلق بمعاملة البضائع الصادرة منها او المصدرة اليها . ويجب ان تطلق حرية مرور البضائع وسط اراضي العراق بموجب شروط عادلة .

— المادة ١٢ —

لا تتخذ وسيلة ما في العراق لمنع اعمال التبشير او للمداخلة فيها او لتمييز مبشر ما على غيره بسبب اعتقاده الديني او جنسيته على ان لا تخل تلك الاعمال بالنظام العام وحسن ادارة الحكومة .

— المادة ١٣ —

يتعهد جلالة ملك العراق بأن يساعد بقدر ما تسمح له الاحوال الاجتماعية والدينية وغيرها على تنفيذ كل خطة عامة تتخذها جمعية الامم لمنع الامراض ومقاومتها ويدخل في ذلك امراض النبات والحيوان .

Digitized by Birzeit University Library

— المادة ١٤ —

يتعهد جلالة ملك العراق بان يتخذ الوسائل اللازمة لسن نظام الاثار القديمة في خلال اثنى عشر شهراً من تاريخ العمل بهذه المعاهدة ويكفل تنفيذه ويكون هذا النظام مؤسساً على القواعد الملحقة بالمادة ٤٢١ من معاهدة الصلح الموقع عليها في سيفر في ١٠ اغسطس سنة ١٩٢٠ فيقوم مقام النظام العثماني السابق للاثار القديمة ويضمن المساواة في مسائل تحري الاثار القديمة بين رعايا جميع الدول من اعضاء جمعية الامم ورعايا اية دولة اقد وافق جلالة ملك بريطانيا بموجب معاهدة على ان يضمن لها عين الحقوق التي قد تتمتع بها فيما لو كانت من ضمن اعضاء الجمعية المذكورة .

— المادة ١٥ —

تعقد اتفاقية منفردة لتسوية العلاقات المالية بين الفريقين المتعاقدين السامين ينص فيها من جهة على تسليم حكومة جلالة ملك بريطانيا الى حكومة العراق ما يتفق عليه من المرافق العمومية وعلى تقديم حكومة جلالة ملك بريطانيا مساعدة مالية حسبما تقتضيه الحاجة في العراق من وقت الى آخر وينص فيها من جهة اخرى على تصفية حكومة العراق تدريجياً جميع الديون المتكبدة في هذا السبيل وتبلغ هذه الاتفاقية الى مجلس جمعية الامم

— المادة ١٦ —

يتعهد جلالة ملك بريطانيا على قدر ما تسمح له تعهداته الدولية بان لا

Digitized by Birzeit University Library

يضع عقبة ما في سبيل ارتباط دولة العراق لمقاصد كركية او غيرها مع من يرغب في ذلك من الدول العربية المجاورة .

— المادة ١٧ —

في حالة وقوع خلاف ما بين الفريقين الساميين المتعاقدين فيما يتعلق بتفسير نصوص هذه المعاهدة يعرض الامر على محكمة العدل الدولي الدائمة المنصوص عليها في المادة ١٤ من عهد جمعية الامم . واذا وجد في حالة كهذه ان هنالك تناقضاً في المعاهدة بين النص الانكليزي والنص العربي يعتبر النص الانكليزي النص المعول عليه .

— الماده ١٨ —

تصبح هذه المعاهدة نافذة العمل حالما تصدق من قبل الفريقين الساميين المتعاقدين بعد قبولها من المجلس التأسيسي وتظل معمولا بها لمدة عشرين سنة. وعند انتهاء هذه المدة تفحص الحالة فاذا ارتأى الفريقان الساميان المتعاقدان ان لم يبق من حاجة اليها يصير انهاؤها ويكون امر الانهاء عرضة للتثبت من قبل جمعية الامم ما لم تدخل المادة السادسة في حيز التنفيذ قبل ذلك التاريخ وفي الحالة الاخيرة يجب ان يبلغ اشعار الانهاء الى مجلس جمعية الامم . ولا مانع للفريقين الساميين المتعاقدين من اعادة النظر من وقت الى اخر في شروط هذه المعاهدة وشروط الاتفاقيات المنفردة الناشئة عن المواد ٧ و ١٠ و ١٥ بقصد ادخال مايتراءى مناسبته من التعديلات حسبما تقتضيه الظروف الراهنة آنئذ .

Digitized by Birzeit University Library

وكل تعـديل يتفق عليه الفريقان المتعاقدان الساميان يجب ان يبلغ مجلس جمعية الامم .

يجب ان تتبادل تواقيع التصديق في بغداد . قد وضعت هذه المعاهدة بالانكليزية والعربية وستبقى صورة منها بكل من اللغتين مودعة في خزانة سجلات الحكومة العراقية وكذلك صورة بكل من اللغتين في خزانة سجلات حكومة جلالة ملك بريطانيا وللبيان قد وقع الوكيلان المفوضان المختصان هذه المعاهدة واثبتا ختميهما عليها .

عملت في بغداد عن نسختين اثنتين في اليوم العاشر من شهر تشرين الاول سنة الف وتسعمائة واثنتين وعشرين مسيحية الموافق لليوم التاسع عشر من شهر صفر سنة الف وثلثمائة واربعين هجرية .

عبد الرحمن
نقيب اشراف بغداد
ورئيس وزراء الحكومة العراقية

P .Z.COX
المعتمد السامي
لجلالة ملك بريطانيا في العراق

Digitized by Birzeit University Library

صك الانتداب على فلسطين (١)

ان مجلس عصبة الامم :

بناء على اتفاق الدول المتحالفة الكبرى بجعل ما جاء في البند الثاني والعشرين من صك عصبة الامم مرعي الاجراء. وذلك بتفويض دولة منتدبة تنتخبها الدول المذكورة لادارة اراضي فلسطين التي كانت سابقاً جزءاً من المملكة العثمانية بحدودها التي ستعينها الدول المذكورة .

وبناء على ما اتفقت عليه الدول المتحالفة الكبرى من جعل الحكومة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ التصريح التي فاهت به لاول مرة الحكومة البريطانية في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ والذي قُبل من الدول المذكورة والقائل بأن يؤسس في فلسطين وطن قومي للشعب اليهودي ، مع الاعتبار ان لا يقام بعمل من شأنه هضم الحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية في أي بلد آخر .

---

(١) عربه المؤلف عن الاصل الرسمي الفرنسوي كما رواه السيو بول بيك كتابه « سوريا وفلسطين »

Digitized by Birzeit University Library

وبناء على ان هـذا التصريح يقضي بالاعتراف بوجود علاقات تاريخية للشعب اليهودي في فلسطين وبأسباب تشييد وطن قومي له في هذا البلد .

وبناء على انتخاب الدول المتحالفة صاحب الجلالة البريطانيه منتدباً على فلسطين وبناء على تقديم صك الانتداب بشكله الحاضر الى مجلس عصبة الامم للتصديق عليه .

وبناء على قبول صاحب الجلالة البريطانية امر الانتداب على فلسطين وتعهده بالقيام به باسم عصبة الامم وحسب الشروط الآتية .

وبناء على ما جاء في اصل المادة ٢٢ (القسم الثاني) ، فقد ذكر ان درجة السلطة او المراقبة او الادارة التي يجب على المنتدب ان يجريها اذا لم يتفق عليها في معاهدة سابقة بين اعضاء العصبة، على مجلس العصبة ان يحدد هذه الامور .

ان مجلس عصبة الامم مؤيداً الانتداب المذكور ، قرر ما يأتي :

— المادة ١ —

يكون للمنتدب صلاحية تشريعية وادارية مطلقة مع اعتبار الحدود التي تعينها مواد هذا الانتداب .

— المادة ٢ —

يأخذ المنتدب على عاتقه ، تأسيس شكل سياسي واداري واقتصادي في البلاد من شأنه اقامة وطن قومي للشعب اليهودي ، بحسب ما صرحت بذلك المقدمة ، وان يسهر ايضاً على تأسيس حكومة حرة ، وان يحمي حقوق سكان

Digitized by Birzeit University Library

فلسطين المدنية والدينية لأي عنصر او دين انتسبوا .

— المادة ٣ —

على المنتدب ان يعضد الاستقلال الاداري المحلي بمقدار ما تسمح له الاحوال .

— المادة ٤ —

يعترف رسمياً بتشكيل هيئة يهودية لائقة ويكون لها الحق بأن تصدر ملاحظاتها في شؤون ادارة فلسطين ، وتعاونها في جميع المسائل الاقتصادية والاجتماعية وسواها من الامور التي تتعلق بتأسيس وطن قومي يهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين ، وذلك دوماً مع اعتبار مراقبة الحكومة . وهذه الهيئة تعاون وتشترك في ترقية البلاد .

تعتبر اللجنة الصهيونية تلك التي تشير اليها المادة اعلاه لكن ذلك يكون رهن رأي المنتدب الذي يحكم فيما اذا كان نظامها وتأسيسها مناسباً ، وهذه اللجنة الصهيونية ، تتخذ بالاتفاق مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية جميع الوسائل اللازمة لتأمين الاعمال المشتركة لجميع اليهود الذين يرغبون في تأسيس وطن قومي يهودي .

— المادة ٥ —

يتعهد المنتدب بحفظ فلسطين من كل خسارة او عقد ايجار يطرأ على البلاد او على قسم منها ويحفظها من تدخل كل مراقبة دولة اجنبية .

Digitized by Birzeit University Library

— المادة ٦ —

تسهل حكومة فلسطين الهجرة اليهودية في شروط موافقة وبالاتفاق مع اللجنة الصهيونية المذكورة في المادة الرابعة مع السهر على صيانة حقوق واحوال سكان البلاد الاخرى ، وهي تشجع اقامة اليهود بكثرة في اراضي البلاد وتدخل في هـذه الاراضي املاك الحكومة والاراضي غير المزروعة التى لا تستخدمها الدوائر العمومية .

— المادة ٧ —

تأخذ حكومة فلسطين على عاتقها سن قانون الجنسية . وهـذا القانون يتضمن شروطاً من شأنها تسهيل كسب الجنسية الفلسطينية لليهود الذين يقدمون الى فلسطين للسكنى بصورة دائمة .

— المادة ٨ —

الامتيازات والمنعة الاجنبية بما فيها القضاء والحماية القنصلية كما كانت سابقاً معتبرة الاجراء في المملكة العثمانية بفضل الامتيازات الخاصة تكون ملغاة في فلسطين .

الا اذا كانت الدول التي كانت رعاياها تتمتع بتلك الامتيازات والمنعة في اول آب سنة ١٩١٤ ولم تتنازل عن اعادة هذه الامتيازات والمنعة او لم تقبل بعدم تطبيقها مدة من الزمن ، تصبح هـذه عند انتهاء الانتداب وبلا تأخير معادة كما كانت عليه او مع التغيير الذي تتفق عليه الدول ذات المصالح

Digitized by Birzeit University Library

— المادة ٩ —

ويأخذ المنتدب على عاتقه تبعة السهر على انشاء نظام قضائي في فلسطين يضمن للغرباء وسكان البلاد صيانة حقوقهم التامة .

وسيكون احترام نظام الاحوال الشخصية للشعوب والطوائف المختلفة واحترام حقوقهم الدينية مضمونين تماماً ، وعلى المنتدب بوجه خاص ان يقوم بمراقبة ادارة الاوقاف وفقاً للقوانين الدينية ومشيئة المؤسسين .

— المادة ١٠ —

ان معاهدات تسليم المجرمين المعمول بها الآن بين المنتدب والدول الاجنبية الاخرى ستظل نافذة حتى ولو تقررت اتفاقات تسليم المجرمين الخاصة .

— المادة ١١ —

تأخذ ادارة فلسطين كل التدابير لحماية مصالح الدين التي تتعلق بتقدم البلاد مع الاحتفاظ بالعهود الدولية التي قبلها المنتدب ولها السلطة المطلقة لتقرير ما تريد تقريره بشأن الملكية او مراقبة موارد البلاد الطبيعية واعمال ومصالح المنفعة العامة التي انشئت او ستنشأ مراقبة عامة ، وستدخل نظاماً زراعياً يلائم حاجة البلاد مع اعتبار المنافع التي تجدهـا في تنشيط استعمار الاراضي وحراثتها بكل جد واجتهاد .

وادارةً تستطيع في الحالة التي لا تعمل فيها مباشرة ان تتفق مع الهيئة اليهودية المنصوص عنها في المادة الرابعة للقيام او لاستثمار سائر الاعمال والمصالح

Digitized by Birzeit University Library

ذات المنفعة العامة ولانماء سائر موارد البلاد الطبيعية بشروط عادلة وحقة ·
وفي هذه الاتفاقات يتم الاتفاق على انه يجب الا تتجاوز الارباح الموزعة مباشرة او غير مباشرة من لدن تلك الهيئة معدلاً معقولاً من الفائدة على رأس المال ، وكل زيادة تحصل من الارباح تستخدم من لدن الهيئة نفسها في سبيل مصلحة البلاد بطريقة توافق عليها الادارة ·

— المادة ١٢ —

ان علاقات فلسطين الخارجية بما فيها قبول تعيين قناصل الدول الاجنبية تكون من صلاحية المنتدب ويكون للمنتدب الحق بالحماية السياسية والقنصلية للفلسطينيين القاطنين خارج فلسطين ·

— المادة ١٣ —

يأخذ المنتدب على عاتقه مع اعتبار النظام والراحة العمومية مسألة الاماكن المقدسة والابنية والمحال الدينية في فلسطين كما انه يحمي الحقوق المكتسبة ويؤمن حرية الاماكن المقدسة والابنية والمحال الدينية ، ولا يكون مسؤولا عن جميع القضايا التي تتعلق بها الا تجاه عصبة الامم ، مع الاعتبار ان لا شيء في هذه المادة يمنع المنتدب من ان يتفق مع الحكومة على ما يراه ضرورياً لاجل تنفيذ ما تتضمنه هذه المادة ، ومع الاعتبار ان لا تفسر مواد هذا الصك بطريقة تسمح للمنتدب ان يمس الاماكن او ان يتدخل في ادارة المؤسسات الاسلامية البحتة المحمية امتيازاتها .

Digitized by Birzeit University Library

— المادة ١٤ —

ستعين الدولة المنتدبة لجنة خاصة لدرس وتعريف وتنظيم كافة الحقوق والمطاليب المختصة بالاماكن المقدسة والعائدة الى عموم الطوائف الدينية في فلسطين وستعرض شكل تعيين اعضاء اللجنة وتأليفها وصلاحيتها على مجلس عصبة الامم للمصادقة ولا تتعين اللجنة ولا تقوم بأعمالها قبل هذا التصديق .

— المادة ١٥ —

يمنح المنتدب للجميع حرية الاديان التامة وحرية القيام بالمراسيم الدينية التي تتفق مع الامن العام والعادات الحسنة ، ولن يكون ادنى تمييز في المعاملة بين سكان فلسطين لفروق في العناصر او الاديان او اللغات ولا يطرد احد من فلسطين بسبب معتقده الديني .

ولا تمس حقوق الطوائف بأبقاء مدارسها لاجل تربية وتعليم ابنائها بلغتهم الخاصة بشرط ان تخضع هذه المدارس لانظمة المعارف العمومية التي تحددها الحكومة .

— المادة ١٦ —

على المنتدب ان يؤمن للموسسات الدينية والخيرية المختصة بجميع الطوائف في فلسطين المراقبة الضرورية التي يقتضيها الامن العام والادارة الحسنة ، وما عدا هذه المراقبة لا يمكن ان يتخذ في فلسطين اقل تدبير من شأنه عرقلة اعمال تلك المؤسسات او من شأنه التدخل في تلك الاعمال . ولا

Digitized by Birzeit University Library

يجوز ان يجعل ادنى تمييز بين ممثلي او اعضاء هذه المؤسسات بسبب دينهم او جنسيتهم .

— المادة ١٧ —

تقدر حكومة فلسطين ان تنظم بواسطة المتطوعين القوى اللازمة لحفظ السلام والنظام والدفاع عن البلاد بمراقبة المنتدب . لكن لا يحق للحكومة ان تستعمل هذه القوى لغاية غير التي ذكرناها الا بأذن من المنتدب ، ولا تجمع حكومة فلسطين قوى حربية او بحرية او جوية الا للغاية المذكورة .

ليس في هذه المادة ما يمنع حكومة فلسطين من الاشتراك بمصاريف القوى الحربية التي يبقيها المنتدب في فلسطين .

للمنتدب الحق في كل زمن ان يستعمل الموانئ والسكك الحديدية ووسائل النقل في فلسطين لاجل مرور القوى المسلحة ونقل العدات والذخائر .

— المادة ١٨ —

على المنتدب ان لا يقوم بعمل في فلسطين من شأنه ان يجعل ادنى فرق بين رعايا اية حكومة من الحكومات الداخلة في عصبة الامم (ومنها الشركات المؤسسة بحسب شرائع هذه الحكومة) وبين رعايا الحكومة المنتدبة او اية حكومة اخرى سواء كان في مسائل الضرائب او التجارة او الملاحة او الاعمال الصناعية او المهن الحرة او في المعاملة الممنوحة الى البواخر التجارية والطيارات المدنية . كما انه لا يقام في فلسطين بأي عمل يميز البضاعة الصادرة

Digitized by Birzeit University Library

من الحكومات المذكورة او الواردة منها . ويكون مرور البضاعة حراً في الاراضي الواقعة تحت الانتداب ومنظماً بشروط عادلة .

وماعدا هذه الشروط المعينة اعلاه وغيرها من التي يعينها الانتداب ، تقدر حكومة فلسطين عملاً بنصيحة المنتدب ان تسن الضرائب و الرسوم الجمركية التي تراها اكثر ملائمة لتأمين انماء ثروة البلاد الطبيعية وحماية مصالح السكان المحليين ، وتقدر ايضاً عملاً بمشورة المنتدب ان تعقد اتفاقاً جمركياً خاصاً مع اية حكومة من الحكومات التي كانت اراضيها عام ١٩١٤ جزءاً واحداً من تركيا الاسيوية او بلاد العرب .

— المادة ١٩ —

يجب على المنتدب ان ينضم بأسم حكومة فلسطين الى كافة المعاهدات الدولية العامة التي انعقدت او ستنعقد بتصديق عصبة الامم في المسائل الاتية : المتاجرة بالرقيق ، تجارة الاسلحة والذخائر ، تجارة المخدرات ، المساواة التجارية ، حرية مرور البضائع ، حرية الملاحة ، المواصلات الجوية ، البريد ، البرق السلكي او اللاسلكي ، حماية ملكية المصنفات الادبية او الفنية او الاختراعات الصناعية .

— المادة ٢٠ —

يشترك المنتدب بقدر ما تسمح له الاحوال الاجتماعية والدينية وسواها وبأسم حكومة فلسطين بالتدابير العائدة للمنفعة العمومية التي تتخذها عصبة

Digitized by Birzeit University Library

الامم لاجل منع او مقاومة الامراض ، حتى امراض الحيون والنبات .

— المادة ٢١ —

يسنّ المنتدب قانوناً الاثار القديمة ويسعى لتطبيقه في مدة اثني عشر شهراً اعتباراً من تاريخ اليوم ، وحسب الشروط التي تلي ، ويؤمن هـذا القانون لرعايا جميع اعضاء عصبة الامم المساواة في المعاملة في شؤون البحث والحفر الاثري .

١ — « الآثار » هي كل عمل او انتاج قام بين الجهد الانساني قبل سنة ١٧٠٠ .

٢ — يجب ان يكون قانون حماية الاثار القديمة مستنداً الى وسائل التشجيع لا الى التهديد .

كل شخص يكتشف اثراً قديماً بدون ان يكون لديه الصفة التي يعرفها البند الخامس وينبئ السلطة ذات الصلاحية عن اكتشافه ، يعطى مكافأة بنسبة قيمة اكتشافه .

٣ — لا يجوز بيع اثر قديم الا ا

هذه شرائها . ولا يجوز اخراج اي اثر قديم من البلاد بدون اذن تمنحه السلطة المذكورة .

٤ — كل شخص يتلف او يفسد اثراً قديماً باهماله او بتعمد منه يغرم بجزاء معين .

Digitized by Birzeit University Library

٥ — كل تنقيب او حفر لتفقد الاثار القديمة ممنوع ، ويقع من يقوم به تحت طائلة الجزاء النقدي ما لم يكن حاملاً اذناً من السلطة ذات الصلاحية.

٦ — تعين شروط عادلة تسمح بامتلاك الاراضي التي لها اهمية تاريخية او اثرية ، سواء كان هذا الامتلاك بصورة دائمة اوموقتة .

٧ — لا يمنح اذن باجراء التحري الا لاشخاص يقدمون ضمانة كافية تنطق بمعرفتهم بشؤون الاثار القديمة ولا يجب على حكومة فلسطين بمنحها الاذن ان تسلك سبيلاً من شأنه حرمان علماء اي امة بدون مسوغ .

٨ — يمكن توزيع نتائج الحفر بين الاشخاص الذين يولجون امر الحفر وبين السلطة ذات الصلاحية بنسبة تحددها هذه الاخيرة ، واذا تعذر التوزيع لسبب فني ، يجب ان يعطى الى المكتشف تعويضاً معادلاً للقسم الذي يناله من نتيجة الحفر .

— المادة ٢٢ —

الانكليزية والعربية والعبرانية تكون اللغات الرسمية لفلسطين وكل عبارة او اشارة عربية توضع على التمغة او على العملة توضع ايضاً باللغة العبرانية والعكس بالعكس .

— المادة ٢٣ —

تعتبر حكومة فلسطين ايام الاعياد عند كافة الطوائف ايام تعطيل قانوني لهذه الطوائف .

Digitized by Birzeit University Library

جامعة بيرزيت
مركز الابحاث

— المادة ٢٤ —

يقدم المنتدب لمجلس عصبة الامم تقريراً سنوياً يشرح فيه التدابير التي اتخذها اثناء السنة في سبيل تطبيق الانتداب ويضم الى هذا التقرير كافة نصوص القوانين والقرارات التي يكون قد اصدرها في بحر السنة .

— المادة ٢٥ —

للمنتدب الخيار بأن يؤخر او يوقف ، في الاراضي الواقعة بين نهر الاردن والحدود الشرقية لفلسطين ، كما تحدد نهائياً ، تطبيق شروط هذا الانتداب التي يعتبرها غير موافقة بسبب الاحوال المحلية الحاضرة ، وان يأخذ كافة التدابير التي يراها مناسبة لادارة هذه الاراضي بشرط ان لا يكون احد هذه التدابير غير موافق لما جاء في المواد ١٥ و١٦ و١٨ .

— المادة ٢٦ —

يرضى المنتدب بعرض كل خلاف يقع بينه وبين اية دولة داخلة في عصبة الامم من جراء تفسير او تطبيق شروط هذا الانتداب ولا يكون بالامكان حله بواسطة المفاوضات ، على المحكمة الدولية الدائمة المنوه بها في المادة الرابعة عشرة من صك عصبة الامم .

— المادة ٢٧ —

يجب قبول مجلس عصبة الامم لكل تعديل يطرأ على مواد هذا الانتداب

Digitized by Birzeit University Library

— المادة ٢٨ —

عندما ينتهي اجل هذا الانتداب المسنود الى المنتدب بموجب هذا الصك يتخذ مجلس العصبة كل التدابير اللازمة في سبيل حماية مستديمة لجميع الضمانات المنوه بها في المادتين ١٣ و١٤ ويستعمل كل نفوذه لحمل حكومة فلسطين، وبضمانة العصبة ، على التعهد الكامل لكافة الديون المعقودة من قِبل حكومة فلسطين اثناء مدة الانتداب بما فيها حقوق المأمورين من اكراميات او مرتبات التقاعد .

تبقى النسخة الاصليه لهذا الصك في سجلات العصبة ويعطي منه كاتم اسرار عصبة الامم نسخاً مصدقة الى جميع اعضاء العصبة .

حرر في لندن ٢٤ تموز ١٩٢٢

Digitized by Birzeit University Library

معاهدة سايكس بيكو (١)

نشأ الاتفاق الفرنسوي الانكليزي سنة ١٩١٦ على اثر مبادلة كتابين بين المسيو بول كامبون سفير فرنسا في لندن وبين السر ادوارد غراي وزير الامور الخارجية الانكليزية وهذان الكتابان يتضمنان نتيجة المفاوضات التي جرت سابقاً بين المسيو جورج بيكو والسر مارك سايكس ونحن نثبتهما بحرفيتهما عن الاصل الفرنسوي ونثبت ايضاً ما دار حولهما من المفاوضة :

تحرير المسيو بول كامبون سفير فرنسا في لندن الى السر ادوارد غراي وزير الامور الخارجية الانكليزية

لندن في ٩ مايس ١٩١٦

لقد كلفت ان اعلم فخامتكم بقبول الحكومة الفرنسوية الحدود كما جائت معينة في الخرائط الموقعة من السر مارك سايكس والمسيو جورج بيكو

(١) عربها المؤلف عن الاصل الرسمي الفرنسوي كما رواه المسيو دي غونتو بيرون في كتابه عن سوريا

Digitized by Birzeit University Library

وبقبول الشروط المختلفة التي كانت موضوع البحث اثناء مناقشاتها . فبناء عليه يظل الاتفاق على الصورة الاتية :

١ً — ان فرنسا وبريطانيا العظمى مستعدتان لان تعترفا وان تحميا حكومة عربية او حلف حكومات عوبية في مقاطعتي «آ» و«ب» المحددتين في الخريطة المرسلة مع كتابي هذا [1] وبرآسة زعيم عربي ، ويكون لفرنسا في منطقة «آ» ولانكلترا في منطقة «ب» الافضلية في المشاريع العمومية والقروض المحلية . ويكون لكل من فرنسا في منطقة «آ» وانكلترا في منطقة «ب» وحدهما الحق بتقديم مستشارين او موظفين اجانب بعد طلب من الحكومة او حلف الحكومات العربية .

٢ً — لفرنسا في المنطقة الزرقاء [2] ولانكلترا في المنطقة الحمراء [3] الحق بأن تؤسسا شكلاً من الادارة المباشرة او غير المباشرة ونوعاً من المراقبة التي

---

(١) المنطقة « آ » كما جاءت في الخريطة المنوه بها هي ولاية دمشق وولاية حلب وولاية الموصل .

والمنطقة « ب » هي اراضي ما وراء الاردن وهي المعروفة اليوم بالشرق العربي حتى الشمال الشرقي لبغداد .

(٢) المنطقة الزرقاء : كيليكيا ، مع قسم من الاناضول بما فيه مدينة سيواس ، الكردستان الجنوبي بما فيه خربوط وديار بكر ، الشواطيء السورية (لبنان وبلاد العلويين واسكندرونه)

(٣) المنطقة الحمراء : بلاد العراق ابتداء من شمال بغداد حتى خليج فارس ثم دائرة صغرى تشمل فقط على ثغري حيفا وعكا

Digitized by Birzeit University Library

تريدانها او تريانها مناسبة بعد الاتفاق مع الحكومة او حلف الحكومات العربية.

٣ً — يؤسس في المنطقة الرمادية[1] ادارة دولية يقرر شكلها فيما بعد . . بالاتفاق مع الحلفاء الاخرين ومع ممثلي شريف مكة .

٤ً — سيعطى لبريطانيا العظمى : اولاً ثغرا حيفا وعكا ، ثانياً الضمانة باعطاء الكمية اللازمة من مياه الدجلة والفرات في منطقة « آ » الى منطقة « ب » وتتعهد حكومة صاحب الجلالة من جهتها ان لا تدخل في اي زمن في مفاوضات من شأنها ترك جزيرة قبرص لحكومة اخرى بدون قبول سابق من الحكومة الفرنسوية .

٥ً — ستكون اسكندرونه ميناء حرة في وجه بضاعة الامبراطورية البريطانية ولن يجعل ادنى فرق في المعاملة المختصة برسوم الميناء ولا ادنى تفضيل يحرم الملاحة او البضاعة الانكليزية من بعض الفوائد . وسيكون مرور البضائع الانكليزية من اسكندرونه حراً وبواسطة السكة الحديدية في المنطقة الزرقاء سواء كانت هذه البضائع صادرة من المنطقة الحمراء او من منطقة «آ» او من منطقة «ب» او واردة اليها . ولن يجعل ادنى تفضيل في المعاملة مباشرة كان او غير مباشرة في اية سكة حديدية من شأنه الحاق ضرر ما بالبضاعة الانكليزية ، او في اية ميناء لتلك المناطق المذكورة من شأنه الحاق ضرر ما بالبضاعة او البواخر الانكليزية .

---

(١) المنطقة الرمادية هي من سوريا الجنوبية المعروف بفلسطين ما عدا حيفا وعكا

Digitized by Birzeit University Library

وستكون حيفا ميناء حرة فيما يختص بتجارة فرنسا ومستعمراتها والبلاد الواقعة تحت حمايتها ، ولن تجعل ادنى فرق في المعاملة او تفضيل في رسوم الميناء. يمكن حرمان الملاحة والبضاعة الفرنسوية منه . وسيكون مرور البضاعة الفرنسوية من حيفا حراً وبواسطة السكة الحديدية الانكليزية في المنطقة الرمادية سواء كانت هذه البضائع صادرة من المنطقة الزرقاء او منطقة «آ» او منطقة «ب» او واردة منها ، ولن تجعل ادنى تفضيل في المعاملة مباشرة او غير مباشرة في اية سكة حديدية من شأن الحاق ضرر ما بالبضاعة الفرنسوية او في اية ميناء لتلك المناطق المذكورة من شأنها الحاق ضرر ما بالبضاعة او البواخر الفرنسوية .

٦ً — لن يواصل في منطقة «آ» بناء خط حديد بغداد الى الجنوب من بعد مدينة الموصل ، وفي منطقة «ب» نحو الشمال ما بعد سمرا الى ان يتم بناء خط حديدي بين بغداد وحلب ماراً بوادي الفرات وذلك لا يكون الا باشتراك الحكومتين فقط .

٧ً — لبريطانيا العظمى الحق بأن تشيد وتدير وتكون المالكة الوحيدة لخط حديدي بين حيفا والمنطقة «ب» ويكون لها حق دائم بنقل جيوشها بواسطة هذا الخط في اي زمن شاءت . ويظل من المقرر ان الحكومتين تعتبران ان هذه السكة الحديدية يجب ان تسهل اتصال بغداد بحيفا وفضلاً عن هذا يظل من المقرر انه اذا تعذر انجاز خط الاتصال هذا ، في المنطقة الرمادية لصعوبات فنية ولمصاريف طائلة تكون الحكومة الفرنسوية مستعدة لأن تسمح

Digitized by Birzeit University Library

بمرور الخط المذكور بشكل يتبع هذه الزوايا : بارياس - قيس حارب - تزل درعا — تل هدستا — ميزير ، قبل وصوله الى المنطقة «ب» .

٨ً ستظل الرسوم الجمركية التركية مدة عشرين سنة مرعية الاجراء في جميع جهات المنطقتين الزرقاء والحمراء وفي منطقتي «آ» و«ب» فلا يجوز زيادة الرسوم او تعديلها بلا رضى الدولتين .

ولن يكون جمارك داخلية بين اية منطقة من التي ذكرت آنفاً ،ويتقاضى في الجمارك الساحلية كافة الرسوم التي تلحق بالبضاعة المتوجهة الى الداخل ثم تدفع هذه الى حكومة المنطقة المرسلة اليها البضاعة .

٩ً — تتعهد الحكومة الفرنسوية بأن لا تقوم بأية مفاوضة في اي زمن حول التنازل عن حقوقها او اعطاء تلك الحقوق التي تملكها في المنطقة الزرقاء الى اية حكومة ، ما عدا الحكومة او حلف الحكومات العربية ، بدون قبول سابق من حكومة صاحب الجلالة الذي يتعهد ايضاً من جهته الى الحكومة الفرنسوية فيما يعود الى المنطقة الحمراء بمثل ما تعهدت به اليه .

١٠ً — ستتفق الحكومتان الانكليزية والفرنسوية بصفتهما حاميتين الحكومة العربية على ان لا تستوليا وعلى ان لاترضيا باستيلاء حكومة اخرى على اراض في جزيرة العرب او ببناء حصن بحري في الجزر المجاورة لشواطئ البحر الاحمر . وعلى كل فان هذا لايمنع تعديلاً يرى ضرورياً اجراؤه في حدود عدن اثر تعدي الترك الاخير .

Digitized by Birzeit University Library

١١ً — ستظل المفاوضات مع العرب في شأن حدود الحكومة او حلف الحكومات العربية جارية كالسابق باسم الحكومتين .

١٢ً — وفضلاً عن هذا يبقى من المقرر ان تدابير مراقبة ادخال الاسلحة الى الاراضي العربية سينظر اليها من لدن الحكومتين .

وتجعلوني ممتناً لفخامتكم ، اذا رأيتم ان هذه الشروط ستروق لحكومة الملك ، بأن تتفضلوا وتعلموني عن ذلك .

***

جواب السر ادوارد غراي

وزارة الخارجية في ١٥ مايس ١٩١٦

سأتشرف بالاجابة مفصلاً في مذكرة مقبلة على مذكرة فخامتكم المؤرخة في ٩ الجاري والمتعلقة بانشاء حكومة عربية . وعلى كل اكون ممتناً لفخامتكم اذا كنتم تستطيعون ان تؤكدوا لي ان في هذه الاراضي ، التي بحسب الشروط المندرجة في تحريركم ستصبح فرنسوية بحتة (كذا) او انه سيعترف فيها اولاً بصيانة المصالح الفرنسوية ، سيبقى محافظاً على كافة الاملاك البريطانية الحاضرة ، وعلى حقوق الملاحة وحقوق الامتيازات لجميع المؤسسات الدينية والمدرسية والطبية .

Digitized by Birzeit University Library

وحكومة صاحب الجلالة مستعدة ان تقدم التأكيد والضمانة المتبادلة فيما يعود الى المنطقة البريطانية .

اجاب في اليوم نفسه المسيو بول كامبون السر ادوارد غراي وقد اثبت في مقدمة تحريره ما جاء في التحرير المذكور اعلاه زائداً عليه :

لي الشرف ان اعلم فخامتكم ان الحكومة الفرنسوية هي مستعدة لأن تأخذ بعين الاعتبار كافة الاملاك البريطانية الراهنة والثابت امتلاكها قبل الحرب في جميع الاراضي التي تقع تحت الادارة الفرنسوية اما فيما يختص بالمؤسسات الدينية والمدرسية والطبية ستظل كما كانت عليه في الماضي مع الاعتبار ان شرطاً كهذا لا يتضمن ابقاء الحقوق القنصلية والامتيازات في تلك الاراضي .

...

ثم ارسل السر ادوارد غراي في اليوم التالي ، ١٦ مايس ، تحريراً الى المسيو بول كامبون مبرأ بوعده ومجيباً على المذكرة الفرنسوية المؤرخة في ٩ مايس يقول :

لي الشرف ان اخبر فخامتكم ان قبول المشروع بكامله كما هو مهيأ الان يتضمن اهمال مصالح بريطانية كبرى . لكن بما ان حكومة صاحب

Digitized by Birzeit University Library

الجلالة البريطانية تعترف بالفوائد التي تعود على قضية الحلفاء بالخير من جراء تأسيس حالة سياسية داخلية في تركيا احسن مما هي عليه ، فهي مستعدة ان تقبل الاتفاق الذى وصلنا اليه واعني بذلك ان معاونة العرب تكون مضمونة وان يقوم العرب بالشرائط فينالون مدن حمص وحماه والشام وحلب . فقد صح الاتفاق اذاً ، بين الحكومتين الفرنسوية والانكليزية على . . .

وهنا تعيد المذكرة باللغة الانكليزية ما جاء في تحرير المسيو بول كامبون المؤرخ في ٩ مايس ١٩١٦ والذي ذكرناه .

• • •

هذه هي موآمرة سايكس بيكو !



Digitized by Birzeit University Library

فہرست

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

فهرست

صفحة

توطئة ٣

تمهيد — روح الانتداب

البدعة الجديدة . الحق والقوة . روح الانتداب . حقوق الافراد وحقوق الامم . الحقيقة الرائعة . تقسيم موضوع الرسالة . ٨

السؤال الاول

ما هي قواعد السياسة الانكليزية

الفصل الاول : الاحزاب والقواعد

١ — الاحزاب وسياستها الداخلية : حزب الاحرار ، حزب المحافظين ، حزب العمال ، الخلاصة . ٢٣

Digitized by Birzeit University Library

صفحة

٢ – السياسة الخارجية وقواعدها : القواعد الاربع ، الاهم ثم المهم ، تضامن هذه القواعد . ٢٨

الفصل الثاني : طرق البحار

١ – الوجهة الحقوقية : منشور البابا اسكندر السادس ، نظرية كروسيوس ، نظرية سلدن ، حرية الملاحة ٣١

٢ – الوجهة السياسية : معاهدة اوتراخت ، منافذ البحار ٣٦

الفصل الثالث : طريق الهند

الاستيلاء على الهند ، معركة بلاسي ، المحطات ٣٩

١ – البحر المتوسط وطريق الهند : جبل طارق ، جزيرة مالطة ، جزيرة قبرص . ٤٣

٢ – مصر وطريق الهند : غلادستين ، الانكليز ومحمد علي ، الانكليز والرأي العام الدولي ، استقلال مصر والتدخل الاجنبي ، شراء اسهم قناة السويس ، الانكليز ومعاهدة برلين ، احتلال مصر ، استقلال مصر ، حق القوة وسياسة الشدة ٤٧

٣ – العجم والافغان ٦١

٤ – الحلف العربي والسياسة الانكليزية : سني بك ومنقذ العرب

Digitized by Birzeit University Library

صفحة

السياسة الانكليزية ، نجد والاتراك ، نجد والفرنسويون ، خذلان ام
انتصار ، نظريتنا : الانكليز اعداء الحلف العربي . التعليل العلمي :
قاعدة طريق الهند . الشاهد التاريخي : محمد علي وتوحيد سوريا ومصر
حادثة الشرق العربي ، ماذا قلنا وماذا نقول . ٦٤

٥ — بلاد العرب وطريق الهند : المناهج الثلاثة ، ميناء عدن
الحديدة . نجد والمعاهدة النجدية ، ماذا نفهم من هذه المعاهدة ، العراق
وتطبيق مبادئ الانتداب فيه ، فلسطين ووعد بلفور ٧١

٦ — الموصل وطريق الهند : طريق الهند البرية ، رأي كاتبة
اميركية ، الموصل مفرق طرق شمال العراق ، رأي قائد انكليزي ،
الموصل مفتاح بلاد الاكراد ، موقف الاكراد السياسي ، برنامج السياسة
الانكليزية في بلاد الاكراد ، الموصل مركز لينابيع البترول ، الخلاصة ٩٥

الفصل الرابع : امبراطورية الهند

١ — البلاد واهلها : مساحة الهند ، عدد السكان ، العناصر ،
الاديان ، الفرق ، اللغات ، المعارف . ١١٥

٢ — ثروة الهند : الحبوب ، الشاي والقهوة ، الحبوب الزيتية ،
الكاوتشوك ، الغابات ، مناجم الفحم ، المعادن ، الذهب ، الحديد ،
النحاس ، القصدير ، المنسوجات ، القطن ، الحرير ، الصوف . ١١٥

Digitized by Birzeit University Library

صفحة

٣ — المواصلات في الهند : الطرق المعبدة ، السكك الحديدية ، الموانئ ، البريد والبرق ، الطيران. ١٢٩

٤ — امراء الهند : اصغر الملوك ، اكبر امراء الهند ، آغا خان ، الامراء الهنود والسلطة الانكليزية . ١٣٣

٥ — بريطانيا العظمى وامبراطورية الهند : فائدة الارقام التي ذكرناها ، يقظة اهل الهند ، الدستور الجديد ، هل تستطيع الهند ان تحكم نفسها ، الخلاصة . ١٣٨

الفصل الخامس : بلاد الفلاندر

القاعدة الثالثة ، سياسة الفتح ، مقاومة اوروبا للانكليز ، حادثة اوستاند ، البلجيك والثورة الفرنسوية ، انكلترا وحياد البلجيك ، البلجيك وحرب السبعين ، البلجيك والحرب العامة . . . ١٤٥

الفصل السادس : التوازن الاوروبي

١ — الوجهة الحقوقية النظرية : معنى التوازن ، بعض الشواهد ، لو صح ان التوازن مبدأ حقوقي . . . ١٥٧

٢ — الوجهة السياسية العملية : القاعدة الرابعة ، التدخل الانكليزي في اوروبا ، احتلال الور والتوازن الاوروبي ، خاتمة السؤال الاول. ١٦٢

Digitized by Birzeit University Library

السوآل الثاني

ما هو خطر هذه السياسة علينا

صفحة

الفصل الاول : البلاد ورجالها

جل ابن البيئة والتربية ، الجزر البريطانية ، التربية الاستقلالية ،
القوة وعبادة الفوز ، قوة الارادة ، الشعور البارد . ١٧١

الفصل الثاني : صفات السياسة الانكليزية

— قلة المذكرات . ٢ — الثبات . ١٧٨

— الشدة : مثال عن اعمال بالمرستون السياسية ، سياسة نفعية
ة اللهجة ، سياسة تعجرف وتهديد ، سياسة تدخل ، مثال عملي
عمال الشدة . ١٨٤

— سياسة عزلة . ١٩٠

الفصل الثالث : عوامل السياسة الانكليزية

— العامل الاقتصادي التجاري : الامة الجائعة ، اختلال التوازن

Digitized by Birzeit University Library